تلخيص
شرح دُعَاء رجب

للعالم العامل والعابد الزاهد

الميرزا محمد باقر الهمداني

المعروف بـ (الشريف الطباطبائي)

(١٢٣٩هـ - ١٣١٩هـ)

تحقيق وتصحيح وتعليق

أحمد بن حسين العبيدان الأحسائي

لجنة إحياء تراث مدرسة الشيخ الأوحد الأحسائي رحمه الله

تلخيص

شرح دُعَاء رجب

للعالم العامل والعابد الزاهد

الميرزا محمد باقر الهمداني

المعروف بـ (الشريف الطباطبائي)

(١٢٣٩ هـ ـ ١٣١٩ هـ)

إعداد وتحقيق وتعليق

أحمد بن حسين العُبيدان

لجنة إحياء تراث مدرسة الشيخ الأوحد الأحسائي

حقوق الطبع والنشر
محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ / ٢٠٢٠ م

الناشر:

لجنة إحياء تراث مدرسة الشيخ الأوحد الأحسائي

الجمهورية العربية السورية - السيدة زينب

المملكة العربية السعودية - الأحساء - الهفوف / الطريبيل

جمهورية إيران الإسلامية - قم المشرّفة - شارع معلم - زقاق أرْك

البريد الإلكتروني: Ahmad١١٦٦@hotmail.com

Abbod٢mary@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

واحدٌ من الأدعية المشهورة أو المناجاة المأثورة للعمل كل يوم من شهر رجب (دعاء المعاني)، وقد حظي بمنزلةٍ عظيمة وحاز مكانةً كريمة في نفوس المؤمنين والعلماء العاملين؛ لما فيه من توجّهات خاصة وعنايات مخصوصة امتاز بها من خلال عبائره الغريبة على بعض الأذهان، ومعانيه القريبة من نفوس خواص أهل الإيمان، فمن زاوله وأنس به زاده يقيناً حقيقياً وقُرباً معنوياً ووصلاً روحانياً، ومن طالعه بظاهره دون التسليم لأهله الناطقين به لم ينتفع من ظاهره إلاّ لقلقة اللسان، وله من ذلك ـ إن شاء الله ـ الثواب من الله ذو المن والإحسان.

مصدر وسند الدعاء:

ليس بين أيدينا لهذا الدعاء مستند نعتمد في نقل هذا الدعاء سوى ما ذكره شيخ الطائفة الطوسي (رضوان الله عليه) في مصباحه[1]، وهو نقله عن

---

١ ـ مصباح المتهجد: ص ٨٠٣.

ابن عيّاش، عن خير بن عبد الله، توقيعاً كان قد خرج من الناحية المقدسة على يد أبي جعفر محمد بن عثمان العمري ﵁ دون أن يبيّن فيه سنده إليه ـ حسب الظاهر ـ مما جعل علماء الرجال وأهل التصحيح والتضعيف يطعنون فيه من ناحية السند، بل ولم يذكر الشيخ ما إذا كان له طريقاً إليه أم لا، لذا فالقوم لم يصححوه، لأن خير بن عبد الله، مولى أبي القاسم الحسين ابن روح النوبختي ﵁ لم يذكروه لا تصحيحاً ولا تضعيفاً[١]، فهو مجهول الحال عندهم كما يقال[٢].

وأما ابن عيّاش، وهو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبيد الله بن الحسن بن عيّاش الجوهري ﵀، فقد كان جده واحداً من علماء الشيعة ببغداد، وهو أول مشايخه. روى عنه ابن شاذان والخزاز القمي والنجاشي. وله مصنفات كثيرة كما كان كثير الرواية، ولكن لم يكن محط قبول ورضىً لدى القوم؛ لاضطربه في الرواية أواخر حياته[٣]، فهو وإن كان طريق الشيخ إليه صحيحاً[٤] لكنه ضعيف[٥]، وعليه فالخبر غير معتبر، بل بعيد

---

١ ـ مستدركات علم الرجال: ج ٣ ص ٣٤٦ برقم ٣٥٩٩.

٢ ـ معجم رجال الحديث: ج ٨ ص ٨٧ برقم ٤٣٥٩.

٣ ـ رجال النجاشي: ص ٨٥، رجال الطوسي: ص ٤٤٦، معجم رجال الحديث: ج ٣ ص ٧٧ برقم ٨٨٤، تنقيح المقال: ج ١ ،ص ٨٨.

٤ ـ معجم رجال الحديث: ج ٣ ص ٧٩.

٥ ـ معجم رجال الحديث: ج ٨ ص ٧٨ في ترجمة خير بن عبد الله.

صدوره عن المعصوم[١]، بل ذهب البعض إلى أنه من الموضوعات المفتريات[٢].

وقد روى ابن عياش هذا عن خير بن عبد الله، عن أبي القاسم رضي الله عنه الزيارة الرجبية المعروفة، والتي هي واحدة من الزيارات الجامعة، وأولها: «**الْحَمْدُ لله الَّذي أَشْهَدَنَا مَشْهَدَ أَوْلِيَائه في رَجَبٍ...**»[٣].

وإن كثيراً من مشايخنا العظام وأعلامنا الأعلام (أعلى الله مقامهم) وثقةً منهم بشيخ الطائفة ومن نقل عنه من بعده السيد علي بن طاووس والشيخ الكفعمي (رضوان الله عليهم)، ولأن معاني الدعاء موجودة في روايات عديدة، ومضامينه مبثوثة في أخبار متعددة، فقد تلقّوه بالقبول والتعظيم، واعتبروه من جملة ما صح عن أهل بيت العصمة (صلوات الله عليهم).

ومن الغريب في المقام تعبير بعض فحول الطائفة (رضوان الله عليه) بأن هذا الخبر (غريبٌ من أذهان المتشرعة وغير قابل للإذعان بصدوره عن المعصوم عليه السلام)[٤]، مع أن بعض معاصريه وأهل مسلكه في الرجال قد رفض قِيله هذا وقال: (ليست مضامينه غريبةً عند أهل المعارف الحقة)[٥].

---

١ ـ معجم رجال الحديث: ج ٨ ص ٧٨.

٢ ـ الأخبار الدخيلة: ج ١ ص ٢٦٣.

٣ ـ مصباح المتهجد: ص ٨٢١، المزار الكبير: ص ٢٠٢، إقبال الأعمال: ص ١٢٤.

٤ ـ معجم رجال الحديث: ج ٨ ص ٧٨.

٥ ـ مستدركات علم الرجال: ج ٣ ص ٣٤٦.

شروح الدعاء:

ولغموض بعض ألفاظه، وصعوبة إدراك مقاصده عند كثير من غير أهل الاختصاص ومن لم يأنس بتمام كلمات أهل بيت الوحي (صلوات الله عليهم) ولم يزاول أخبارهم في شتى مواضيعها ومختلف مواضعها، والتي هي من الصعب المستصعب والسر المستسر، الذي لا يحتمله حتى بعض النفوس الروحانية «ملك مقرب ولا نبي مرسل»، ـ كما قالوا هم (صلوات الله وسلامه عليهم)[١] ـ فقد قام بعض أعلام علمائنا وأعيان كُبرائنا وأهل الفن من مشايخنا (رضوان الله عليهم) بشرحه وتبيين بعض الظاهر من مقاصده، بما وسعهم من مجال وساعدهم الحال، ومنهم:

١ـ السيد هاشم بن السيد أحمد آل السيد سلمان الأحسائي (١٢٤٦ هـ)، له شرح بعنوان: شرح دعاء رجب[٢].

---

١ ـ بصائر الدرجات: ص ٤٠ باب في أئمة آل محمد عليهم السلام حديثهم صعب مستصعب، وفيه ٢١، الكافي: ج ١ ص ٤٠١ (فيما جاء ان حديثهم صعب مستصعب) وفيه ٥ روايات، مختصر البصائر: ص ١٢٦ (باب في أئمة آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) وأن حديثهم صعب مستصعب) وفيه ١٦ رواية.

٢ ـ رأيت مصوّرة من مخطوطة فيها بعض صفحات منه ضمن مجموعة مصنفات للسيد رحمه الله بخط الشيخ عيسى الشواف الأحسائي رحمه الله (ت ١٣٣٨ هـ)، كانت عند بعض الأصدقاء في قم المشرفة، إلاّ أن بعض أحفاده ممن انتسب لأهل العلم منع من إعطائنا نسخة منها ورفض تحقيقها وطباعتها كما كان قد اعترض قبل هذا على نشرنا كتاب للسيد هاشم رحمه الله وهو (كشف الغطاء عن الحق بالتحقيق) سنة ١٤٣٤ هـ و ١٤٣٥ هـ، والله المستعان.

٢ ـ الميرزا محمد باقر الشريف الطباطبائي، (ت ١٣١٩ هـ)، (هذا الذي بين أيدينا)، وله شرح آخر مختصر بالفارسية، بعنوان: شرح دعاي رجبيه[١].

٣ـ الحاج محمد خان الإبراهيمي الكرماني (ت ١٣٢٤ هـ)، بعنوان: شرح دعاء الرجبية[٢]، وقد أتممت تحقيقه.

٤ـ عباس بن محمد تقي الشريف، (من تلامذ الملا هادي السبزواري) بعنوان: شرح الدعاء الرجبية[٣]، وقد أتممت تحقيقه.

وهناك مواضع متفرّقة من كتب ورسائل وأجوبة مسائل الشيخ الأوحد والسيد كاظم والحاج محمد كريم خان (أعلى الله مقامهم) فيها شرح لبعض فقرات الدعاء، أسأل الله تعالى أن أوفق لإتمام جمعها وتحقيقها.

---

١ ـ أعيد طبعه في شهر أرديبشهت/ ١٣٩٢ هـ ش (جمادى الثانية/ ١٤٣٤ هـ) بمشهد المقدسة.

٢ ـ ضمن مجموعة رسائله، مطبوع في مطبعة السعادة بكرمان، حققناه وطبعناه.

٣ ـ بخط المؤلف رحمه الله، وكان خطه جميلاً وواضحاً جداً، موجودة نسخته ضمن مصورات مخطوطات مركز إحياء التراث الإسلامي في قم المشرّفة، برقم الفيلم: ٥٤٩٣.

ترجمة مختصرة لمصنف الكتاب

الاسم والنسب:

الميرزا محمد باقر بن الميرزا محمد جعفر بن الميرزا محمد صادق بن عبد القيوم بن أشرف بن محمد إبراهيم بن المحقق المولى محمد باقر السبزواري (١٠٩٠ ـ ١٠١٧ هـ)، صاحب (كفاية الأحكام، وذخيرة المعاد).

المولد:

ولد يوم الجمعة العاشر من ربيع الأول سنة ١٢٣٩ هـ في قرية (قُهي) من توابع مدينة أصفهان.

الموطن:

انتقل الميرزا محمد إبراهيم (جد المترجَم الرابع) في فتنة محمود الأفغان وهجومه سنة ١١٣٥هـ على مدينة أصفهان، إلى إحدى قراها تُسمّى (قُهي) وسكن محلّة (قلعه آتشكده) (قلعة النار)، وبهذا عُرف نسله بـ(قلعه‌ای‌ها) أي (القلعاويون) أو (أبناء القلعة)، وفي وقت لاحق غيّروا لقبهم إلى (الأشرفي) وبعضهم (الباقري) وآخرون (الباقري المحققي).

في مدرسة الشيخ الأحسائي:

كان والده الميرزا محمد جعفر ـ من مريدي وأتباع الشيخ الأوحد (أعلى الله مقامه) ، ولمّا حطّ الشيخ رحاله في أصفهان، نزل مكرّماً مخدوماً مطاعاً عند الميرزا محمد جعفر، ولذا فقد تأثر الميرزا محمد باقر بأبيه.

دراسته:

درس الميرزا محمد باقر بعض العلوم على يد أبيه الميرزا محمد جعفر، ولما أن رأى أنه لابد أن يتوسّع في طلب العلم بعث به إلى مدرسة (نيم آورد) في أصفهان والتي تأسست في أواخر العهد الصفوي، وظلّ فيها زمناً ليس بالقليل، كان آنذاك شغوفاً بطلب العلم، مشتغلاً بالتعلّم ومطالعة كتب الشيخ الأوحد، وفي ذات الوقت لم يترك تهذيب النفس والمداومة على الأعمال والأذكار.

تعرّفه على الحاج محمد كريم خان:

كان الملا محمدجعفر البدر الكرماني (رحمة الله عليه) صديقاً للميرزا محمد باقر، وقد صحبه في حلّه وترحاله، وكان يسمع منه الكثير عن الحاج محمدكريم (أعلى الله درجاته) وكتبه وعلمه، فتاقت نفسه إلى لقائه والتلمّذ عليه. فذهب إلى يزد ليلتقي بالحاج كريم خان الذي كان قاصاً زيارة الإمام الرضا عليه السلام وبقي فيها وقتاً لم يكن بالطويل، كان هناك يتحيّن الفرصة للقاء.

الانتقال إلى كرمان:

لما عاد الحاج محمد كريم (أعلى الله مقامه) من الزيارة، سافر معه إلى كرمان، وانقطع إليه؛ للتوسع في طلب العلم، والاستزادة مما كان أسس له الشيخ الأوحد (رضوان الله عليه).

الذهاب إلى مدينة نائين:

طلب أهل مدينة نائين من الحاج كريم خان (أعلى الله مقامه) مرشداً دينياً ومعلماً لهم، فطلب من الميرزا محمد باقر (أعلى الله مقامه) الانتقال إلى هناك وكيلاً عنه، فامتثل طلبه، فاشتغل هناك بتعليم الناس وإرشادهم، وبقي فيها مدة ثم ما لبث أن كرّ راجعاً إلى كرمان، وهناك أكمل تلمّذه على الحاج محمد كريم (أعلى الله مقامه).

الذهاب إلى مدينة همدان:

ولما قصد الأستاذ السفر لزيارة المراقد الطاهرة والعتبات المطهّرة في العراق مرّ في طريقه بمدينة همدان، وكان قد توفي حينها مرشد الشيخية هناك الحاج عبد الصمد الهمداني (رضوان الله عليه)، فطلبوا أن يقيم لهم من يقوم مقامه. وكان الميرزا (أعلى الله مقامه) قد قصد مدينة قم المشرفة، ومنها توجه إلى همدان، فالتقى أستاذه هناك، فطلب منه البقاء معهم وكيلاً عنه ومرشداً لهم، فامتثل لطلبه، وبقي فيها قرابة ثلاث سنين.

بعد وفاة الأستاذ:

بعد مضي ثلاث سنين، وفي شعبان سنة ١٢٨٨ هـ توفي الحاج محمد كريم (أعلى الله مقامه)، وحيث كان الميرزا مقرّباً من أستاذه أكثر من غيره، بل كان المعتمد لديه، فقد رأى سبعة وعشرون من فحول مَن تلمّذ على الحاج كريم (رضوان الله عليه) أن ينتقلوا إلى همدان ويلتحقوا بالميرزا، فبقوا معه ولزموه طيلة مدة بقائه فيها.

فاجعة في همدان[1]:

في نهاية شهر رمضان وفي يوم عيد الفطر من عام ١٣١٥ هـ وحيث الطقس البارد، حدثت مأساة الفرقة وفاجعة الجماعة، فقد حلّ بالميرزا ومن معه فجيعة وبلاء، مصيبة عمياء وبليّة طخياء، عُرفت باسم (واقعه هائله) أي (الفاجعة العظمى) والتي استمرت ثلاثة أيام، وكان سبّبها بعض خصوم الميرزا من لا يرتضي مسلك الشيخية، حيث تم الهجوم عليهم بالنار والحجارة والأسلحة، فقُتل جمعٌ غفير بين طفل صغير وشيخ كبير، وعالم فاضل وأهل المناهل، وسُحل بعض آخر في الطرقات، بلغوا السبعين أو نيّفوا عليه، ونُهبت الأموال والممتلكات، وأحرقت دار الميرزا وبعض الدور الأخرى، واستُتيب جماعة من المُعتقلين، واستُنطق آخرون الشهادتين، ولعمري أولم يكونوا من أهل الشهادتين! أم اعتبروهم من غير ملة سيد المرسلين؟! ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

الانتقال إلى مدينة الري:

انتقل الميرزا وأهل بيته إلى مدينة الري، ثم منها إلى (جَنْدَق) إحدى قرى أطراف مدينة الري، وبقي فيها إلى أن وافاه الأجل.

---

١ ـ .انظر: كتاب تاريخ عبرة لمن اعتبر (بالفارسية ـ للميرزا كريم أناركي كرماني رحمه الله): الفصل الرابع، يتحدث فيه عن أحوال الميرزا محمد باقر (أعلى الله مقامه) وما جرى عليه. انتهى من تأليفه سنة ١٣١٨ هـ.

خلط وعدم دقّة:

هناك بعض الكُتّاب ـ ممن لا يدقق ولا يتحقق ـ حين ترجمته للميرزا يخلط في النسبة والتسمية؛ وما هذا إلاّ لهدم معرفتهم بشخصه وشخصيته من جهة، وتحامل البعض على الشيخية إلى حد التفسيق والتكفير أحياناً من جهة أخرى، فبدل أن ينسبه إلى (جَندق) القرية التي سكنها كما ذكرنا، نراه يسميه (خندق آبادي)!! ومنه أخذها غيره دون تحقيق أو تتبع، فذكره في كتابه أو موسوعته أو مجلة دورية[١].

شخصان باسم واحد:

عاش الشيخ محمد باقر بن المولى محمد جعفر البهاري رحمه الله في همدان، وكان ورعاً تقياً شديداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عارفاً سالكاً مهذباً[٢]، كما كان عالماً فاضلاً محدّثاً رجالياً أخلاقياً، له كتاب (الدرة الغروية) كما أن للميرزا الشريف (التحفة النجفية) مما أوقع البعض في الاشتباه والخلط بينهما، توفي سنة ١٣٣٣ هـ[٣].

---

١ ـ كما في كتاب (از احسا تا كرمان) لنورالدين مدرّسي چهاردهي: ص ٦٨، ٨٦، ٨٧، ١٢١، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٩. وكتاب (فرق اسلامى) لمحمد جواد مشكور. وكتاب (در جستجوي حقيقت) لعلي رضا روزبهاني. ومجلة (كتابِ نقد) العدد ٥٢٠ ص ٢١.

٢ ـ طبقات أعلام الشيعة (نقباء البشر): ج ١ ص٢٠١ .

٣ ـ أعيان الشيعة: ج ٣ ص ٥٣٧..

إغفال وإهمال:

بسبب ما عاشه أتباع مدرسة الشيخ الأحسائي (أعلى الله مقامه) من انقسامات وتفرّقٍ نتج عنه غَلَبة اسم جماعة على جماعة أخرى، في منطقة دون الأخرى، نرى أحدهم ـ والذي لم يكن متخصصاً ولا له باع فيما حشر أنفه فيه، ولم يكن له تعمّق في بحثه وتتبع بصورة موسّعة، ولا سأل من هو أهل أو كفؤ ـ لم يأت على ذكر للميرزا الشريف (أعلى الله مقامه) فيمن اعتبرهم أعلاماً للمدرسة الشيخية، حيث اكتفى بتكرار واجترار ما هو منتشر عند فئة خاصة من ترجمة الشيخ وتلامذته، والسيد كاظم وتلامذته، والحاج محمد كريم **وبعض** تلامذته (رضوان الله عليهم أجمعين)[1]، ثم ترجم لغيرهم، ولعل هذا بسبب الغشاوات التي أعشت الكثيرين من أهل تلك الناحية، ولا قوة إلاّ بالله.

تاريخ الوفاة:

وبعد أن بلغ الميرزا (رضوان الله عليه) الثمانين من عمره الشريف، وفي يوم الثالث والعشرين من شعبان سنة **١٣١٩** هـ، توفي الميرزا محمد باقر في (جَنْدَق) تلك القرية التي استقر بها، وفيها وُري الثرى.

قبره ومحل مدفنه:

كان الميرزا رحمه الله قد أوصى بدفنه إلى جوار مرقد مولانا علي بن موسى

---

١ ـ أعلام مدرسة الشيخ الأوحد في القرن الثالث عشر، دار المحجة البيضاء، ٢٠٠٦ م.

الرضا (صلوات الله عليه) وقد تم تنفيذ وصيّته بعد عامين من وفاته، ونُقل جثمانه ـ الذي بقي غضاً طرياً ـ إلى خراسان، ودُفن في إحدى غرف الصحن الكبير آنذاك والمعروف اليوم باسم (صحن) آزادي، وكانت صورته وبعض الشموع منصوبة في محل دفنه، ولكن تم رفعُها واستبدلت الغرفة التي دُفن فيها إلى ما يعرف اليوم باسم (رواق دار الحكمة).

تلامذته:

تربّى وتلمّذ على يديه العديد من الفحول والعلماء وكثير من طلاب علوم آل محمد عليهم السلام، لحق به جماعة منهم إلى همدان بعد وفاة أستاذه الحاج محمد كريم (أعلى الله مقامه) ـ كما ذكرنا ـ ومن جملتهم:

١ـ الآخوند ملاّ علي الخراساني، كان من أساتذة الفلسفة، وممن تلمّذ على الملا هادي السبزواري وإن لم يُذكر فيهم، وعلى الحاج محمد كريم.

٢ـ الآخوند ملا رضا أناركي، وكان من أفاضل طلاب الميرزا.

٣ـ الميرزا أبو تراب الكرماني النفيسي، له رسالة في الرد على وحدة الناطق، كتبها بطلب من أستاذه.

٤ـ سيد محمد باقر بن زين العابدين طباطبائي الجندقي، وكان أيضاً من تلامذة الحاج محمد كريم (أعلى الله مقامه)، وكان وكيلاً عنه في كاشان، وله من التصانيف: أميريّه (بالفارسية) شرحٌ لرواية دخول أمير المؤمنين عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعانقهما، المروية في البحار في النُسخه الحجرية القديمة وقد حُذفت في الطبعات الجديدة.

٥ـ الآخوند ميرزا علي النائيني (الشهيد) الذي قُتل في حادثة همدان وكان يحمل القرآن في يده، وكان ممن تلمّذ على الحاج محمد كريم.

٦ـ الحاج ميرزا حسن الأصفهاني، له من التصانيف ما يقرب من سبعين، ومنها: الغنائم، والقواعد، وكلاهما في الحكمة وكلّياتها.

٧ـ الميرزا علي رضا الشريف الشهير بـ(قوام العلماء)، له دواوين شعر بالعربية والفارسية، وله أرجوزة في المشاعر الإنسانية مدرجة في كتاب الرسائل (للميرزا الشريف): ج ١ ص ٢٦٠ ـ ٥٢٧.

٨ ـ الحاج ميرزا كريم أناركي الكرماني،صاحب كتاب عبرة لمن اعتبر، وله رسالة في كلّيات الحكمة ضمّنها ٦١٢ حكمة.

٩ـ الميرزا حسين الطبرسي، وهو من أفاضل طلاب الميرزا.

١٠ـ الميرزا محمد رضا اليزدي، وكان من الأفاضل أيضاً.

١١ـ سيد هاشم اللاّهيجاني، كان فاضلاً، وله مجموعة من المصنفات، وتقريرات لبعض دروس الميرزا (أعلى الله مقامه) وله حديقة الإخوان وهي تقرير لبعض محاضرات الميرزا، وله أيضاً رسالة في رد وحدة الناطق.

١٢ ـ الحاج محمد رحيم خان، الابن الأكبر للحاج محمد كريم خان، وله معه مراسلة وسؤال وجواب عن بعض المسائل.

١٣ـ الحاج محمد خان ابن الحاج محمد كريم خان، وكان كثيراً السؤال من الميرزا ومنه يستوضح الغامض من كلمات أبيه (أعلى الله مقامه).

١٤ـ الملاّ جعفر، لم نعرف عنه إلاّ اسمه، لأن الميرزا ذكره ومدحه في دروسه ج ١٦ ص ٣٥ (ذي القعدة سنة ١٢٩٩هـ)، وكان ممن يقرر الدروس.

١٥ـ الحاج محمد صادق خان، ولعله من أبناء عم الحاج محمد كريم خان، كانت بينهما مراسلة جاء في بعضها: (ولقد شاهدتَ بعد غيابه [يعني الحاج محمد كريم] ولعلكم شاهدون كثيراً ممن تلّموا منّي واستفهموا مراده (أعلى الله مقامه) في حياته وحضوره منّي، وصرّحوا مراراً بأنّا لا نفهم مراده (أعلى الله مقامه) من ياناته إلاّ أن تبيّن لنا مراده؛ لأنه(أعلى الله مقامه) بحر زخّار، متلاطم تيّاره، يعلو مرّة ويسفل أخرى، ونحن بين أمواجه لا نقد على اللبث في مكان واحد، فنشرّق ونغرّب، ونعلو ونسفل، إلاَ أنكَ أنت توقفنا). انظر: الرسائل (للميرزا رحمه الله): ج ٣ ص ١٨٢.

مقولة إمام جمعة نائين الأخباري:

جاء في كتاب (تاريخ عبرة لمن اعتبر) أن إمامة الجمعة في مدينة نائين الميرزا محمد سعيد قال ما ترجمته: من أراد أن ينظر إلى أبي ذر رضي الله عنه في زهده فهذا هو الميرزا محمد باقر الهمداني.

مصنفاته:

ذُكرَ له العديد من المصنفات بين الكتب والرسائل وأجوبة المسائل والمحاضرات والمواعظ والدروس والتي نيّفت على ١٦٣، بعضها بالعربية وأغلبها بالفارسية، عندي بعضها، ووقفت على كثير منها، ومنها:

١ـ الأصول المهمّة في شرح الحكمة. (في الحكمة).

٢ـ التحفة النجفية (في النسب الأربع).

٣ـ المقامات (في الحكمة).

٤ـ الكليات (في اصطلاحات الحكمة).

٥ـ مجمل للبسيط وأول الموجودات. (في الحكمة).

٦ـ نسبة الأثر والمؤثر. (في الحكمة).

٧ـ رساله در خصوص جسم اصلى وعرضى. (فارسية، في الحكمة).

٨ ـ امانيّه. (فارسي، في الحكمة).

٩ـ معرفت سرّ اختيار. (في بيان "أمر بين أمرين" ـ في الحكمة).

١٠ـ سر إرسال الرسل.

١١ـ رفع الاختلاف بين ما دل على عصمة الملائكة وعصيان بعضهم.

١٢ـ المعاد (في تحقيق مبانيه وغوامضه).

١٣ـ مسألة مجلس الضيافة. (حول المعاد، كتبه بطلب من أستاذه).

١٤ـ الصواب البالغ والجواب الدامغ.

١٥ـ عقايد شيخيه. (فارسي).

١٦ـ غرض از خلْقت نقباء ونجباء وثمرات آن.

١٧ـ شرح حديث سبق نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

١٨ـ شرح حديث «حلال محمد حلال إلى يوم القيامة...».

١٩ـ شرح حديث كميل «ما الحقيقة؟».

٢٠ـ المصابيح في شرح حديث المفضل.

٢١ـ شرح حديث «من عرف مواقع الصفة».

٢٢ـ شرح حديث «من سأل عن التوحيد فهو جاهل».

٢٣ـ شرح باطن الحديثين.

٢٤ـ شرح زيارة الحسين المطلقة.

٢٥ـ شرح دعاء رجب. (وهو هذه الكتاب الذي بين أيدينا).

٢٦ـ شرح دعاي رجبيه. (فارسي، صغير ومختصر).

٢٧ـ شرح اسم اعظم. (فارسي).

٢٨ـ شرح نَفْس رحماني. (فارسي).

٢٩ـ المراد من تسمية المشيّة بالنفس الرحمانية.

٣٠ـ المراد من طبع الله وختمه على القلوب. (فارسي)

٣١ـ شرح كليات الفخر رازي (في المنطق) (فارسي).

٣٢ـ شرح تهذيب المنطق للتفتازاني. (فارسي).

٣٣ـ كيفية انطباع الأشباح في العين.

٣٤ـ المشاعر في تفريق المشاعر. (شرح المشاعر الإنسانية).

٣٥ـ درّه نجفيه (فارسي، في مجلدين، في بيان الفرق والمذاهب)

٣٦ـ كشف الحق (فارسي، في الرد على بعض نصارى همدان).

٣٧ـ إحقاق الحق (فارسي، في رد التوراة والإنجيل الموجودَين).

٣٨ـ جواب أهل الكتاب (فارسي).

٣٩ـ إزالة الأوهام (فارسي، في الرد علي افتراءات وتزييفات كتاب "تریاق فاروق" للسيد محمد حسين المرعشي الشهرستاني).

٤٠ـ اجتناب (فارسي، في الرد على تزييفات "تریاق فاروق").

٤١ـ نعلِ حاضره (فارسي). (في الرد على افتراءات كتاب "دار السلام" لمحمود العراقي على الشيخ الأوحد والسيد الرشتي والحاج محمد كريم).

٤٢ـ إبطال الباطل. (ردٌ على بعض الأكاذيب على الشيخية).

٤٣ـ رد بعضي از افتراها وشبهات. (رد لبعض الأكاذيب على الشيخية).

٤٤ـ جواب الإيرادات على الرسالة الرشتيه للشيخ الأحسائي. (فارسي).

٤٥ـ جواب شبهات بابيه (فارسي).

٤٦ـ قطع عُذر وإتمام حُجّت. (فارسي، في الرد على بعض الشبهات).

٤٧ـ ميزان (فارسي، في إثبات ضروريات الدين).

٤٨ـ التصريح. (في الرد على وحدة الناطق).

٤٩ـ توضيح (فارسي، في الرد على وحدة الناطق).

٤٩ـ مُوضِح (فارسي، في الرد على وحدة الناطق).

٥٠ـ إيضاح (فارسي، في الرد على وحدة الناطق).

٥١ـ اسحاقيه (فارسي، في الرد على وحدة الناطق)، جواباً على سؤال والي كرمان، اسحاق خان ابن ميرزا محمد قاسم خان عن الاختلاف فيها.

٥٢ـ الحدائق الحجازية. (مجموعة نصائح).

٥٣ـ سكون الأرض (فارسي).

٥٤ـ بشارات ظهور محمد ﷺ (فارسي، حول الرسول ﷺ ونعوته).

٥٥ـ أسرار الشهادة (فارسي، في واقعة كربلاء)، نقلته إلى العربية.

٥٦ـ علم الاشتقاق.

٥٧ـ شواهد التذكرة. (شرح للشواهد النحوية في كتاب تذكرة النحو).

٥٨ـ أصول الفقه.

٥٩ـ كتاب الطهارة، بحث استدلالي في الفقه.

٦٠ـ رسالة في تقليد الميت (فارسية).

٦١ـ رسالة في مسّ الميت (فارسية).

٦٢ـ في علّة غُسل مسّ الميت (فارسية).

٦٣ـ رساله في النكاح (فارسية).

٦٤ـ رسالة في الطلاق (فارسية).

٦٥ـ كفاية المسائل(فارسي، في مجلدين، وهو رسالة عملية).

٦٦ـ رسالة في بيان الجهاد الأكبر (فارسية).

٦٧ـ رسالة حولة الغيبة (فارسية).

٦٨ـ له مجموعة المواعظ (بالفارسية)، تنيفُ على ٣٠٠ موعظ، كان يلقيها أيام المحرم وصفر ورمضان، طُبع بعضها فيما ينيف على ٦٠ مجلد.

٦٩ـ له مجموعة من الدروس (بالفارسية)، وهي تقريرات لدروسه التي تنيفُ على ألف درس، طُبع بعضها في ٢٤ مجلداً.

والحمد الله أني أمتلك أغلبها، واطلعت على أغلب ما ليس عندي منها.

ملاحظة:

للميرزا (أعلى الله مقامه) أكثر من هذا بكثير، كانت عنده وعند تلامذته في همدان وجندق، أما التي في همدان فقد سُرق بعضها وأحرق بعضها الآخر في حادثة همدان التي أشرنا إليها، وأما التي في جندق فقدطُبع بعضها، وبعضها تفرّقت بين أيد الوُرّاث وغيرهم.

نص الدعاء:

نقل الشيخ الطوسي رضي الله عنه هذا التوقيع الشريف، ونقله عنه السيد ابن طاووس والشيخ الكفعمي رضي الله عنهما، وسنعتمد هنا ما نقله الشيخ رحمه الله.

قال: أخبر جماعة عن ابن عيّاش، قال: مما خرج على يدي الشيخ الكبير أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد رضي الله عنه من الناحية المقدسة ما حدّثني به خير بن عبد الله قال: كتبتُ من التوقيع الخارج إليه:

«بسْمِ اللَه الرَّحْمَن الرَّحيمِ، ادْعُ كلَّ يَوْم منْ أيَامِ رَجَب:

اَللّهُمَّ إنّي أَسأَلُكَ بمَعاني جَميعِ ما يَدْعُوكَ بِه وُلاةُ أَمْرِكَ، الْمَأْمُونُونَ عَلى سرِّكَ، الْمُسْتَبْشرُونَ بأَمْرِكَ، الْواصفُونَ لقُدْرَتكَ الْمُعلنُونَ لعَظَمَتكَ، أَسأَلُكَ بما نَطَقَ فيهمْ منْ مَشيَّتكَ، فَجَعَلْتَهُمْ مَعادنَ لكَلماتكَ، وَأَرْكاناً لتَوْحيدكَ، وَآيَاتكَ وَمَقاماتكَ الَّتي لا تَعْطيلَ لَها في كُلِّ مَكان، يَعْرفُكَ بها مَنْ عَرَفَكَ، لا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَها إلاّ أَنَّهُمْ عبادُكَ وَخَلْقُكَ، فَتْقُها وَرَتْقُها بيَدكَ، بَدْؤُها منْكَ وَعَوْدُها إلَيكَ أَعْضادٌ وَأَشْهادٌ ومُناةٌ وأَذْوادٌ وَحَفَظَةٌ وَرُوّادٌ، فَبهمْ مَلأْتَ سَماءَكَ وَأَرْضَكَ حَتّى ظَهَرَ أَنْ لا إلهَ إلاّ أَنْتَ، فَبذلكَ أَسأَلُكَ، وَبمَواقعِ الْعزِّ منْ رَحْمَتكَ، وَبمَقاماتكَ وَعَلاماتكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّد وَآله، وأَنْ تَزيدَني إيماناً وَتَثْبيتاً.

يَا باطناً في ظُهُوره وَظاهراً في بُطُونه وَمَكْنُونه، يَا مُفَرِّقاً بَيْنَ النُّور وَالدَّيْجُور، يَا مَوْصُوفاً بغَيْر كُنْه، وَمَعْرُوفاً بغَيْر شبْه، حادَّ كُلِّ مَحْدُود، وَشاهدَ كُلِّ مَشْهُود، وَمُوجدَ كُلِّ مَوْجُود، وَمُحْصيَ كُلِّ مَعْدُود، وَفاقدَ كُلِّ مَفْقُود، لَيْسَ دُونَكَ منْ مَعْبُود، أهل الْكبْرِيَاء وَالْجُود، يَا مَنْ لا يُكَيَّفُ

بِكَيْف، وَلا يُؤَيَّنُ بِأَيْن، يَا مُحْتَجِباً عَنْ كُلِّ عَيْن، يَا دَيْمُومُ يَا قَيُّومُ وَعالِمَ كُلِّ مَعْلُوم، صَلِّ عَلى (مُحَمَّد وَآله، وَعَلى)[1] عبادكَ الْمُنْتَجَبينَ، وَبَشَرِكَ الْمُحْتَجِبينَ، وَمَلائكَتكَ الْمُقَرَّبينَ، وَالْبُهْمِ الصّافّينَ الْحافّينَ، وَبارِكْ لَنا في شَهْرِنا هذَا الْمُرَجَّبِ الْمُكَرَّم وَما بَعْدَهُ منَ الأَشْهُرِ الْحُرُم، وَأَسْبِغْ عَلَيْنا فيه النِّعَمَ، وَأَجْزِلْ لَنا فيه الْقِسَمَ، وَأَبْرِرْ لَنا فيه الْقَسَمَ باسْمكَ الأَعْظَمِ الأجل الأَكْرَمِ الَّذي وَضَعْتَهُ عَلىَ النَّهارِ فَأَضاءَ، وَعَلىَ اللَّيْلِ فَأَظْلَمَ، وَاغْفِرْ لَنا ما تَعْلَمُ منّا وَما لا نَعْلَمُ، وَاعْصِمْنا منَ الذُّنُوبِ خَيْرَ الْعِصَمِ، وَاكْفِنا كَوافِيَ قَدَرِكَ، وامْنُنْ عَلَيْنا بِحُسْنِ نَظَرِكَ، وَلا تَكِلْنا إلى غَيْرِكَ، وَلا تَمْنَعْنا منْ خَيْرِكَ وَبارِكْ لَنا فيما كَتَبْتَهُ لَنا منْ أَعْمارِنا، وأَصْلِحْ لنا خَبيئَةَ أَسْرارِنا، وأعطنا منْكَ الأَمانَ، وَاسْتَعْمِلْنا بِحُسْنِ الإيمانِ وَبَلِّغْنا شَهْرَ الصِّيامِ وَما بَعْدَهُ منَ الأَيّامِ وَالأَعْوامِ يَا ذَا الْجَلالِ والإِكْرامِ»[2].

---

١ ـ هذه الفقرة في مصباح المتهجد فقط.

٢ ـ مصباح المتهجد: ٨٠٣، إقبال الأعمال: ١٤٥، مصباح الكفعمي: ص ٥٢٧، البلد الأمين: ص ١٧٩.

[مُقَدِّمَة]

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هداني للإسلام، وأكرمني بالإيمان، وعرّفني الحق الذي عنه يؤفكون، و ﴿**النَّبَإِ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ**﴾.

والصلاة على البشير النذير، السراج المنير، محمد وآله الطيبين، الأخيار الطاهرين، المصطفين الأبرار، ﴿**الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾.

واللعنة على أعدائهم ومخالفيهم، ومنكري فضائلهم، من الأولين والآخرين، إلى يوم الدين.

أما بعد، فيقول العبد المسكين الوحيد من غير معين ـ والحمد لله رب العالمين، ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ ـ: ما حداني إلى الشرح والبيان دعاء صدر من صاحب الزمان (عليه وعلى آبائه الكرام صلوات الملك المنان، عجل الله فرجه، روحي فداه) وهو المرجّب الذي دعا به في كل يوم من شهر رجب، روي في (جنة الأمان الواقية، وجنة الإيمان الباقية)[1] المتلقّى

---

١ ـ مصباح الكفعمي: ص ٥٢٧.

بالقبول ـ من حين الصدور فما بعده ـ في الصدور النقية من متّبعي آل الرسول، وبلغوا به المأمول، لم يوجد مُوهن له إلى الآن من المتقدمين والمتأخرين، ومتأخري المتأخرين، فحيث ظهر منهم التمكين ـ وهم أساطين الدين ـ كشف للموقنين أنه مقرَّرٌ مُصَدَّقٌ من رب العالمين على القطع واليقين، فإنّ عليه ـ سبحانه ـ إحقاق الحق وإبطال الباطل في جميع القرون والسنين، لجميع المكلفين؛ ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾.

وأدلة ذلك على التفصيل موجودة في محالها.

وإن اقتضى الإجمال ضيق المجال فحري بأن يُبان ويَشتهر بين المؤمنين، وحقيق بأن يُعتَقد بمضامينه على اليقين، وجدير بأن يُتَمسّك به في الحوائج والمهمات للدنيا والآخرة، للسالكين والفقراء، وللمساكين والأغنياء، والأقوياء والسلاطين، من زمرة المؤمنين الموقنين، وإن أعرض عنه المعرضون من الجاهلين والمتوهّمين، والشاكين و ﴿**الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ**﴾، الضالين المضلين، فـ﴿**لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾، ﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾، وإليه تُرجع الأمور.

فقال (طيب الله فاه، وجعل الجنة مأواه): قال ابن عياش: ومما خرج على يد الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد من الناحية المقدسة: دعاءٌ لكل يوم من رجب:

«اَللّهُمَّ إِنّي أَسأَلُكَ بِمَعاني جَميعِ ما يَدْعُوكَ بِهِ وُلاةُ أَمْرِكَ».

الفرق بين السؤال والدعاء في الاصطلاح:

إن السؤال يقع عن الجاهل للعالم بالعالم؛ ليتعلم منه ما يجهله ليعمل به.

أو يقع عن المحتاج إلى شيء لم يوجد عنده العالم، بالغني المعطي الذي يوجد عنده؛ لينتفع به.

فما لم يكن المسؤول معروفاً للسائل يمتنع السؤال، ولم يكن السؤال حينئذ ﴿**إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً**﴾ كما قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً**﴾، وإلى هذا أشار ما روي عنهم عليهم السلام في جواب من سأل عنهم علة عدم الاستجابة لدعائهم؟ فقال عليه السلام: «**لأنكم تدعون ما لا تعرفون**»[1].

فليتذكر المتذكرون أن من لم يعرف الله لم يقع سؤاله ودعاؤه ﴿**إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً**﴾، وكذلك المدعو به يجب أن يكون معروفاً للداعي، فلا يكون دعاء الجاهل أيضاً ﴿**إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً**﴾.

---

١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام، التوحيد: ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩ ب ٤١ ح ٢.

نعم، الدعاء يقتضي كفاية المدعو مؤنة الداعي بتمامها وكمالها، بخلاف السؤال، فإن السائل بنفسه يستعمل ما سأله، فالدعاء أنفع للداعي من السؤال للسائل، فلا تغفل.

وتذّكر أنّ الداعي بقاؤه في فنائه بالكلية، فهو مفقود بنفسه في نفسه، موجود بربه ومدعوّه بلا نهاية، ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ**﴾، بمعيّة غير متناهية، بخلاف السائل؛ لأنه سأل المسؤول موجوداً بنفسه، مستعملاً بعلمه وبما يعطيه المعطي.

والفرق بينهما هو الفرق بين الرب والعبد[١].

فإن عرفتَ ما أقول وصلت إلى المأمول، وإلا فلا تتكلف... فلنقبض العنان، إلاّ لمن له عينان... فلا تكن من الغافلين وإن كثروا، وكن من المتذكّرين وإن قلّوا... فلا تستوحشنَّ في طريق الحق قلة أهله، فإن الناس جمعوا واجتمعوا على مائدة جوعها طويل وشبعها قليل[٢].

ثم اعلم وتذكر أن ألفاظ السؤال أو الدعاء أو غيرهما من الحروف والكلمات من حيث هي هي من غير المعاني المستودعة فيها، إن هي إلاّ دعاء ونداء و ﴿**مُكَاءً وَتَصْدِيَةً**﴾، فلأجل ذلك قال القائلُ بالحق: «**أَسأَلُكَ**

---

١ ـ عن الصادق عليه السلام: «سمعت أبي محمد الباقر عليه السلام يقول: تعلق القلب بالموجود شرك وبالمفقود كفر، وهما جناحان من سنّة». مصباح الشريعة: ص ١٨٢ ب ٨٦.

٢ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أَيُّهَا النَّاسُ لاَ تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لقِلَّةِ أَهْلِه فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شِبَعُهَا قَصِيرٌ وَ جُوعُهَا طَوِيلٌ». نهج البلاغة: الخطبة ٢٠١.

بِمَعاني جَميعِ ما يَدْعُوكَ بِهِ...»، وما قال (روحي فداه): (أسألك بما يدعوك به)، إذ ما يدعونه به هي الألفاظ، ومعانيها هي المقصودة للقاصدين، والمطلوبة للطالبين، والمسلك للسالكين، فالماء اسم للمشروب، والمشروب هو المطلوب، فالماء بجميع حروفه ومداده ومباديه اسم غير مقصود، والمقصود منه لدى الطالب، والمطلوب هو المشروب، (فمن عبد الاسم فقد كفر ومن عبد الاسم والمعنى معاً فقد أشرك بربه الأحد، ومن عبد المعنى بإيقاع الاسم عليه فقد عَبَدَ من استعبد[1]، و ﴿**أولَئكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً**﴾، وأصحاب أمير المؤمنين (عليه وآله صلوات المصلين) صدقاً).

كما روي في (الكافي) عن الصادق الأمين عليه السلام حين تعليمه لهشام فقال عليه السلام: «**الخبز اسم للمأكول، والماء اسم للمشروب، والثوب اسم للملبوس، والنار اسم للمحرق. أفهمت يا هشام؟**»[2]...

فالمعاني جمع المعنى وهو المسمى، فالمسمّيات هي مصاديق الكلمات ومعانيها، سواء كانت اسماً أم فعلاً أم حرفاً بالاصطلاح.

---

١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من عَبد الله بالتوهم فقد كفر، ومن عَبد الاسم دون المعنى فقد كفر، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك، ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سرائره وعلانيته فأولئك أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام حقاً». الكافي: ج ١ ص ٨٧ ح ١.

٢ ـ الكافي: ج ١ ص ٨٧ ح ٢.

ولفظ (الجميع) جمع المعاني والمقاصد كلها بحيث لم يشذّ عنها شاذ، ويحتمل أن تكون الباء للقَسم أو الاستعانة أو الوساطة، وإن كان الأول أقوى وأولى للتمسك بها إلى الله في الاستكانة والذل من غير استحقاق من السائل، بل بابتداء من المسئول[١]، وشفاعة من شفعهم؛ لنيل المأمول؛ لكرامتهم عليه، وجَعْله لهم وسيلةً لديه، وأمره تعالى بقوله: ﴿**وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ**﴾، وإن كانت الاستعانة كـ(باء) ﴿**بِسْمِ اللَّهِ**﴾ كافية.

اللهم إلاّ أن العبد إذا دعا ينبغي له أن يفنى بنفسه، فلا يبقى ليستعين... «**اللَّهُمَّ افْعَلْ بِي مَا أَنْتَ أَهْلُهُ وَلاَ تَفْعَلْ بِي مَا أَنَا أَهْلُهُ**»[٢]، و «**أَنْتَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ**»[٣]... فإن كنت غير مستأهل لإجابته فهو أهل لأجابتك... وإن كنت غير مستأهل للاعتناء فالمعاني المدعو بها أهل لأن يعتني بها الله، فأقسم عليه بها ليعتني بك، وهو قد أذن لك ـ وله المنة ـ بلسان أوليائه عليهم السلام أن تقسم عليه بها، والحمد لله.

---

١ ـ كما في الدعاء: «**يَا مُبْتَدِئاً بِالنِّعَمِ قَبْلَ اسْتِحْقَاقِها**».

* وفي الدعاء أيضاً: «**يَا مالكي وَمُمَلِّكي وَمُتَغَمِّدي بِالنِّعَمِ الْجِسامِ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقاق**».

* وأيضاً: «**وَتَوَجَّهْتُ إِلَيْكَ بِحاجَتي، وَجَعَلْتُ بِكَ اسْتِغاثَتي، وَبِدُعائِكَ تَوَسُّلي مِنْ غَيْرِ إِسْتِحْقاق لِإِسْتِماعِكَ مِنّي**».

* وأيضاً: «**وَجُدْ عَلَيَّ بِما أَنْتَ أَهْلُهُ لا بِما أَسْتَحِقُّهُ، فَقَدْ حَسُنَ ظَنّي بِكَ**».

* وأيضاً: «**فَأَنَا أَسْأَلُكَ اللّهُمَّ ما لا أَسْتَوْجِبُهُ، وَأَطْلُبُ مِنْكَ ما لا أَسْتَحِقُّهُ**».

٢ ـ وردت هذه الفقرة في مواطن عدة من أدعية عديدة في كتب الأدعية والأذكار.

٣ ـ فقرة من دعاء أبي حمزة، من أعمال السَحَر في شهر رمضان.

ثم اعلم أن تلك المعاني ليست بمعانٍ مصدرية كما أشرنا إليه... فالمشروب معنى الماء، والمأكول معنى الخبز، وكذا لفظ المأكول والمشروب اسمان لمعناهما كالماء والخبز... ولأجل ذلك قال عليه السلام: «**عليك بالبيان والمعاني**» فقال جابر: وما البيان؟ وما المعاني؟ فقال عليه السلام: «**أما البيان فأن تعبد الله وحده ولا تشرك به شيئاً، وأما المعاني فنحن معانيه وظاهره فيكم**»[١]. فهم عليهم السلام ليسوا بمعان مصدرية بل هم «**جواهر أوائل العلل**»[٢]، بهم[٣] صارت سائر الجواهر جواهرَ معروضة للأعراض، فما ظنك بجوهرية ذواتهم (صلوات الله عليهم)؟

---

١ ـ عن جابر بن عبد الله، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «يا جابر، عليك بالبيان والمعاني» فقلت: وما البيان والمعاني؟ فقال عليه السلام: «أما البيان فهو أن تعرف أن الله سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فتعبده ولا تشرك به شيئاً. وأما المعاني فنحن معانيه، ونحن جنبه، ويده ولسانه وأمره وحكمه وكلمته وعلمه وحقه، وإذا شئنا شاء الله، ويريد الله ما نريده، ونحن المثاني التي أعطانا الله نبينا، ونحن وجه الله الذي يتقلّب في الأرض بين أظهركم، فمن عرفنا فإمامه اليقين، ومن جهلنا فإمامه سجّين... الخبر». مشارق أنوار اليقين: ص ٢٨٦.

٢ ـ سئل علي عليه السلام عن العالم العلوي فقال: «صور عارية عن المواد، خالية عن القوة والاستعداد، تجلى لها فأشرقت، وطالعها بنوره فتلألأت، وألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله، وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة، إن زكّاها بالعلم والعمل فقد شابهت جواهر أوائل عللها وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد». عيون الحكم والمواعظ: ص ٣٠٤ ب ٤ رقم ٥٤١٨، غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٢٣ رقم ٧٥.

٣ ـ قال أبو جعفر عليه السلام: «فنحن أوّل خلق ابتدء الله، وأوّل خلق عبد الله وسبّحه، ونحن سبب خلق الخلق، وسبب تسبيحهم وعبادتهم من الملائكة والآدميّين، فبنا عُرف الله، وبنا وُحّد

←

فصارت الألفاظ التي يدعو بها الله ولاة أمر الله جميعها أسماء معانيها هي الجواهر المؤثرة دون ألفاظها، كما أن الجسم البارد الرطب السيال هو معنى الماء الذي به حياة الأرض بعد موتها، وجعل الله حياة كل حي به[١]، وكذا الجسم الحار اليابس هو معنى النار المحرق دون لفظه. وهكذا الأمر في جميع الكلمات ومعانيها...

[و] الولاة: جمع الوالي ـ كالرعاة والراعي ـ مضاف إلى أمر الله تعالى، ولهم أوصاف بها يمتازون عن غيرهم... فالمضاف مكتسب التعريف من المضاف إليه، وهو أمر الله تعالى، فالولاة معروفون بأمر الله تعالى، فلو لم يكن الأمر ما عرفوا فبه يُعرفون في ظواهرهم وبواطنهم، وسرهم وعلانيتهم، في جميع مقاماتهم ومراتبهم، وليس لهم شيء غير مضاف، وحقائقهم نفس الإضافة إلى الأمر، كحقيقة قيامك، فإنه نفس الإضافة إليك وليس له وجود إلاّ بإحداثك إياه به ومنه وعليه وإليه وله، فافهم...

بعكس ما مثلنا به، إذ بظاهره أثبت قيام الولاة بالأمر كقيام القيام بك... إذ الفعل قائم بفاعله لا العكس، قال علي عليه السلام في صفته صلى الله عليه وآله وسلم: «**أقامه مقامه في سائر عوالمه**[٢] **في الأداء إذ كان ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾، ولا تحويه**

→

الله، وبنا عُبد الله. وبنا أكرم الله من أكرم من جميع خلقه، وبنا أثاب الله من أثاب، وعاقب من عاقب...». بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٣٠.

١ ـ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾. سورة الأنبياء: ٣٠.

٢ ـ في المصدر: (عالَمه).

خواطر الأفكار، ولا تمثله غوامض الظنون في الأسرار، لا إله إلاّ الله الواحد القهّار[١]»[٢]...

بالجملة، فالأمر المضاف إليه المضاف إلى الكاف غير الذات؛ إذ هي لا تضاف، وذلك الأمر هو المذكور في الكتاب المضاف إلى الضمير.

وينحصر الأمر في المسطور المستور، إذ إليه ترجع الأمور بقوله (جل جلاله وعمَّ نواله): ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾، فالضمير المستتر في (أراد) يرجع إلى الأمر، فهو المُريد، وذلك اسم من الأسماء يُنبئ عن المُسمى[٣]، و﴿**لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾، وهو متعددة لا شك في تعددها ولا تعدد في المسمى... ﴿**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾، قال عليه السلام: «نحن ـ والله ـ الأسماء الحسنى التي أمر الله أن تدعوه بها»[٤]... والتاء للوحدة، مبالغة فيها، إذ بغيرها ثبتتْ ودلت،

---

١ ـ في المصدر: (الملك الجبار).

٢ ـ في خطبةٍ يومَ الغدير، مصباح المتهجد: ص ٧٣٥، إقبال الأعمال: ص ٧٧٤، مصباح الزائر: ١٥٣ ـ ١٥٤ ف ٧، مصباح الكفعمي: ص ٨٠٥.

٣ ـ عن أمير المؤمنين؟ قال: «الكلامُ كُلّهُ: اسمٌ، وفعلٌ، وحرفٌ، فالاسم: ما أنبأ عن المسمى، والفعل: ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف: ما أنبأ عن معنىً ليس باسم ولا فعل». انظر: الفصول المختارة: ٩١، بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ١٦٢، سير أعلام النبلاء:ج٤ ص ٨٤ رقم ٢٨، تاريخ الخلفاء: ٢١٤.

٤ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام: «نحن ـ والله ـ الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلاّ بمعرفتنا». الكافي: ج ١ ص ١٤٤ ح ٤، ونحوه في تفسير العياشي: ج ٢ ص ٤٢ ح ١١٩.

أشهد «أَنّ أَرْوَاحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطِينَتَكُمْ واحِدَةٌ، طابَتْ وَطَهُرَتْ بَعْضُها مِنْ بَعضٍ»[١]. والمراد بالوحدة: الوحدة الجنسية لا الشخصية كما زعمه الجاهلون... أما ترى كثرة الخلق ومع كثرتها قال: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ﴾، أما تشهد أن أرواحهم مع تعددها كانت من طينة واحدة «طابَتْ وَطَهُرَتْ»، وبعض تلك الأرواح المتعددة من جنس البعض الآخر مع تعدد الأبعاض[٢]، كما تشهد أن المصوغات[٣] من الذهب كلها من الذهب لا اختلاف بينها في جنس الذهب، وكلها من ذهب واحد لا يزيد شيء منها في الذهبية كما لا ينقص شيء منها مما به الذهب ذهباً مع اختلاف هيآتها وأوزانها وكبرها وصغرها، فلا تكن من الغافلين.

فكذلك الولاة للأمر المضاف مع تعددهم واختلاف اشخاصهم متّحدون في جنس الأمر المضاف بعضهم من بعض، وليس لأحد من الخلق فيه نصيب، كما لا نصيب لشيء مما صيغَ من الفضة في الذهب فكل ما صيعَ من الذهب ممتاز عما صيغَ من الفضة بالذهبية، فلا تغفل.

فولاة الأمر أيضاً ممتازون عن غيرهم بما لهم نصيب من الأمر وليس لغيرهم فيه نصيب، (فَبَلَغَ اللهُ بِهم أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكَرَّمينَ، وَأَعْلى مَنازِلِ

---

١ ـ فقرة من الزيارة الجامعة الكبيرة.

٢ ـ كما في الزيارة الجامعة الكبيرة وغيرها: «أَشْهَدُ.. أَنَّ أَرْوَاحَكُمْ وَطِينَتَكُمْ وَاحِدَةٌ، طَابَتْ وَطَهُرَتْ بَعْضُها مِنْ بَعْض».

٣ ـ في نسخة: (المصنوعات).

الْمُقَرَّبينَ، وَأرْفَعَ دَرَجاتِ الْمُرْسَلينَ، حَيْثُ لا يَلْحَقُهُم لاحِقٌ، وَلا يَفُوقُهُم فائِقٌ، وَلا يَسْبِقُهُم سابِقٌ، وَلا يَطْمَعُ فى إدْراكِ مَقامِهِم طامِعٌ، حَتّى لا يَبْقى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلا صِدّيقٌ وَلا شَهيدٌ، وَلا عالِمٌ وَلا جاهِلٌ، وَلا دَنِيٌّ وَلا فاضِلٌ، وَلا مُؤْمِنٌ صالِحٌ، وَلا فاجِرٌ طالِحٌ، وَلاجَبّارٌ عَنيدٌ، وَلا شَيْطانٌ مَريدٌ، وَلا خَلْقٌ فيما بَيْنَ ذلكَ شَهيدٌ إلاّ عَرَّفَهُمْ جَلالَةَ أمْرِهِمْ، وَعِظَمَ خَطَرِهِمْ، وَكِبَرَ شَأنِهِمْ وَتَمامَ نُورِهِمْ، وَصِدْقَ مَقاعِدِهِمْ، وَثَباتَ مَقامِهِمْ، وَشَرَفَ مَحَلِّهِمْ وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَ اللّهِ، وَكَرامَتَهُمْ عَلَيْهِ، وَخاصَّتَهُمْ لَدَيْهِ، وَقُرْبَ مَنْزِلَتِهُمْ مِنْهُ)[1].

وسر ذلك كله: أن الأول الحقيقي لا أول له عقلاً ونقلاً، وهو أول صادر منه سبحانه فلا يعقل سابق له إذ لو كان لكان الأول الحقيقي إياه ولا يعقل له لاحق، إذ لو فرض الثاني أولاً لزم أن لا يكون الأول أولاً، فلا يكون الثاني ثانياً؛ وذلك أمر محال ليس في الإمكان له مجال، وكذا الأمر في الثالث والرابع إلى غير النهاية، فيجب أن يكون الأول الحقيقي أولا ويمتنع أن يكون ثانياً، ويجب أن يكون الثاني الحقيقي ثانياً ويمتنع أن يكون أولاً أو ثالثاً، ويجب أن يكون الثالث الحقيقي ثالثاً ويمتنع أن يكون أولاً أو ثانياً أو رابعاً، وهكذا الأمر في جميع مراتب العدد...

فالدرجة الأولى خاصة لمن حل فيها لا توجد في غيرهم، بل هي من حدودهم الذاتية، بها يمتازون عن غيرهم، فمن الحدود التامة الذاتية للولاة

---

١ ـ مقتبس من الزيارة الجامعة الكبيرة.

المضافين إلى أمرك: أنهم هم «**الْمَأْمُونُونَ عَلى سِرِّكَ، الْمُسْتَبْشِرُونَ بِأَمْرِكَ، الْواصِفُونَ لِقُدْرَتِكَ الْمُعلِنُونَ لِعَظَمَتِكَ**».

فهذه الأوصاف الأربعة من الحدود التامة ـ لوُلاة أمر الله سبحانه ـ اثنان منها لا زمان لهم سابقان، والآخران متعديان لاحقان، لو لم يكن الأوليان لم يتحقق الثانيان، ولم يوجد شيء منها في غيرهم إلاّ ما برز منهم إلى غيرهم،

فالأول أنهم هم (المأمونون على سر الله تعالى) دون غيرهم، وسر الله الحقيقي دون الإضافي هو ما أراد الله سبحانه إيجاده قبل الإيجاد، إذ بعد الإيجاد لا يكون سراً بل هو علانية لنفس الموجود بالإيجاد بنفسه.

فالسر الحقيقي هو المخفي عن جميع الخلق، وما هو مخفي عن بعض الخلق دون بعض هو السر الإضافي، فكل مجهول مستور عن الجاهل هو سر إضافي. فالسر الحقيقي، سابق على جميع الخلق قبل الخلق، مودع عند الولاة المأمونين عليه، فصاروا بذلك (عيبة سره وخزنة علمه، ومهابط وحيه) وليس لأحد من الخلق ذلك السر على الحقيقة إلاّ للخلق الأول الذين هم عند الله[1]، ﴿**وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِه وَلا يَسْتَحْسِرُونَ**﴾، إلاّ ما برز منهم عند أحد على نحو الإضافة.

---

١ ـ عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِه ... الآية﴾ قال: «يا مفضل، ألستم تعلمون أن ﴿مَنْ فِي السَّماواتِ﴾ هم الملائكة و(من في الأرض) هم الجان والبشر وكل ذي حركة، فمن الذين فيهم ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ الذين قد خرجوا من جملة الملائكة؟». قال المفضل: من ←

فذلك السر الحقيقي هو علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، بل إلى غير النهاية قبل ما كان وما يكون، فكان ذلك السر مودعاً عندهم قبل القبل في أزل الآزال، وبعد البعد من غير انتقال ولا زوال، إذ كانوا «بكينونته قبل مواقع صفات تمكين التكوين كائنين غير مكونين، موجودين أزليين أبديين»[1]، وليسوا بما هم عليه آلهة من دون الله؛ لأنه سبحانه أحد ليس فيه شائبة العدد ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، وهم معدودون مربوبون، قد تجلي لهم بهم، وبهم امتنع عنهم من غير حركة ولا سكون، ولا تغير ولا إشارة ولا كيف، فصاروا بذلك حجبه، وهو المحتجب.

ويأتي بعد ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ زيادة شرح...

فالأنبياء والمرسلون والملائكة المقربون عليهم السلام وجميع الخلق أجمعون غير متحملين لذلك السر؛ لأنه قبل الخلق، وقد قالوا عليهم السلام: «إن أمرنا سر وسر مستسر بالسر»[2]، و «**إن أمرنا صعب مستصعب... لا يحتمله ملك مقرب ولا**

←

تقول يا مولاي؟ قال: «يا مفضل، ﴿وَمَنْ﴾ نحنُ الذين كنا عنده ولا كون قبلنا ولا حدوث سماء ولا أرض ولا مَلَك ولا نبي ولا رسول». الهداية الكبرى: ص ٤٣٣ ب ١٤.

١ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «كنّا بكينونيته، قبل خلق التمكين في التكوين أوليين أزليين لا موجودين». مشارق أنوار اليقين: ص ٢٥٨.

وفي رواية قال: «كنّا بكينونته قبل الحلول في التمكين وقبل مواقع صفات التمكين في التكوين كائنين غير مكوّنين». الهداية الكبرى: ص ٤٣٣ ب ١٤.

٢ ـ عن الصادق عليه السلام قال: «إن أمرنا سرٌ في سِرٍّ، وسرٌ مستسر، وسر لا يفيده إلاّ سر، وسرّ على

←

نبي مرسل...» قيل: من يحتمله؟ قال عليه السلام: «**نحن**»[١]. فذلك غير السر الذي أوْدَعوه من شاؤوا[٢]، فهو من الأسرار الإضافية كما أشرنا إليه آنفاً.

فبعد استئمانهم ذلك السر الحقيقي، بشّرهم به فصاروا مستبشرين بأمره سبحانه الذي هو التبشير، فبعد ما (استأمنهم على سره واختارهم لعلمه واجتباهم بهداه)[٣]، أمرهم بالتبليغ والأداء لجميع ما أراد الله سبحانه على الاطلاق في التكوين والتشريع في عالم الإمكان والأكوان والأعيان وما يُري وما لا يُري، واستخلصهم له، وأقامهم مقامه في الأداء، كما ورد في الخطبة عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**استخلصه في القدم على سائر الأمم... أقامه مقامه في سائر عوالمه في الأداء، إذ كان ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾، ولا تحويه خواطر الأفكار، ولا تمثله غوامض الظنون في الأسرار**»[٤].

فالمراد بالقِدم: هو قبل خلق الأوقات، والمراد بسائر الأمم: جميع الخلق أجمعين... فالواصف المعلم لجميع العالمين هم (سلام الله عليهم

←

سرٍّ، وسرّ مقنع بالسرّ». مختصر البصائر: ص ٣٣٧ ح ١٣.

١ ـ عن الصادق عليه السلام، وفيه: (إن حديثنا). انظر: بصائر الدرجات: ص ٢٣ ح ١١.

٢ ـ عن الصادق عليه السلام، قيل: فمن يحتمله؟ قال «مَن شئنا...». بصائر الدرجات: ص ٢٢ ح ١٠.

٣ ـ كما في ختام الزيارة الجامعة الكبيرة: «فَبحَقِّ مَنِ ائْتَمَنَكُمْ عَلى سِرِّه، وَاسْتَرْعاكُمْ أمْرَ خَلْقه، وَقَرَنَ طاعَتَكُمْ بِطاعَته».

٤ ـ في خطبةٍ يومَ الغدير، مصباح المتهجد: ص ٧٣٥، إقبال الأعمال: ص ٧٧٤، مصباح الزائر: ١٥٣ ـ ١٥٤ ف ٧، مصباح الكفعمي: ص ٨٠٥.

أجمعين) بالتصريح من غير تلويح... فهم الواصفون لقدرته، وهي الموصوفة. ولهم عليهم السلام في هذا المقام الذي دون المقام الأول مقامان في الوصل والفصل:

أما الفصل: فظاهرٌ، فإنهم عليهم السلام حجج الله على الخلق أجمعين من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين والجن والإنس والشياطين وغيرهم كما هو ثابت في زياراتهم عليهم السلام ولا سيما في الجامعة: «**طَأطَأَ كُلُّ شَريف لشَرَفكُمْ، وبَخَعَ كُلُّ مُتَكَبِّر لطاعَتكُمْ، [وَخَضَعَ كُلُّ جَبّارٍ لفَضْلكُمْ،] وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ، وَاَشْرَقَت الأَرْضُ بنُورِكُمْ**».

وكذا قال عليه السلام: «**حَتّى لا يَبْقى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلا صِدّيقٌ وَلا شَهيدٌ، وَلا عالِمٌ وَلا جاهِلٌ، وَلا دَنِيٌّ وَلا فاضِلٌ، وَلا مُؤْمِنٌ صالِحٌ، وَلا فاجِرٌ طالِحٌ، وَلاجَبّارٌ عَنيدٌ، وَلا شَيْطانٌ مَريدٌ، وَلا خَلْقٌ فيما بَيْنَ ذلكَ شَهيدٌ الاّ عَرَّفَهُمْ جَلالَةَ أَمْرِكُمْ، وَعِظَمَ خَطَرِكُمْ، وَكِبَرَ شَأنِكُمْ وَتَمامَ نُورِكُمْ، وَصِدْقَ مَقاعِدِكُمْ، وَثَباتَ مَقامِكُمْ، وَشَرَفَ مَحَلِّكُمْ وَمَنْزِلَتِكُمْ عِنْدَهُ، وَكَرامَتَكُمْ عَلَيْه، وَخاصَّتَكُمْ لَدَيْه، وَقُرْبَ مَنْزِلَتِكُمْ مِنْهُ**»[1].

وأما في عالم الوصل: فاعلم أن الواصف هو ظهور الموصوف وصفته، ويكشف عن ذلك قولك: (زيد العالم) فالعالم صفة زيد، وظهوره بالعالمية ولولا ظهوره بالعالمية لم يكن عالماً، كما إذا لم يكن ظهوره بالقائمية لم يكن قائماً، فالعالم والقائم ظهوران لزيد بالعلم والقيام، واصفان له بهما،

---

١ ـ فقرة من الزيارة الجامعة الكبيرة.

قائمان به قيام صدور[١]، فاسم الفاعل مشتق من الفعل، وهو من لوازم الفعل، فإذا فعل زيد صار فاعلاً بتّةً، ويمتنع أن يفعل زيد ولم يصر فاعلاً، فالفاعل الذي هو اسم الفاعل يحكي عن الفاعل الذي فعل، وضمير (فعل) راجع إليه، فتدبر فيما أقول لتصل إلى المأمول...

وكذا «**الْمُعلنُونَ لعَظَمَتكَ**»، فهو صفة أخري للولاة عليهم السلام.

وهم «**الْواصِفُونَ**»، إلاّ أن الإعلان أبلغ من الوصف، والعظمة أعظم من القدرة وأوقع في النفوس للتمكين. فجميع القدرة وجميع العظمة المتعلقَين بالعوالم في التكوين والتشريع راجعتان إلى الواصفين والمعلنين الحقيقيين.

وأما الإضافيات فراجعة إليهم عليهم السلام، «**إيَابُ الْخَلْقِ اَلَيْكُمْ، وَحِسابُهُمْ عَلَيْكُمْ**»[٢]، فهم لسان الله الواصف المعلن في إظهار أمره وقدرته وعظمته، وتمام ما أراد إظهاره في عوالمه سبحانه.

وكما أن اللسان لا يتحرك بنفسه إلاّ أن تُحركه الروح فيتحرك، كذلك حال الواصفين المعلنين، لم يَصفوا ولم يُعلنوا إلاّ بالروح الذي نُفخ فيهم، وهو الروح من أمر الله تعالى كما قال: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾، والذي نفخ في آدم (على نبينا وآله وعليه السلام) وأمر الملائكة

---

١ ـ قال الشيخ الأوحد رحمه الله: قيام الصدور: كقيام نور الشمس بالشمس، ومعناه: قيام الشيء بايجاد موجده بحيث لايتحقّق في مُدة أكثر من مدّة إيجاده، وذلك كنور الشمس وكالصورة في المرآة. شرح العرشية: ج ١ ص ٢١٠ طبع كرمان، ص ٣١٣ طبع بيروت.

٢ ـ فقرة من الزيارة الجامعة الكبيرة.

بالسجود له فهو ظهور من ظهوراته، فلذا قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ولم يقل (فإذا نفخت فيه روحي)، فالروح بكلّه مخصوص بوُلاة الأمر.. وهو الروح المضاف إلى الله تعالى، فهم ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾، فالتوصيف والإعلان وإن برز من اللسان إلاّ أنه لا حركة له إلاّ بالروح، والروح هو الواصف المعلن حقيقةً، «والقي في هوية اللسان مثاله وأظهر عنه أفعاله»[1]، فهو المتكلم وهو الناطق حقيقةً بعد حقيقة[2]، وهي الحقيقة الثانية، فلأجل

---

١ ـ سُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن العالم العلوي فقال: «صور عارية عن المواد عالية عن القوة والاستعداد، تجلى لها فأشرقت، وطالعها فتلألأت، وألقى في هويتها مثاله، فأظهر عنها أفعاله، وخلق الانسان ذا نفس ناطقة». عيون المواعظ والحكم: ص ٣٠٤ ب ١٤ رقم ٥٤١٨، غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٢٣ رقم ٧٥، مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ٦٠.

٢ ـ أي يستعمل لفظ الشمس على القرص السماوي على الحقيقة أولاً ثم يستعمل على النور الواقع على الأرض ثانياً على الحقيقة، وهكذا على كل نور بعد نور على الحقيقة بعد الحقيقة، أي من باب الوضع الخاص والموضوع له العام. مجموعة الرسائل (الحاج محمد كريم): ج ٧٠ ص ٣٠٠ في (جواب أسئلة عباس ميرزا ملك آرا).

وهذا الذي سميناه بـ(الحقيقة بعد الحقيقة) وهو الوضع الخاص والموضوع له العام، وهناك قسمان آخران صحيحان هما الوضع الخاص والموضوع له العام، والوضع الخاص والموضوع له الخاص... وأما قولنا: (إن الحقيقة الثانية عارية اسمها وإطلاقها عليها حقيقة) فلأن علامة الحقيقة موجودة، وهي عدم صحة السلب، مثاله: النور، فإنه اسم للمنير وللشعاع، فإن إطلاقه على كل واحد منهما حقيقة؛ لعدم صحة السلب الذي وجوده دليل على المجاز، فلا يجوز لك أن تقول: إن الشعاع ليس بنور. ومثال آخر: أن اليد في قوله:

←

ذلك نَسب النطق إلى الأمر المضاف والمشية في قوله عليه السلام: «أَسأَلُكَ بِما نَطَقَ فيهِمْ مِنْ مَشيَّتِكَ».

ففاعل الفعل المبهم مبين بقوله: «مِنْ مَشيَّتِكَ»، فتلك المشية هي الأمر المضاف كما في قوله: ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾، وكما في قوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، وكما في قوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾، فافهم...

فالمشية المضافة هي الذكر الأول كما روي عنهم عليهم السلام[1].

والأول الحقيقي لا أول له، والأوائل الإضافية هي الثواني والثوالث وهكذا، وهو غير الآخر، وهو غير الأول، وهما اثنان، فهما اسمان من أسماء الله تعالى، وقد بطن الأول في الآخر، و﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآَخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

→

﴿بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ﴾ اسم للقدرة حقيقةً حيث إن إثبات الجارحة لله تعالى باطل، وإطلاقها على الجارحة حقيقة؛ لعدم صحة السلب عنها. جواهر الحكم: ج١٥ ص ٧٢ (دروس ليلة ١٧ رمضان ١٢٥٧ هـ).

١ ـ عن يونس بن عبد الرحمن، عن الرضا عليه السلام قال: «يا يونس، أتعلم ما المشية؟»، قال: لا، قال: «هي الذكر الأول. فتعلم ما الإرادة؟»، قال: لا، قال: «هي العزيمة على ما يشاء. فتعلم ما القدر؟»، قال: لا، قال: «هي الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء»، ثم قال: «والقضاء هو الإبرام وإقامة العين». الكافي: ج ١ ص ١٥٨ ح ٤.

والولاة المضافون حاملون لجميع ذلك، «**بِكُمْ فَتَحَ اللهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ**»، وهم الفواتح، وهم الخواتيم، إذ هم المهيمنون (على) ذلك كله[١]، والذكر الأول الحقيقي هو قول الله الذي به قال له ـ كما روي عنهم عليهم السلام ـ «**خلق الله المشية بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشية**»[٢]، وكما روي عنهم عليهم السلام: «**تجلى لها بها، وبها امتنع منها، وإليها حاكمها**»[٣].

فجميع أقوال الله وأذكاره وكلماته وآياته وكتبه المُنزلة إلى أنبيائه ورسله عليهم السلام راجعة إلى الذكر الأول الحقيقي، وهي المضافات إليه، وهو المشيّة المضافة إلى الكاف[٤] غير مضافة إلى شيء آخر، وهو كافٍ لها، مغنيها عن غيرها...

---

١ ـ جاءت هذه العبارة في بعض الزيارات، ومنها:

* زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مصباح الكفعمي: ص ٥٥٥، البلد الأمين: ص ٢٧٧.

* وزيارة النبي وفاطمة (صلوات الله عليهما وآلهما)، مصباح الكفعمي: ص ٥٩٠.

* وزيارة أمير المؤمنين عليه السلام، كامل الزيارات: ص ٤٢ ب ١١ ح ١، من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٥٨٨ ح ٣١٩٧، مصباح المتهجد: ص ٧٤١.

* وزيارة الحسين عليه السلام، الكافي: ج ٤ ص ٥٧٢ ح ١، كامل الزيارات: ص ٢٠١ ح ٣، ص ٢٣١ و ٢٣٢ ح ١٧.

* وزيارة الرضا عليه السلام، كامل الزيارات: ص ٣١٠ ب ١٠٢ ح ١، الفقيه: ج ٢ ص ٦٠٣ ح ٣٢١٠.

* وفي زيارةٍ عامة للأئمة عليهم السلام، كامل الزيارات: ص ٣١٧ ب ١٠٤ ح ٢.

٢ ـ الكافي: ج ١ ص ١١٠ ح ٤، التوحيد: ص ١٤٧ ـ ١٤٨ ب ١١ ح ١٩.

٣ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام، نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٨٥.

٤ ـ في قوله تعالى: ﴿كُنْ فَيَكُون﴾.

بالجملة، فالذكر الأول الحقيقي نطق في الولاة وهم نطقوا لغيرهم من الروحانيين والملائكة والأنبياء والمرسلينَ والمرسَل إليهم من الجن والإنس أجمعين، ﴿**إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**﴾.

فلأجل ذلك قال (روحي فداه وعليه وعلى آبائه آلاف الثناء): «**فَجَعَلْتَهُمْ مَعادِنَ لِكَلِماتِكَ**».

وذلك لحصر نطق المشية فيهم ونطقهم لسائر الكلمات لسائر الخلق أجمعين، فالولاة معادن لجميع كلماته، والجمع المضاف يفيد العموم، كما أنهم «ولاة أمره»، فالمتكلم معدن الكلام، والوالي معدن الولاية، كما أنه جار في جميع الملك والملكوت، سارٍ في الجميع الخلق... فالحار معدن الحرارة، والبارد معدن البرودة، والرطب معدن الرطوبة واليابس معدن اليبوسة، والنبات معدن الجذب والإمساك والهضم والدفع، والربا والزيادة والنقصان والجاذبة معدن الجذب، والماسكة معدن الإمساك، والهاضمة معدن الهضم، والدافعة معدن الدفع، والمربية معدن الربا، والزائد معدن الزيادة، والناقص معدن النقصان.

وكذلك الحيوان معدن السمع والبصر والشم والذوق واللمس والشهوة والغضب، فالسامعة معدن السمع، والباصرة معدن الابصار، والشامة معدن الشم، والذائقة معدن الذوق، واللامسة معدن اللمس، والشاهية معدن الشهوة، والغُضوب معدن الغضب وكذلك الأمر في النفس المثالي البرزخي فهي معدن التصور والتخيل والتفكر والتوهم، والإنكار والتصديق، والحفظ. فالمتخيلة معدن التخيل، والمتفكرة معدن التفكر، والمتوهمة معدن التوهم،

والمصدقة معدن الحكم في الايجاب والنفي، والحافظة معدن الحفظ، وكذلك الحال في النفس الملكوتي فهي معدن العلم والحلم والذكر والفكر والنزاهة والحكمة، فالعليم معدن العلم، والحليم معدن الحلم، والذكور معدن الذكر، والفكور معدن الفكر، والنزيه معدن النزاهة، والحكيم معدن الحكمة، وكذا العاقل معدن العقل، والجاهل معدن الجهل، والقول الكلي الجامع والحد التام الجامع المانع، كل فاعل معدن فعله، وفعله أثره صادر منه عائد إليه...

فالولاة المضافون إلى أمر الله (تبارك وتعالى) هم (أولو الأمر) وهم الناطقون عنه، وهم المتكلمون، والنطق نطقهم والكلمات كلماتهم، وهي آثارهم، وهم معادنها... وهم بأنفسهم مخلوقون، كما أن نطقهم وفعلهم وعملهم مخلوق...

فالولاة أمرهم أمر الله، وولايتهم ولاية الله، ونطقهم نطق الله، وكلامهم كلام الله، وفعلهم فعل الله، وقولهم قول الله، وأمرهم أمر الله، ونهيهم نهي الله واطاعتهم اطاعة الله، ومخالفتهم مخالفة الله، ومبايعتهم مبايعة الله، ويدهم يد الله، وهدايتهم هداية الله، ومشيتهم مشية الله، ورميهم رمي الله، وقتلهم قتل الله، **مَنْ أرادَ اللهَ بَدَأَ بِهِمْ، وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْهُمْ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِهِمْ، وَالْحَقُّ مَعَهُمْ وَفيهِمْ وَمِنْهُمْ** وبهم، يدور معهم حيث ما داروا، فمعهم معهم لا مع غيرهم، **إنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أوَّلَهُ وَأصْلَهُ وَفَرْعَهُ وَمَعْدِنَهُ وَمَأواهُ وَمُنْتَهاهُ، بأبى أنْتُمْ وَأمّي وَنَفْسي** ومالي وأسرتي).

والقول الكلي الحق الذي لا مخصص له في شيء [هو] كل ما أراد الله

سبحانه أن يصل إلى جميع خلقه في العالمين...

فلأجل تلك الإشارة لأهل البشارة قال (روحي له الفداء، عليه وعلى آبائه الكرام الصلاة والسلام والثناء): «**وَأَرْكاناً لِتَوْحيدِكَ**».

لأنه (تبارك وتعالى) أمر الخلق بتوحيده سواء كانوا أنبياء مرسلين أم الملائكة أم الجن أم الناس أجمعين، بل الخلق في العالمين، فما لم يصف الولاة الواصفون صفاته الكمالية التي تليق بها لم يشعر أحد من خلقه بكنه عظمته، كما أخبر في القدسي عن نفسه: «**كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق لكي أُعرف**»[1]، وذلك التوصيف أعم من أن يكون قولاً أو فعلاً أو تقريراً كما هو مقرر في محله[2]، وقد تمسك بكل واحد من

١ـ مشارق أنوار اليقين ص ٤١، جامع الأسرار: ص ١٠٢، الكلمات المكنونة: ص ٣٣، بحار الأنوار: ج ٨٤ ص ١٩٩ و٣٤٤، وشطر منه من مناجاة النبي داوود عليه السلام في معارج نهج البلاغة (البيهقي): ص ٧٥، وأسرار الإمامة (للطبري): ص ٢٨.

ويؤيده ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: «إن الله «تبارك وتعالى) لا تُقدّر قدرته و لا يَقدر العباد على صفته، ولا يبلغون كنه علمه ولا مبلغ عظمته، وليس شيء غيره، هو نورٌ ليس فيه ظلمة، وصدق ليس فيه كذب، وعدل ليس فيه جور، وحق ليس فيه باطل، كذلك لم يزل ولا يزال أبد الآبدين، وكذلك كان إذ لم يكن أرض ولا سماء ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر ولا نجوم ولا سحاب ولا مطر ولا رياح، ثم إن الله (تبارك وتعالى) أحب أن يَخلُقَ خلقاً يُعظّمون عظمته ويكبّرون كبرياءه ويجلّون جلاله، فقال: كونا ظلين فكانا كما قال الله (تبارك وتعالى) ». التوحيد: ص ١٢٨ ـ ١٢٩ ب ٩ ح ٨.

٢ ـ الأصول المهمة في شرح الحكمة ـ للمصنف رحمه الله ضمن (الرسائل): ج ١ ص ٢٤٩.

الثلاثة جميع العلماء الأبرار والحكماء الأخيار، حتى الفقهاء (رضوان الله عليهم) في فقههم، فتدبر فيما مرّ آنفاً أن (كل فاعل معدنٌ لفعله) تصل إلى المرام وتشاهد المقام لأولئك الأعلام (عليهم الصلاة والسلام..).

[أركان التوحيد]

فاعلم أولاً وتدبر... أن **العلم** ركن من أركان التوحيد، فإن الجاهل لا يقدر على خلق الخلق المنظّم المحكم، كما ترى أن الذي خلق للجنين في بطن أمه أعضاء وجوارح من الرأس إلى الرجل، والأجزاء من كل عضو من الرأس إلى القدم، علمَ أنه يخرج من البطن إلى صحن العالم، وعلم أنه يحتاج في ذلك الفضاء إلى الانتقال من مكان إلى مكان، فخلق له الرجل بحيث ينبغي له ويقدر على الانتقال قبل خروجه إلى ذلك الفضاء واحتياجه إلى حركة وانتقال من حال إلى حال.

فالجاهل بعواقب أمور الجنين جاهل بأنه يحتاج بعد حين إلى انتقال من مكان إلى مكان، فلا يقدر على خلق رجل له بحيث يحصل منها الحاجة بعد الخروج إلى الفضاء.

وقس عليها سائر الأعضاء، فهو عالمٌ بأنه سيحتاج إلى قبض وبسط في الفضاء، وإلى أكل وشرب واكتساب، فخلق له اليدين قبل ذلك بعلم سابق له سبحانه قبل ذلك، والجاهل عاجز عن علم ذلك.

وعلى فرض قدرته على شيء يجري فعله عن غير علم بما يحتاج إليه الجنين بعد حين، وكذلك أنه سبحانه عالم بأنه سيحتاج إلى أكل وشرب

من غذاء هنيء وماء معين بعد جذبه الدم من سرته بعد حين، فخلق له الفم واللسان والحلق والمعدة والأمعاء وغير ذلك مما يحتاج إليه من آلات الجذب والإمساك والهضم والدفع وغير ذلك، و﴿**ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾. والجاهل جاهل عاجز عن إجراء فعله على هذا النظم المحكم.

وكذلك انه سبحانه عالم بأنه سيحتاج إلى النظر والرؤية فخلق له العين لتمييز النور والظلمة وإدراك الألوان والأشكال، والجاهل جاهل عاجز عن إجراء فعله مجرى ذلك.

وكذلك انه سبحانه عالم بأنه سيحتاج إلى السمع والاستماع فخلق له الأذن والسمع الواعي.

وكذلك أنه سبحانه عالم بأنه يحتاج إلى الذوق والشم واللمس فخلق له الذائقة والشامّة واللاّمسة على ما ترى، والجاهل أعجز من أن يُجري فعله على نظمٍ قد عجز الحكماء البالغون عن إدراك جميع حكمته (تبارك وتعالى). **فالعلم** ركن من أركان التوحيد لا ينكره إلاّ العنود العنيد...

وكذلك **القدرة** ركن من أركان التوحيد، فما أوضح أمرها في وجوب وجودها لمن أوجد ما سواه [سبحانه] بجوده، وما أبين لزومها للذي صورهم بكرمه، وما أبْدَهَ ـ لذي مَسكة[1] فضلاً عن العاقل ـ أن العاجز عاجز غير قادر على إيجاد شيء بعجزه، **فالقدرة** أيضاً ركن من أركان التوحيد.

---

١ ـ في نسخة: (ما أبْدَهَ لدى ذي مسكة).

و كذلك **الحكمة** ركن من أركان التوحيد؛ إذ بدونها لا يجري الفعل على هذا النظم المحكم الذي عجز الحكماء عن بلوغ جميع وجوه حكمته.

وكذلك **الإرادة والاختيار** وعدم الاضطرار إلى فعل شيء [هي] ركن من أركان التوحيد؛ إذ الفاعل المضطر الموجب لا يُسأل أن يُغيّر فعله، إذ لا يقدر أن يغير، إذ القادر على تغيير فعله هو المختار دون المضطر.

فالذي أرسل الرسل وأنزل الكتب وأمر بالتبليغ والتعليم للجُهّال الغافلين أن يسألوه ويدعوه بقوله: ﴿**قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ**﴾، وبقوله: ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾، له أن يغيّر فعله السابق بدعاء داعٍ لاحقٍ، فهو المُريد المُختار في فعله غير مضطرٍ إلى شيء، وجميع أوامره ونواهيه الجارية على ألسنة حججه عليهم السلام كاشفة عن ذلك، فتدبر تجده كذلك... ﴿**كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾، و«**لاَ يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ**»[1]، وكل شأن غير سائر الشؤون، فهو المُريد المُختار الحقيقي في فعله، فله (إن شاء فعل وإن شاء ترك)[2]، وليس لشيء إن شاء فعل ﴿**إلاّ أن يشاء الله**﴾، وإن شاء ترك ﴿**إلاّ أن يشاء الله**﴾...

وكذلك رحمته «**الَّتي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**»، وقوته، وجبروته، وعزته، وعظمته، وسلطانه، «**الَّتي مَلأَتْ أَرْكانَ كُلِّ شَيءٍ**» كما تدعو بها، وتتوسل بها، وتُقسم بها على الله (تبارك وتعالى) في دعاء كميل وسائر الأدعية التي

١ـ كما ورد في كثير من الأدعية: «يَا مَنْ لاَ يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ».

٢ـ كذا عرّفوا القادر، انظر: كشف المراد: ص ٣١١، شوارق الإلهام: ج ٢ ص ٥٠٠ ف ٢ م ١.

وردت عن خير البرية عليه السلام، وسائر المفاعيل المطلقة التي هي آثار أفعال الله (تبارك وتعالى) ـ سواء كانت لازمة أم متعدية كالعلم المشتق من (عَلم) والخلق المشتق من (خَلق) ـ كلها أركان التوحيد، وعددها بعدد الأسماء الحُسنى والأمثال العُليا التي هي الصفات الكمالية لله (تبارك وتعالى)، و[التي] يختلف تعدادها بملاحظة الكلية والجزئية والأكبرية والأصغرية والأعظيمة والعظيميّة، كلها أركان لتوحيده، وكل واحد منها ركن من الأركان بحيث لوعُدم ركنٌ عُدمت سائر الأركان، فكل واحد قائم بنفسه مقيم للباقي، فكلها قائمة.

أما ترى أنه لو لم يكن العلم لاختل نظام الخلق؟ وكذا القدرة، والحكمة، والرحمة، وأمثالها، فلأجل ذلك يجب الاعتقاد بكلها، ولأجل ذلك إن اعتقد معتقد بعضها وأنكر بعضاً آخر لم يكن موحداً، ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**﴾، ألا ترى أنه إذا كان زيد عالماً عاملاً عادلاً في الواقع وأنكر أحد واحدةً من صفاته [فقد] أنكر زيداً العالم العامل العادل الذي كان في الخارج.

وإن أقر ببعض صفاته وأنكر الأُخَر فقد أقر بزيد الذي توهّمه في خياله وأثبت بعض الصفات له وأنكر الأُخَر، وليس في الواقع الخارج زيد كما توهّمه، فتدبر وتبصر.

فمن أقر بجميع صفاته الكمالية فإنه المؤمن الموحد لله (تبارك وتعالى) في الواقع، فالذي أنكر واحداً منها ـ كعدله مثلاً ـ فإنه توهّم في نفسه إلهاً ظالماً و﴿**اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ**﴾، وليس هواه بإله في الواقع، ﴿**أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا**

﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾، فلأجل ذلك لم يكن أحد من أهل الضلال موحداً اللّهَ (تبارك وتعالى)...

[أولياء الله أركان هم توحيده]

بالجملة، فإذا عرفت ـ إن شاء الله ـ أن المفاعيل المطلقة الصادرة من أفعال الله (تبارك وتعالى) كلها أركان التوحيد، فما زعمك في نفس الأفعال؟ فهي أولى وأجدر بأن تكون أركاناً لتوحيده، وما زعمك في حق مَحَال تلك الأفعال ومعادن تلك الأنوار؟ وقد ضربنا لك الأمثال آنفاً في الفقرة الماضية..

وقد نبه بذلك سيد الشهداء (عليه وعلى جده وأبيه وأمه وأخيه والأئمة من بنيه آلاف الثناء، روحي لهم الفداء) في دعائه المروي في (البلد الأمين): «**اللَّهُمَّ منْكَ الْبَدْءُ وَلَكَ الْمَشيَّةُ، وَلَكَ الْحَوْلُ وَلَكَ الْقُوَّةُ، وَأَنْتَ اللَّهُ الَّذي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، جَعَلْتَ قُلُوبَ أَوْلِيَائِكَ[1] مَسْكَناً لمَشيَّتِكَ، وَمَكْمَناً لإِرَادَتِكَ، وَجَعَلْتَ عُقُولَهُمْ مَنَاصبَ أَوَامرِكَ وَنَوَاهيكَ، فَأَنْتَ إِذَا شئْتَ مَا تَشَاءُ حَرَّكْتَ منْ أَسْرَارِهِمْ كَوَامنَ مَا أَبْطَنْتَ فيهِمْ، وَأَبْدَأْتَ منْ إِرَادَتِكَ عَلَى أَلْسنَتِهِمْ مَا أَفْهَمْتَهُمْ به عَنْكَ في عُقُودهِمْ بعُقُولٍ تَدْعُوكَ وَتَدْعُو إِلَيْكَ بحَقَائِقِ مَا مَنَحْتَهُمْ به...**إلى آخر الدعاء»[2].

---

١ ـ في الشرح المطبوع: (أنبيائك).

٢ ـ في قنوت الإمام عليه السلام، مهج الدعوات: ص ٦٨.

فالمشيّة المطلقة المضافة ساكنةٌ في قلوب أوليائه (سبحانه وتعالى)، والإرادة المطلقة المضافة كامنةٌ فيها قائمةٌ بها قيامَ قيامكَ بكَ قيامَ صدور[1]، وكما أن قيامك ساكن فيك وأنت مَسكنه ومعدنه، وإرادة القيام كامنة في قلبك فإذا شاء الله (تبارك وتعالى) إحداث قيامك حرّك ما في قلبك مما أبطن فيه من إمكان قيامك فتريده، ثم تقوم وأنت الفاعل لقيامك وحدك لا شريك لك، وهو صادر عنك غير صادر من غيرك.

فأنت محمود بقيامك عند الله (تبارك وتعالى) وعند الخلق إن كان [القيام] مأموراً به، وأنت مذموم به عند الله (تبارك وتعالى) وعند الخلق إن كان منهياً عنه؛ إذ أنت فاعله وحدك، بدؤه منك وعوده إليك، إيابه اليك وحسابه عليك، بمقتضى عدله وحكمه وحكمته، ﴿**لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى**﴾، وبمقتضى ﴿**إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا**﴾، ﴿**لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾، ﴿**وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾...

وأنت وقيامك وجميع أفعالك الصادرة عنك مخلوقات لله (سبحانه وتعالى) بمقتضي إخباره عن نفسه (جل جلاله)، ﴿**قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾، ﴿**خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾، فتدبر...

---

١ ـ تقدم معناه في صفحة ٣٨ الهامش رقم ١.

[أفعال الخلق ليست ذات الخالق]

فاعلم وتدبّر وتفكّر وتذكّر أن الأفعال الصادرة عن الخلق أجمعين غير منافية لخلق الله رب العالمين، فهم غير مشاركين له في الخلق وفي شيء مما له... وقد أخبر عن ذلك بقوله: ﴿**كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِه**﴾، وذلك بديهي للعقول بأن للخلق أفعالاً صادرة عنهم وهم فاعلون، ومع ذلك هم مخلوقون محتاجون إلى خالق يخلقهم ويخلق أفعالهم بأيديهم.

فتفكر ولا تغفل بأن أمثال عيسى (على نبينا وآله وعليه السلام) إذا فعلوا ما فعل عيسى كما أخبر به بقوله: ﴿**وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى**﴾ بإذن الله تعالى، فإذا فعلوا ذلك فذلك كسائر أفعالهم، صادرة عنهم عليهم السلام كسائر أفعال سائر الخلق الصادرة عنهم، فهم عليهم السلام غير مشاركين للخالق (جل جلاله)، كما أن سائر الخلق ـ مع صدور أفعالهم عنهم ـ غير مشاركين له (جل جلاله).

[نفي الألوهية عن أولياء الله]

فليس عيسي والأئمة عليهم السلام آلهة من دون الله، كما أن سائر الخلق ليسوا بآلهة من دون الله، فتدبر في ذلك؛ لئلا تكون غالياً في حق عيسي والأئمة عليهم السلام، ولا منكراً لفضائلهم، ولا مُزيلاً لمراتبهم التي رتبها الله تعالى

لهم عليهم السلام فهم «**النمرقة الوسطى**. ولزم أن **يرجع إليهم الغالي** وأن **يلحق بهم التالي**»[١]... فإن «**اليمين والشمال مَضلّة، والطريق الوسطى هي الجادة**»[٢]...

فتدبر في قوله (تبارك وتعالى): ﴿**قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ**﴾، فهو قابض جميع الأرواح من الأبدان إلاّ من شاء الله، وهو المتوفي، والتوفي فعلٌ صادر منه، وهو فاعله، وهو غير مشارك لله (تبارك وتعالى) في الإماتة، وهو سبحانه مميت الأحياء وحده لا شريك له، وكذا كل قاتل فاعل القتل، والقتل صادر منه، وكل مقتولٍ مقتولُ قاتله وليس القاتلون مشاركين لله سبحانه في الإماتة، وليسوا بآلهة من دون الله، بل إن كانوا قاتلين بغير حق أُخذوا وقُتّلوا تقتيلاً ﴿**الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى**﴾... فلولم يكن القاتلون بغير حق فاعلين صدر منهم القتل فَلِم صاروا مؤاخذين؟ ومن أنكر نسبة القتل إليهم فقد صار كافراً برب العالمين.

وربما سمي القتل بالاماتة كما سُمي فعل عيسي وأمثاله عليهم السلام بالخلق والإحياء، وكما سمي الإعطاء بالرزق في قوله تعالى: ﴿**وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ**﴾. ومع ذلك كله هو ﴿**الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ**

---

١ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «نحن النمرقة الوسطى، بها يلحق التالى وإليها يرجع الغالي». نهج البلاغة: قصار الحكم، رقم ١٠٩.

قال الطريحى: استعار عليه السلام لفظ النّمرقة بصفة الوسطى له و لأهل بيته باعتبار كونهم أئمّة العدل، يستند الخلق اليهم في تدبير معاشهم ومعادهم. مجمع البحرين: ج ٥ ص ٢٤٢.

٢ ـ الكافي: ج ٨ ص ٦٨ ح ٣٣.

يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، وليس له شريك في الملك ولا في الخلق ولا في الرزق ولا في الإماتة ولا في الإحياء. فإن تحيّرت في ذلك فألق إليّ السمع حتى تشاهد وتكون من الفائزين إن شاء الله رب العالمين.

[مبدأ كل فعلٍ فاعلُهُ]

فاعلم أن كل فاعل ـ كائناً ما كان بالغاً ما بلغ ـ سواء كان مادياً أم مجرداً روحانياً أم جسمانياً غيبياً أم شهادياً يكون مبدأً لفعله ومسكناً ومَكْمَناً ومَحلاً له، كالعلم فإن مبدأه العالم، والعقل فإن منشأه العاقل، والقيام فإن مسكنه القائم، والمشي فإن مَكمنه الماشي، والقعود فإن مقره القاعد، وهكذا الأمر في كل فاعل بالنسبة إلى فعله، فكل صفة تشهد أنها غير الموصوف والموصوف فاعلها وهي ليست بشيء إلاّ بإحداث فاعلها، وكل موصوف يشهد أنه غير الصفة، وهو مُحدثها، وكلاهما يشهدان بالاقتران والتركيب الممتنعين عن الأزل البسيط الذي ليس فيه شائبة التركيب والاقتران بنحو من الأنحاء ولو كان بالاعتبار والفرض العقليين.

وقد صرح بذلك أمير المؤمنين(عليه صلوات المصلين) وسائرالأئمة عليهم السلام فقال (صلوات الله عليه وآله): «كمال التوحيد نفي الصفات عنه؛ **لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة**»[1].

---

١ ـ قال عليه السلام: «أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده،

←

[ورُويَ:] (وشهادة الصفة والموصوف بالاقتران وشهادته بالحدوث الممتنع عن الأزل فالأزل)[1]، سبحانه ليس بمبدأ شيء من الأشياء ـ كائناً ما كان ـ ولا مسكناً ولا مكمناً ولا محلاً ولا منشاً، وهكذا لبساطته الحقية التي ليس فيها شائبة الحدوث والتركيب والاقتران؛ إذ كل ما يمكن في الحدوث يمتنع فيه، كما أن كل ما يجب فيه من البساطة يمتنع في الحدوث، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ كائناً ما كان، والأشياء ـ كائنة ما كانت ـ مركبةً محدثةً.

فالفواعل كلها مبادئ لأفعالها ومساكن لآثارها ومكامن لأنوارها، وهو سبحانه ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ بلا اقتران ولا تركيب ولا حدوث، فهو خالق الفواعل والجاعل لأفعالها بأيديها، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وهو موصوف بالصفات في مرتبة الصفات... كما برهن به أمير المؤمنين وسائر الأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين)...

←

وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة». نهج البلاغة: الخطبة الأولى.

١ ـ قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: «وشهادة كل مخلوق أن له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف، وشهادة كل صفة وموصوف بالاقتران، وشهادة الاقتران بالحدث، وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدث». انظر: التوحيد: ص ٣٥ ب ٢ ح ٢، عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ١٥٣ ب ١١ ح ٥١.

بالجملة، فتدبر حتى يتبين لك الحق [أن] الذات الذي ليس مسكناً ولا مكمناً لشيء، فالمساكن آياته والمكامن علاماته «**الَّتي لا تَعْطيلَ لَها في كُلِّ مَكان**» يعرفه بها من عرفه، كما يأتي إن شاء الله تعالى.

فالقضاء المثبت: ما استأثرتْ به مشيتهم، والممحو: ما لا استأثرت به إرادتهم، كما ورد في (زيارة آل يس) المروية عن صاحب الزمان (عليه وعلى آبائه صلوات الملك المنان، عجل الله فرجه): «**الْقَضَاءُ الْمُثْبَتُ مَا اسْتَأثَرَتْ به مَشيَّتُكُمْ، وَالْمَمْحُوُّ مَا لاَ اسْتَأثَرَتْ به سُنَّتُكُمْ**»[1].

وكما ورد في سائر الزيارات بألفاظ مختلفة ومعان متحدة، منها: ما ورد في زيارة سيد الشهداء (صلوات الله عليه): «**مَنْ أَرَادَ اللَّهَ بَدَأَ بكُم، وبكُمْ يُبَيِّنُ اللَّهُ الْكَذبَ وَبكُمْ يُبَاعدُ اللَّهُ الزَّمَانَ الْكَلبَ... وَبكُمْ فَتَحَ اللَّهُ، وَبكُمْ يَخْتمُ اللَّهُ، وَبكُمْ يَمْحُو** (الله) **مَا يَشَاءُ وَبكُمْ يُثْبتُ، وَبكُمْ يَفُكُّ الذُّلَّ منْ رقَابنَا، وَبكُمْ يُدْركُ اللَّهُ ترَةَ كُلِّ مُؤْمنٍ يُطْلَبُ بهَا، وَبكُمْ تُنْبتُ الأَرْضُ أَشْجَارَهَا، وَبكُمْ تُخْرجُ الأَشْجَارُ أَثْمَارَهَا، وَبكُمْ تُنْزلُ السَّمَاءُ قَطْرَهَا وَرزْقَهَا، وَبكُمْ يَكْشفُ اللَّهُ الْكَرْبَ، وَبكُمْ يُنَزِّلُ اللَّهُ الْغَيْثَ، وَبكُمْ تَسيخُ الأَرْضُ الَّتي تَحْملُ أَبْدَانَكُمْ، وَتَسْتَقرُّ جبَالُهَا عَنْ مَرَاسيهَا، إرَادَةُ الرَّبِّ في مَقَادير أُمُوره تَهْبطُ إلَيْكُمْ وَتَصْدُرُ منْ بُيُوتكُمْ، وَالصَّادرُ عَمَّا فَصَلَ منْ أَحْكَامِ الْعبَاد**... إلى آخر الزيارة»[2].

---

١ ـ المزار الكبير: ص ٥٧١، مصباح الزائر: ص ٤٣٣.

٢ ـ كامل الزيارات: ص ١٩٩ ب ٧٩ ح ٢، الكافي: ج ٤ ص ٥٧٦ ـ ٧٧ ح ٢، من لا يحضره

←

وهذه الفقرات وفقرات (خطبة البيان)[١] تشعّبت من أصل واحد...

فانظر ماذا ترى؟! وما الفرق بين قوله عليه السلام: «**أنا مُورق الأشجار، وأنا مُونع الثمار**»[٢]، وبين قوله: «**بِكُمْ تُنْبِتُ الأَرْضُ أَشْجَارَهَا، وَبِكُمْ تُخْرِجُ الأَشْجَارُ أَثْمَارَهَا**»؟ ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**﴾...

بالجملة، فتدبروا في هذه الآيات البينات ولا تكونن من الخاسرين، ففتحَ الله المُلكَ بهم وختمَ بهم، وهم المهيمنون بين الفتح والختم، فبهم يبين الله الكذب، وهم لسان تبيينه، وبهم «**يُبَاعِدُ اللَّهُ الزَّمَانَ الْكَلِبَ**»، وهم يده في التبعيد، وبهم ﴿**يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ**﴾، وهم الماحون، وبهم يثبت ما يشاء، وهم المثبتون.

فقوله عليه السلام: «**لولا آية في كتاب الله ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ لأخبرتكم بما كان وما يكون**»[٣]... فهو لأجل عدم تحمّل السامعين،

→

الفقيه: ج ٢ ص ٥٩٦ ح ٣١٩٩، تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٥٥ ب ١٨ ح ١.

١ ـ قال السيد نعمة الله الجزائري (رضوان الله عليه): وهي من الأسرار التي لا يعرف معناها إلاّ العلماء الراسخون. انظر: الأنوار النعمانية: ج ١ ص ٣١.

والخطبة بتمامها تجدها في: صحيفة الأبرار: ج ١ ص ٤٦، إلزام الناصب: ج ٢ ص ١٧٤، ينابيع المودّة: ج ٣ ب ٦٨ ص ٢٠٥ باختلاف في النقل.

٢ ـ مشارق أنوار اليقين: ص ٢٦٨.

٣ ـ الاختصاص: ص ٢٢٥، الاحتجاج: ج ١ ص ٦١٠ (احتجاجه على الزنديق).

والتقية من المنافقين، كيف لا!! ولا يُعقل ولا يُنقل فيمن (فتح الله بهم، وبهم ختم)[١] أن لا يكونوا مهيمنين بين ذلك.

وقد ورد في أغلب الموارد التي ورد [فيها] «**بِكُمْ فَتَحَ اللهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ**» هذه العبارة: «**وَالْمُهَيْمِنِ عَلَى ذَلِكَ كُلِّه**»[٢]. فتدبر تكن من الفائزين.

والممحو والمثبت بين الفتح والختم، وهم (سلام الله عليهم) «**أول ما خلق الله**»[٣] بإجماع الفرقة المحقّة... وأنهم كلهم من طينة واحدة، أشهد «**أَنّ أَرْوَاحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطِينَتَكُمْ واحِدَةٌ، طابَتْ وَطَهُرَتْ بَعْضُها مِنْ بَعضٍ**»[٤]...

[تصرف أهل البيت في الكون]

فمما قاموا على التصرف فيه: فكُّ رقاب المؤمنين من الذل[٥]، وهم الفاكون في جميع القرون، قال الحجة (عجل الله فرجه، عليه وعلى

---

١ ـ كما في الزيارة الجامعة وغيرها: «بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ».

٢ ـ تقدمت المصادر في هامش صفحة ٤١. وكان في الشرح المطبوع: (المهيمن بين ذلك).

٣ ـ عن رسول الله ﷺ قال: «أول ما خلق الله (عز وجل) حجبه». كفاية الأثر: ص ١٧١.
وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «أول ما خلق الله (عز وجل) أرواحنا فأنطقها بتوحيده وتمجيده». عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ٢٦٢ ب ٢٦ ح ٢٢، كمال الدين: ص ٢٥٥ ب ٢٣ ح ٤، علل الشرائع: ٥ ب ٧ ح ١.

٤ ـ فقرة من الزيارة الجامعة الكبيرة.

٥ ـ كما في الزيارة الجامعة الكبيرة: «وَبِكُمْ أَخْرَجَنَا اللَّهُ مِنَ الذُّلِّ وَفَرَّجَ عَنَّا غَمَرَاتِ الْكُرُوب».

آبائه الكرام الصلاة والسلام) في التوقيع الرفيع «إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لاصطلمتكم اللأواء[١] وأحاطت بكم الأعداء»[٢].

ومنها: إدراك الثار لكل مؤمن، وهم المدركون.

ومنها: إنبات الأشجار، وهم المنبتون.

ومنها: إخراج الأثمار من الأشجار، وهم المخرجون...

وبهم جميع الخلق يُرزقون.

وبهم يكشف الله الكرب، وهم الكاشفون.

وبهم ينزل الله الغيث، وهم الغائثون.

وبهم يُسيخ الله الأرض وهم الماسكون...

وقد ورد في [الزيارة] الجامعة وغيرها: «**وَبِكُمْ يُمْسِكُ السِّماء أنْ تَقَعَ عَلى الاَرْضِ إلاّ بإذْنه**».

[وورد:] «**الْقَضَاءُ الْمُثْبَتُ مَا اسْتَأْثَرَتْ بِهِ مَشِيَّتُكُمْ، وَالْمَمْحُوُّ مَا لاَ اسْتَأْثَرَتْ بِهِ سُنَّتُكُمْ**»[٣]. فهم المحال لأفعال الله المتعال وتعالى ربنا عن أن يكون محلاً لشيء من الأشياء.

---

١ ـ اصطلمه: أي اجتثه واستأصله. واللأواء: الشدة وضيق المعيشة.

٢ ـ الخراج والجرائح: ج ٢ ص ٩٠٣، الاحتجاج: ج ٢ ص ٥٩٨، وفيه: «ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء».

٣ ـ في زيارة صاحب الأمر عجل الله فرجه الشريف، المزار الكبير: ص ٥٧١، مصباح الزائر: ص ٤٣٣.

والحال والمحل كلاهما مخلوقان، ولا يكون الرب (جل جلاله) حالاً في شيء ولا محلاً لشيء، ولا يُعقل ـ كما لا يُنقل ـ أن يكون حالٌّ بلا محل، ولا يمكن أن يوجد حالٌّ من غير محل، ويمتنع وجوده إلاّ في المحل، وهكذا حال كل فعل، فهو ممتنع الوجود إلاّ في مبدئه الذي هو فاعله، وقد كررنا العبارة ـ لأولي الدراية والعناية ـ أن صدور فعل زيد وفعل كل فاعل عن فواعلها لا يدل على أنها آلهة... والفعل شيء وفاعله شيء، والحال شيء ومحله شيء، وخالق الأشياء كلها ﴿**هُوَ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهّارُ**﴾، من غير أن يكون حالاً فيها أو محلاً، فتدبر...

ثم اعلم أنه سبحانه قد (جعل لكل شيء سبباً)[1]، والسبب والمسبب كلاهما مخلوقان، إلاّ أن خلق السبب أسبق من خلق المسبب؛ لأنه وجد بالسبب، ولا يعقل ـ كما لم ينقل ـ أن يوجد المسبب من غير سبب، فضلاً عن تقدمه عليه، وهو سبحانه مسبب الأسباب من غير سبب؛ لأن السبب الحقيقي ما ليس له سبب، والأسباب الإضافية مسببات تنتهي إلى السبب الحقيقي الذي هو سبب بنفسه من غير سبب سابق عليه، فهو موجود بنفسه وسائر الأشياء موجودة به، وذلك معنى ما روي «أن الله سبحانه خلق المشية

---

١ ـ قال أبو عبد الله عليه السلام: «أبى الله أن يجري الأشياء إلاّ بالأسباب، فجعل لكل شيء سبباً، وجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكل شرح مفتاحاً، وجعل لكل مفتاح علماً، وجعل لكل علم باباً ناطقاً، من عرفه عرف الله ومن أنكره أنكر الله ذلك رسول الله ونحن». الكافي: ج ١ ص ١٨٣ ح ٧، بصائر الدرجات: ص ٦ و ٥٠٥ ح ٢، مختصر البصائر: ص ١٨٣ ح ١٦٢.

بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشية»[١]، وذلك دليل عقلي صادر عن العقل الحقيقي، مذكور في النقل، وذلك أحد معاني قولهم عليهم السلام: «**نحن سبب خلق الخلق**»[٢]، فسبب الخلق سابق على الخلق فليس بمخلوق كسائر المخلوقين وان كان مخلوقاً بنفسه عند الله سبحانه بالمعني الأعم الذي يصدق على غيره سبحانه أنه مخلوق ولأجل ذلك روي في حديث المفضل رحمه الله ثبوت الكفر الصراح لزاعم الميم مخلوقاً[٣].

بالجملة، فبما أشرنا إليه.. عُلم أن أسماءه التي هي الأسباب كانت قبل المسببات ومع ذلك كانت حادثة بالمعني الاعم كما أشرنا إليه آنفاً وقد ورد من العقل الذي هو المعصوم عن الخطاء والزلل أن أسماءه (سبحانه وتعالى) حادثة كما روي في (باب معاني الأسماء) من (الكافي) عن أبي

---

١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام: «خلق المشيّة بنفسها، ثم خلق الأشياء بالمشيّة». الكافي: ج ١ ص ١١٠ ح ٤، التوحيد: ص ١٤٧ ـ ١٤٨ ب ١١ ح ١٩.

٢ ـ عن أبي جعفر عليه السلام: «نحن أول خلق الله، وأول خلق عَبدَ الله وسبّحه، ونحن سبب خلق الخلق وسبب تسبيحهم وعبادتهم، من الملائكة والآدميين». بحار الأنوار: ج٢٥ ص ٢٠.

٣ ـ قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا مفضل، ليس مقدارُ (يقدرُ) أحد من أهل العلم يفصل بين الاسم والمعنى غير أن المعنى فوقه؛ لأنه من نور الذات اخترعه فليس بينه وبين النور فرق ولا فاصل، ولأجل ذلك قال: أنا وعلي كهاتين ـ إشارة منه إلى العارفين ـ أن ليس هناك فصل، ولو كان بينه وبينه فصل لكان شخصاً غيره، هذا هو الكفر الصراح، أما سمعت قوله: ﴿أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللّه وَرُسُلِه﴾ وقوله: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِه أَن يُوصَلَ﴾». كتاب فكّر (توحيد المفضل): ص ٣٢ المجلس الخامس، صحيفة الأبرار: ج ١ ص ٢٧٨ ح ٦.

جعفر عليه السلام «**كان الله ولا خلقَ ثم خلقها**»[١]، أي خلق الأسماء والصفات وسيلة بينه وبين خلقه يتضرّعون بها إليه ويعبدونه، وهي ذكره، وكان الله ولا ذكر، والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل، والأسماء والصفات مخلوقات.

وكما روي في (باب حدوث الأسماء) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إن الله** (عز وجل) **خلق اسماً بالحروف غير مصوّتٍ**[٢]، **وباللفظ غير مُنطقٍ، وبالشخص غير مجسدٍ، وبالتشبيه غير موصوفٍ، وباللون غير مصبوغٍ، منفي عنه الأقطار، مبعد عنه الحدود، محجوب عنه حس كل متوهِّم، مستتر غير مستور، فجعله كلمة تامة على أربعة أجزاء معاً، ليس منها واحد قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة أسماء؛ لفاقة الخلق إليها، وحجب منها واحداً، وهو الاسم المكنون المخزون، فهذه الأسماء التي ظهرت، فالظاهر هو** (الله) (تبارك وتعالى)، **وسخّر سبحانه لكل اسم من هذه الأسماء أربعة أركان، فذلك اثنا عشر ركناً، ثم خلق لكل ركن منها ثلاثين اسماً، فعلاً منسوباً إليها، فهو ﴿الرَّحْمنُ الرَّحيمُ﴾ ﴿الْمَلكُ الْقُدُّوسُ﴾ ﴿الْخالقُ الْبارئُ الْمُصَوِّرُ﴾ ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ ﴿الْعَليمُ الْخَبيرُ﴾ ﴿السَّميعُ الْبَصيرُ﴾ الْحَكيمُ ﴿الْعَزيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ ﴿الْعَلِيُّ الْعَظيمُ﴾ الْمُقْتَدِرُ، الْقَادِرُ ﴿السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾، البارئ، المنشئ، البديع،**

---

١ ـ الكافي: ج ١ ص ١١٦ ح ٧، وانظر: التوحيد: ص ١٩٣ ب ٢٩ ح ٧.

٢ ـ في المصدر المطبوع: (متصوّت).

الرفيع، الجليل، الكريم، الرازق، المحيي، المميت، الباعث، الوارث. فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنى حتى تتم ثلاثمائة وستين اسماً، فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة، وهذه الأسماء الثلاثة أركان وحجب الاسم الواحد المكنون المخزون، بهذه الأسماء الثلاثة، وذلك قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيّاً ما تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْماءُ الْحُسْنى﴾ »[1].

فاعلم ـ أيدك الله وبصّرك ـ أن لكل فاعل فعلا صادراً منه فأخذ بذلك الفعل الصادر منه مادة وصورها، في أي صورة ما شاء ركبها، فذلك أمر بديهي لا ينكره إلاّ الجاهل ولا يعتني به العاقل، والعاقل علم بالقطع واليقين من غير شائبه الجهل والتخمين أنه يمتنع أن توجد الكتابة إلاّ بفعل الكاتب الذي هو صادر منه، فوجود الحروف والكلمات محتاجة إلى فعل الكاتب، ويمتنع وجودها في الوجود إلاّ بفعل الكاتب، وبقيت في إمكان المداد معدومات غير موجودات، بخلاف فعل الكاتب، فإنه قائم به قيام صدور[2]، مستغن به عما سواه، غير محتاج إلى الحروف والكلمات وموادها ومدادها،

---

١ ـ الكافي: ج ١ ص ١١٢ ح ١، وانظر: التوحيد: ص ١٩٠ ب ٢٩ ح ٣.
قال الشيخ الأوحد: اعلم ـ أرشدك الله ـ أن هذا الحديث الشريف أبعد غوراً من أن يُطّلع على باطنه، لأنه قد اشتمل على بيان تفصيل الوجود من الأجناس والفصول، وتقسيم الفروع والأصول، والذي يظهر لي أن بيانه على ما أشير فيه من التفصيل والتقسيم لا يحصل لغير أهل العصمة. انظر: جوامع الكلم: ج ١ ص ٢١٣ (رسالة شرح حديث حدوث الأسماء).
٢ ـ تقدم معناه في صفحة ٣٨ الهامش رقم ١.

و[وغير محتاج] إلي شيء غير الكاتب الفاعل، فالكاتب موجود قبل الحروف والكلمات، وحين كتابته لها، وبعد الفراغ منها، وهي ممتنع الوجود إلاّ بفعله المتعلق بالمداد وتصويره لها في أي صورة ما شاء ركبها.

فالكاتب وفعله وقدرته على الكتابة كان قبل الحروف والكلمات إذ لا مكتوب، وكان حين المكتوب، وكان بعد المكتوب، ففعله شيء موجود به صادر عنه غير مركب من المداد والصور الحرفية، فالصور الحرفية تابعة لفعله، والمادة المدادية قابلة مسخرة منقادة له، وهو ـ أي فعل الكاتب ـ قائم به قيام صدور، مستغن به عن الحروف وجميع مباديها وإمكاناتها من المداد وأجزائه، إلى أوائل الإمكانات والقوابل.

فإذا علمت ذلك فاعلم أن ذلك الأمر جار في جميع الملك والملكوت من الذُرة إلى الذرة، فالمادة المأخوذة لكل شيء كالمداد المأخوذ للحروف والكلمات وأجزاء الشيء المركب كالحروف وتركيب أجزاء المركب على ما ينبغي له كالكلمة المركبة من الحروف وتأثير الشيء المركب كالدلالة من الكلمة.

فإذا علمت ذلك فاعلم أن المادة المأخوذة للسحاب ـ مثلاً ـ هي البخار الذي كالمداد، والسحاب المزجي، والقطعات كالحروف، والسحاب المتراكم كالكلمة، والودق الذي يخرج من خلاله كالدلالة من الكلمة، وكذا المادة المأخوذة للباب والسرير وأمثالهما هي الخشب الذي هو كالمداد للحروف، والقطعات الخشبية من الألواح والأعمدة هي

كالحروف، وتركيبها على ما ينبغي لكل من الباب والسرير هو الكلمة الخشبية، وفائدة كل من الباب والسرير هي الدلالة من تلك الكلمة.

وكذا المادة المأخوذة للحيوان هي النطفة التي هي كالمداد، والعلقة والمضغة والعظام واللحم حروف ذلك المداد، وإنشاء الخلق الآخر هو الكلمة، والأفعال الصادرة منها هي الدلالة، أو المادة المأخوذة له الدم الذي هو كالمداد.

والأعضاء الحاصلة منه من العظام واللحوم والأعصاب والعروق كالحروف، وتركيبها على ما ينبغي له هو الكلمة الحيوانية، أو المادة المأخوذة هي الأخلاط، والأعضاء المركبة كالرأس والصدر واليدين والرجلين كالحروف، وتركيبها على ما ينبغي له هو الكلمة الحيوانية.

والأفعال الصادرة منها دلالتها، أو المادة المأخوذة هي القبضات العنصرية، والفلكية وكل واحد من حواسه الخمس حرف من حروفه، وتركيبها على ما ينبغي له هو الكلمة.

والأفعال الصادرة من مشاعره هي الدلالة، وكذا المادة المأخوذة للإنسان من الإمكان الجائز[1] كالمداد، وكل واحد من عقله وروحه ونفسه

---

١ ـ الإمكان على قسمين: إمكان راجح وإمكان جائز:

* قال الشيخ الأوحد (أعلى الله مقامه): الإمكان الجائز هو الإمكان المتساوي الطرفين الصالح للوجود والعدم؛ إذ إنه ليس بضروري الوجود ولا ضروري العدم. لاحظ: جوامع الكلم: ج ٢ ص ٣٦٢ في (جواب الملا محمد الرشتي).

وصدره وحياته وجسمه وجسده حرف من حروفه، وتركيب تلك الحروف على ما ينبغي هو الكلمة التامة الإنسانية، والأفعال الصادرة منها هي الدلالات. وهكذا متولدات كل عالم من العوالم، كلٌ بحسبه قد أخذ الله سبحانه من عوالمها مادة كالمداد، وصوّرها بالصور الحرفية، ثم ركّبها ـ في أي صورة ما شاء ركبها ـ بقلم قدرته على ألواح موادها...

فإذا علمت ذلك... فاعلم أنه كما يمتنع تصور الخشب بنفسه من غير نجار بصورة الحروف والكلمات الخشبية من السرير والباب وأمثالها، وكما يمتنع تصور الطين بنفسه بصورة الفخّار من غير فاخور مصوّر، كذلك يمتنع تصور جميع المواد الإمكانية بشيء من الصور إلاّ بمصور خارج عن عالم الإمكان، و﴿**هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾.

فإن أردت معرفته سبحانه ومعرفة صفاته وأسمائه وأركانه فتوجه إليه وكن متذكراً لقوله سبحانه: ﴿**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾، ﴿**فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ**﴾، وقل: «**أَرادَ اللهَ بَدَأَ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ**»، إذ بدون ذلك يمتنع التوجه إليه سبحانه.

←

* وقال السيد كاظم الرشتي (أعلى الله مقامه) ما ترجمته: الإمكان الراجح عبارة عن مذكورية الأشياء في المشيّة المساوقة لها (بها) حين وجودها. والمراد بالمذكورية المحضة هو صلوح التعلق لا غير... إذن فالإمكان الراجح هو ذكر الأشياء في المشيّة. جواهر الحكم: ج ٣ ص ١٨٥.

فاعلم.. بأنه سبحانه «**خلق اسماً بالحروف غير مصوّت**[1]»[2]، أي بالحروف التي هي تطورات المداد والمواد الإمكانية، «**غير مصوّت**» أي ذلك الاسم لم يتركب من تلك الحروف الحاصلة من المواد الإمكانية.

فالمراد من قوله: «**غير مصوّت**» غير مركّب، إلاّ أن التناسب بين الحروف المنطوقة والصوت ظاهر لكل ذي مسكة؛ لأنها حاصلة من الصوت الممتد من الحلق إلى فضاء الفم، وهو كالمداد الذي هو مادة للحروف المكتوبة، فصورة كل حرف تحصل من مخرجها من الحلق إلى الشفة، فهي تصورات الصوت وتطوراته في مقاطعها، فهي مصوتة أي مركبة من الصوت، وهو مادتها.

وكذلك الكلمات الحاصلة من تلك الحروف أيضاً مصوتة أي مركّبة من الصوت، سواء كانت اسماً أم فعلاً أم حرفاً، فذلك الاسم المبارك غير مصوت بالحروف المصوتة المركبة من الصوت، وقد صرّح به لأهله [في] قوله تعالى: ﴿**تَبارَكَ اسْمُ رَبِّكَ**﴾، وقوله: ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ**﴾ أي قدسه ونزّهه من المواد الإمكانية وصورها.

بالجملة، وأما قوله عليه السلام: «**وباللفظ غير مُنطق**»، فالمراد به ما عرفت...

و«**المُنطَق**» كمعظم هو رأس الجبل المرتفع من السحاب كأنه برز منه.

---

١ ـ في المصدر المطبوع: (متصوّت).

٢ ـ الكافي: ج ١ ص ١١٢ ح ١، وانظر: التوحيد: ص ١٩٠ ب ٢٩ ح ٣.

فهذه العبارة تعبير آخر عن المراد إلاّ أن الصوت مشترك بين الحيوان والإنسان، بل مشترك بين الجماد والنبات والحيوان والإنسان.

والنطق فصل الإنسان، خاص به دون غيره بحسب الظاهر، وإن كان الأمر في الباطن على غير ذلك، وقد أشار إلى ذلك قوله وتعالى: ﴿**لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾، فعلى هذا يمكن أن يكون المنطق مفعولا من باب الافعال.

وعلى أي حال يكون المراد ذلك الاسم المبارك المقدس قدوس سبوح منزه عن أن يكون منطقاً انطق الله سبحانه شيئاً من الاشياء الممكنة أو الإمكانية.

وأما قوله عليه السلام: «**وبالشخص غير مجسد**»، فزيادة بيان للتبيان لأهل العيان بأن ذلك الاسم لم يكن صوت مصوِّت ولا نطق ناطقٍ من أهل عالم الإمكان قد أنطقه الله (تبارك وتعالى) ولم يكن شخصاً مشخصاً مجسداً مركباً من الجسد كسائر الاشخاص فلم يكن فعل فاعل من الفواعل الإمكانية ولا فاعلا من الفواعل فليس كمثله شيء فإذا كان قدوساً عن الذوات فكيف كان قدسه عن الصفات فهو قدوس عن الذوات الإمكانية فضلا عن صفاتها وافعالها واصواتها والفاظها وأسمائها وحروفها واصولها وفروعها وموادها وصورها.

وأما قوله عليه السلام: «**وبالتشبيه غير موصوف**» فإيضاحٌ وتصريح لأهل الفلاح والتلويح، ورفع النقاب عن وجه ذلك الجناب؛ لئلا يُتوهم أنه شخصٌ، ولكنه غير مجسّد، فلعله شخص روحاني مجرد عن الجسد!

فزادعليه السلام بياناً لكشف المراد بأنه «**بالتشبيه غير موصوف**»، فليس كمثله شيء من الموجودات.

وأما قوله عليه السلام: «**وباللون غير مصبوغ**» فزيادة في الإيضاح بعد الإيضاح، وكشف بعد الكشف عن حقيقة الحال من ذلك المتعال، بأنه مقدّس عن الانفعال، وكل ملوّن منفعل قد أثّر فيه اللون، وذلك الاسم العلي والنور الجلي يُؤثر في جميع الأشياء ولا يتأثر من شيء من الأشياء.

وأما قوله عليه السلام: «**منفي عنه الأقطار**» فبيانٌ لأهل العيان بأن الواقع في قطر من الأقطار محجوب عنه الأغيار الواقفون في سائر الأقطار، والحال أنه تعالى به قد وُجدت الأقطار وعُمرت الديار، والديّار لا يسكن بنفسه في دار، فنفى عنه الأقطار.

وأما قوله عليه السلام: «**مبعد عنه الحدود**» فهو الحادّ لكل محدود بحدوده، فلو كان محدوداً بنفسه لامتنع وجود الموجودات وحدودها، فهو بنفسه خارج عنها كما هو خارج عن الأقطار، فبه وُجدت الموجودات في حدودها.

وأما قوله عليه السلام: «**محجوب عنه حسّ كل متوهم**» فلأن حسّ كل حاس يحسّ ما هو من جنسه ولا يمكنه حس ما لم يُحس، فالسامعة تحس الأصوات، والباصرة تحس الأضواء والألوان، والشامة تشم المشمومات، والذائقة تذوق المطعومات، واللاّمسة تلمس الملموسات، وكذا المتوهمة

تحس الموهومات، وهكذا، إلى أن العالمة تعلم المعلومات، والعقل يعقل المعقولات، فهو «**لا تدركه الأوهام**»[1]، ولا تراه الأحلام، إذ هو بنفسه سابق وكل ما سواه مسبوق به ﴿**لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾.

وأما قوله عليه السلام: «**مستتر غير مستور**» فلأن كل مستتر دونه مستور بستره عن غيره، وهو قد كان ولا يكون معه شيء يستتر به، وبه وبتكوينه كانت المكونات في أستارها، واستترت بسترها عن أغيارها، فهي كلها مستورات وهو غير مستور، كما أنه غير متوهم ولا منظور...

فإذا عرفت الإشارة.. فاعلم أن جميع ما تلونا عليك من الذكر الحكيم إلى الآن كلها منفيات قد نفاها عليه السلام قبل الإثبات كما هو العادة الجارية بين الحكماء الأبرار وحجج الجبار...كما تقول: لا إله إلاّ الله، فتقدم النفي وتُتبعه بالإثبات، لتمام الثبات... فشرع بعد التقريب في بيان ذلك الجناب بقوله عليه السلام: «**فجعله كلمة تامة على أربعة أجزاء معه ليس منها واحد قبل**

---

١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام: «لا يُدرك بالحواس الخمس، لا تدركه الأوهام، ولا تنقصه الدهور، ولا تغيره الأزمان». الكافي: ج ١ ص ٨٣ ح ٦، التوحيد: ص ٢٥٤ ب ٣٦ ح ١.
عن أبي جعفر الثاني عليه السلام: «إن أوهام القلوب أكثر من أبصار العيون، فهو لا تدركه الأوهام وهو يدرك الأوهام». الكافي: ج ١ ص ٩٩ ح ١٠، التوحيد: ص ١١٨ ب ٨ ح ١١.
وعنه عليه السلام: «لا يشبهه شيء ولا تدركه الأوهام ،كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يعقل وخلاف ما يتصور في الأوهام، إنما يتوهم شيء غير معقول و لا محدود». الكافي: ج ١ ص ٨٢ ح ١، التوحيد: ص ١٠٦ ب ٧ ح ٦.

الآخر»، يعني «**جعل**» الله سبحانه ذلك الاسم «**كلمة تامة**» **لا** نقصان فيها بوجه من الوجوه واعتبار من الاعتبارات «**على أربعة أجزاء**» معاً «**ليس**» «**واحد**» من هذه الأجزاء الأربعة «**قبل الآخر**».

فإن أردت المراد فأعرني لُبّك وأعرض عما يتبادر إلى أغلب الأذهان لنيل المرام إن شاء الله تعالى.

فاعلم أن ذلك الاسم العظيم أول صادر صدر من الحكيم (جل جلاله وعم نواله) لم يسبقه سابق ولا يلحقه لاحق، وله علل أربع: علة فاعلية، وعلة مادية، وعلة صورية، وعلة غائية. كما أنه لابد لكل شيء من تلك العلل الأربع في عالم الفصل وفي عالم الوصل:

أما في عالم الفصل: فتلك الأربعة ظاهرة لكل ذي مسكة؛ لانفصال بعضها من بعض، كما أن للسرير علة فاعلية هي فعل النجار، وعلة مادية وهي الخشب، وعلة صورية وهي الهيأة الكرسية، وعلة غائية وهي الفائدة الحاصلة منه.

وأما في عالم الوصل: فلا يمكن تمييز تلك العلل إلاّ بتزييل الفؤاد[1]؛ لشدة اتصال تلك العلل حتى يتراءي الاتحاد، كما ترى أن قائماً في قولك:

---

١ ـ التنزيل: التفريق، كتاب العين: ج ٧ ص ٣٨٥، معجم مقاييس اللغة: ج ٣ ص ٤١.
فمعنى تزييل القلب بأن تفرّق وتباعد ما فيه من الشوائب، أي تنقيته وتُصفّيه.
قال العلاّمة الطبرسي رحمه الله: مأخوذة من قولهم: زِلْتُ الشيء عن مكانه أزيلُهُ... إذا نحّيتُه عن مكانه أو فرّقتُ بينه. وزايلت فلانا: إذا فارقته. مجمع البيان: ج ٥ ص ١٨٠.

←

(زيد قائم) أو (قام زيد) فهو قائمٌ شيءٍ من الأشياء، له علل أربع، فالمبتدأ هو العلة الفاعلية، وفعله هو العلة المادية، وهيأة القيام هي العلة الصورية، وفائدته هي العلة الغائية، وتلك العلل مساوقة في الوجود، ليس واحد منها قبل الآخر، وهي واحدة في المنظر، أربعة في المخبر، لا يقوم واحد منها إلاّ بالباقي، وقلّ من يعرف ذلك، والعاثر عليها عارف بالتوحيد بحذافيره، وفاقدها فاقد للتوحيد بحذافيره[1]...

فاعلم أن الناس في هذه القضية وقعوا في التباس! فقالوا: إن (زيداً) في قولك (زيد قائم) هو المبتدأ، و(قائم) خبره، محمول على (زيد) الموضوع، فآلَ أمرهم إلى أن قالوا: إن (زيداً) لابد وأن يكون من وجه [هو] عين الخبر؛ لئلا يلزم الكذب في الحمل، ولابد وأن يكون غير الخبر؛ لئلا ترتفع الفائدة في الحمل، فلأجل ذلك اجتمعوا على بطلان حمل هو هو، وحمل الشيء على نفسه غير معقول عندهم...

فاعلم أن الهدى هدى الله لا يوجد عند غير حجج الله عليهم السلام، فاقتف آثارهم واقتبس أنوارهم، وقد قال الصادق عليه السلام: «**من عرف مواقع الصفة**

→

وقال الشيخ الأوحد (أعلى الله مقامه): تزييل الفؤاد،أي في تمييزه وتقسيمه وتفريقه. انظر: شرح الفوائد: ص ٤١ ف ٣.

١ ـ قال الحاج محمد كريم (أعلى الله مقامه): قال الشيخ الأوحد (أعلى الله مقامه): من عرف (زيد قائم) عرفَ التوحيد بحذافيره. [انتهى]. وقلت: من عرف (زيد قام قياماً) [فقد] عرف جميع أسرار الوجود. انتهى، انظر: التذكرة في النحو: ص ١٠ (المقدمة).

بلغ قرار المعرفة»[1] فاعلم أن (زيداً) بذاته كان قبل القيام ولم يكن له قيام، فصار بإحداثه القيام قائماً، فزيد قبل قيامه ليس بقائم، فليس بمبتدأ للقيام، والقيام فعله، صادر عنه به، ولا يُعقل أن يكون الفاعل بنفسه نفسُ فعله، ففعله فعله وليس بذاته أبداً قبل صدوره وحين صدوره وبعد صدوره. نعم، بظهوره للقيام صار فاعلاً له، وظهوره غير ذاته، كخفائه، فذاته بخفائه مخفية، وبظهوره ظاهرة، وخفاؤه فعله، كما أن ظهوره فعله، وهو غير فعله، مستقل بنفسه، وفعله غيره، غير مستقل بنفسه، بل هو محتاج إلى فاعله في وجوده من جميع جهاته.

فالمبتدأ للقائم هو المتلبّس بالقيام، فزيد الظاهر بالقيام هو المبتدأ الموضوع، وهو الخبر المحمول، فصارت القضية صادقة في قولك: (زيد قائم)، فذلك جهة اتحاد المبتدأ والخبر التي هي سبب صدق القضية، كما هو محل اتفاق أهل الفن.

وأما جهة الاختلاف التي جعلوها بينهما لحصول الفائدة على زعمهم لئلا تقع القضية لغواً بلا فائدة بملاحظة أن (زيداً) المُعرّى عن قيد القيام هو المبتدأ، و (زيداً) الظاهر بالقيام هو الخبر، فهو نقض لفتلهم الأول الذي أبرموا عليه؛ لصدق القضية، وهم غافلون عن نقضهم لفتلهم، فإن (زيداً) المُعرّى [أيضاً] خبره معرىً، فلو جعلت المعرى مقيّداً بالقيام تصير القضية كاذبة بتة، فإن المعرى معرىً والمقيد مقيد، فتأمل جيداً...

---

١ ـ كتاب فكّر (توحيد المفضل): المجلس ٥ ص ٢٣٢، صحيفة الأبرار: ج ١ ص ٢٧٨ ح ٦.

واعلم أن جهة الاتحاد بين المبتدأ والخبر مما لابد منه بينهما من جميع الجهات وجهة الخلاف لا تحمل على خلافه الامن جهة الكذب كائنة ما كانت فليس محل تحصيل الفائدة للكلام بين المبتدأ وخبره وبين الموضوع ومحموله مطلقاً كما زعموا وغفلوا بل محل تحصيل الفائدة يكون بين المتكلم والمخاطب فالمعلم عالم بمعلومه والمتعلم جاهل به، فإذا علم المعلم بكلامه وأخبر بكلامه عن علمه وتعلم المتعلم وارتفع جهله بالتعلّم حصلت فائدة الكلام الذي هو القضية، وفائدته رفع الجهل من الجاهل وحصول العلم له، كما إذا علم (زيد) بأن (عمرواً قائم) ليس بين (عمرو) وخبره ـ الذي هو قائم ـ جهة خلاف أبداً، فإن جهل (بكر) بأن (عمرواً) قائم حصل الخلاف بين علم زيد وجهل بكر، فإذا أخبر زيد بأن عمرواً قائم وعلم بكر، حصلت الفائدة وهي حصول علم لبكر، كعلم زيد بالجملة، فزيد القائم قائم لا زيد القاعد، وأنه قاعد ليس بقائم، ولا زيد المُعرّى عن قيد القيام والقعود وعن سائر أوصافه، فإنه معُرّى، والمعرى تجلّى للقائم بنفس القائم لابشيء من سائر أوصافه، ولا بتعريه عن القيام وعن سائر أفعاله، فالقائم هو مَسْكَن القيام ومبدؤه ومحلّه ومعدنه ومرجعه، فافهم...

فإذا عرفت ذلك.. فاعلم.. أن الله سبحانه تجلى بذلك الاسم بنفس ذلك الاسم من غير تغيير من ذاته سبحانه، لا بحركة بعد سكون ولا بنطق بعد سكوت، سوى نفس ذلك الاسم المقدس، وهو بنفسه حركته بها لا بذاته سبحانه، وهو بنفسه نطقه به لا بذاته سبحانه، وله أربعة أجزاء كل جزء منه

كسر من كسوره، ليس منها واحد قبل الآخر، فتفكر في الكسور إن أردت العثور على الحقائق في البطون والظهور.

فاعلم أن كل كسر من كسور الشيء وإن كان غير الآخر كما أن نصفه غير ثلثه، وثلثه غير ربعه، وهكذا إلى منتهى كسوره، هو غير سائر كسوره، ومع أن كل كسر غير سائر كسوره، لا يوجد شيء من كسوره قبل الآخر، ولا يعقل كما لا ينقل أن يوجد واحد من كسور الشيء مستقلاً من غير وجود سائر كسوره، فالمركب من الكسور توجد جميع كسوره مساوقة لا يوجد كسر منه قبل الاخر. بخلاف المركب من الأشياء المستقلة قبل التركيب، فإن كل واحد منها مستقل بنفسه غير محتاج إلى شيء مستقل آخر، كالدرياق[1] فإن الفلفل غير محتاج في وجوده إلى القرنفل، وبالعكس، وكذا سائر أجزاء الدرياق، بخلاف الشيء المركب من الكسور فإن جميع كسوره متساوقة يبقي ببقاء جميع كسوره ويفنى بفناء واحد من كسوره كما يفنى سائر كسوره بفناء واحد منها...

[أسماء الله الثلاثة الظاهرة]

وذلك الاسم ـ وهو القائم مقامه في الأداء ـ من وراء الأجزاء الثلاثة إذ كانت الذات (جل جلاله)، وذلك الاسم جلاله، كما أن الجزء المكنون

---

١ ـ لفظ روماني تم تعريبه إلى الترياق. انظر: المخصص: ج ١٣ ص ٣٤.

* والترياق هو الدواء. كتاب العين: ج ٥ ص ١٢٧، جمهرة اللغة: ج ٢ ص ١٢٠٤.

جماله ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ «وَلاَ تَحْوِيهِ خَوَاطِرُ الأَفْكَار»[١]... فتلك الأربعة قد حوتها هيأة المجموع فصارت خمسة، وهي الهاء لتثبيت الثابت، فأشبعت الهاء بالواو[٢] إشارة إلى الثابت «الغائب عن درك الحواس»[٣]، ولمس الأخماس، كما روي عن أمير المؤمنين (عليه صلوات المصلين) فقال: «**إن قلت هو هو فالهاء والواو كلامه**»[٤]، الهاء لتثبيت الثابت، والواو إشارة إلى الغائب، وهو المصدر في سورة النسبة[٥] ﴿قُلْ هُوَ اللّهُ أُحَدٌ﴾، فهو الغائب و(الله) ظاهر كما قال عليه السلام: «فالظاهر هو الله (تبارك وتعالى)»[٦]، وهو اسم جامع لثلاثة أسماء وهي اللام والألف والهاء ـ مع قطع النظر عن حرف

---

١ ـ عن علي عليه السلام في خطبة يومَ الغدير، مصباح المتهجد: ص ٧٣٥، إقبال الأعمال: ص ٧٧٤.

٢ ـ في قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُو﴾.

٣ ـ وهو قول الباقر عليه السلام في بيان الآية: «وذلك تنبيه وإشارة إلى الغائب عن درك الحواس، واللام دليل على إلهيته بأنه هو الله، والألف و اللام مدغمان لا يظهران على اللسان، ولا يقعان في السمع ويظهران في الكتابة دليلان على أن إلهيته بلطفه خافية لا تدرك بالحواس ولا تقع في لسان واصف و لا أذن سامع». التوحيد: ص ٩٢ ب ٤ ح ٦.

٤ ـ قال عليه السلام «إن قلت: متى؟ فقد سبق الكون كونه، أو قلت: قبله. فالقبل بعده، أو قلت: أين؟ فقد تقدّم المكان وجوده، أو قلت: كيف؟ فقد أصحت عن الوصف صفته، أو قلت: مم؟ فقد باين الأشياء كلّها، أو قلت: هو. فالهاء والواو كلامه». مشارق أنوار اليقين: ص ١٧.

٥ ـ تسمى سورة النسبة «لأن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: انسب لنا ربك! فلبث ثلاثاً لا يجيبهم، ثم نزلت السورة». الكافي: ج ١ ص ٩١ ح ١، التوحيد: ص ٩٣ ب ٤ ح ٨.

٦ ـ تقدمت الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام في صفحة ٦١.

التعريف ـ قد أتى بها من جنس نفس الاسم؛ للتنبيه للعاقل النبيه بأن حقيقة الاسم الشريف بُنيت للتعريف، فلأجل ذلك صار ظاهراً غير مضمر ولا مستتر.

ومن عجائب هذه الأسماء الثلاثة أن جميع حروف (لا إله إلاّ الله) مشتقة منها، وتلك الأسماء الثلاثة هي أصولها كما روي في (معاني الأخبار) عن أبي عبد الله عليه السلام في (معاني بسم الله) فقال عليه السلام:«**الباء بهاء الله، والسين سناء الله، والميم ملك الله**». قال: قلت: (الله)، قال عليه السلام: «**الألف آلاء الله على خلقه من النعيم بولايتنا، واللام إلزام الله خلقه ولايتنا**». قلت: فالهاء؟ قال عليه السلام: «**هوان لمن خالف محمداً وآل محمد**»[1]. (صلوات الله عليهم).

وقد ورد في تفسير الحروف المقطعة في أوائل السور وغيرها معانٍ أُخر تناسب المقام، إلاّ أن الاختصار يقتضي الاقتصار.

بالجملة، فـ(الله) اسم جامع لجميع الصفات الكمالية ـ كما يأتي إن شاء الله ـ ولأجل ذلك يحمل عليه سائر الأسماء ويوصف بها، فتقول: الله، الرحمن، الرحيم، القادر، القاهر، ولا تقول بعكس ذلك في أغلب الأحوال.

كما تقول: زيد القائم، الراكع، الساجد؛ لأنه أصل الأصول، والمقصود من الكل عند أرباب الوصول. فلا تبادر إلى إنكار ما نقول بأنه ثلاثة أسماء جُمعت في اسم واحد، ألا ترى أن ﴿**بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ**﴾ اسم

---

١ ـ معاني الأخبار: ص ٣ ح ١، وانظر: التوحيد: ص ٣٤٠ ب ٣١ ح ٢، الكافي: ج ١ ص ١١٤.

واحد جُمعت فيه ثلاثة أسماء أو أربعة أو أكثر، كما تقرأ في الدعاء: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**»[١]، فلا إشكال في قوله عليه السلام: «**فالظاهر هو** (الله) (تبارك وتعالى)»[٢].

وقد أُشْكِلَ على بعض الشُرّاح، وقد حَلَّ الإشكال عن نفسه بأن الأسماء الثلاثة الظاهرات للخلق لفاقتهم إليها هو (الله العلى العظيم)؛ لما رأى في حديث آخر: «**أول ما اختار لنفسه** (جل جلاله) **العلى العظيم.. فمعناه** (الله) **واسمه العلى العظيم**»[٣].

وقد حل بعضهم الاشكال بأن الأسماء الثلاثة الظاهرات (الله، الرحمن، الرحيم).

وقد رأيتَ قوله عليه السلام كما قال: «**فالظاهر هو** (الله) (تبارك وتعالى)» وقد رأيتَ أنه عليه السلام قد عدّ في جملة الثلاثين اسماً لكل ركن (الرحمن الرحيم) و(العلى العظيم)، فتلك الأسماء مسخّرات لكل ركن أو لبعض الأركان الاثني عشر.

وأنت خبير ـ إن شاء الله ـ بأن لكل جزء من الأجزاء الثلاثة أربعة أركان، ولكل ركن ثلاثون اسماً، فالثلاثون فروع لكل ركن، والأركان فروع لكل جزء، والأجزاء الظاهرة ثلاثة وهي الأصول.

---

١ ـ مصباح المتهجد: ص ٣٣٨، البلد الأمين: ص ١٥٣.

٢ ـ تقدمت الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام في صفحة ٦١.

٣ ـ عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، الكافي: ج ١ ص ١١٣ ح ٢.

وقد علمتَ ـ كما بيّنا لك ـ أن الأجزاء هي الكسور التي ليس منها واحد قبل الآخر، فاعلم أن الثلاثين كسور لكل ركن، والأركان الاثنا عشر كسور للأجزاء الثلاثة، لكل جزء أربعة أركان، كما أن الأجزاء الثلاثة ثلاثة كسور للاسم الجامع للكسور، فقد أوضح عليه السلام وبين بأوضح البيان لأهل العيان أن الظاهر هو الله (تبارك وتعالى) وله كسور ثلاثة فالألف كسر واحد وهو «**آلاء الله على خلقه من النعيم بولايتنا**» واللام كسر آخر له وهو «**الزام الله الخلق ولايتنا**» والهاء كسر آخر له وهو «**الهوان لمن خالف محمداً وآل محمد** (صلوات الله عليهم)»، وكل كسر اسم من أسمائه، كما أن المجموع اسم، وكما أن الأركان الاثني عشر أسماء، وكما أن الثلاثين أسماً أسماء، فصارت الأسماء المسخّرات ثلاثمائة وستين اسماً، وهي غير الأسماء العظام الاثني عشر، وأعظم منها هي الثلاثة الأصول، وأعظم منها هو المستجمع لجميع الصفات الكمالية، واعظم منه هو (هو) الغائب المخزون عنده، المحتجب عن الخلق بحجب النور.. في جميع الأدوار في جميع الدهور...

فتلك الكيفيات الأربع كسور لكل جزء من الأجزاء الثلاثة فصارت الكيفيات مثلثات: ثلاثة نارية وثلاثة ترابية وثلاثة هوائية وثلاثة مائية على ترتيب الأفلاك المؤثرات، فصارت اثنتي عشرة كل واحدة ركن من أركان كل جزء من الأجزاء الثلاثة وكسر من كسوره، وسعة كل واحد من الأركان الاثني عشر الذي دلت عليه ألف (الله) سعة اللام منه وهي ثلاثون وهي قلب الاسم ووسطه «ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب

عبدي المؤمن»[١]... فقلب اسم الولي هو (اللاّم) كقلب [اسم] علي عليه السلام، وهي مطابقة لـ(لام) (الله) التي هي «إلزام الله (تبارك وتعالى) الخلق بولاية آل محمد الاثني عشر (صلوات الله عليهم)»، وكل واحد ولي منه، منه بدؤه وإليه عوده، كما ورد في الدعاء الذي شُغْلُنا ـ والحمد لله ـ شرحه: «**بَدْؤُها مِنْكَ وَعَوْدُها إِلَيكَ**»...

فالله هو الولي... وكل واحد من الأركان الاثني عشر هادٍ لمن طلب الهداية منه، وهوانٌ لمن خالفه...

فالله هو المحتجب، والأركان الاثنا عشر حجبه كما روي عنهم عليهم السلام: «**هو المحتجب ونحن حجبه**»[٢]، وكل واحد حجاب له، وهو بكله ظاهر فيه كظهور زيد في قيامه، والظاهر في ظهوره أظهر من ظهوره[٣]، واستتر لعِظَم نوره، وخفيَ لشدّة ظهوره، كشدة ظهور زيد في قيامه وقعوده...

١ـ في الحديث القدسي: «ما وسعني سمائي ولا أرضي ولا عرشي ولا كرسيي وإنما وسعني قلب عبدي المؤمن». عوالي اللئالي: ج ٤ ص ٧ ح ٧، الوافي: ج ١١ ص ٥٣٦، بحار الأنوار: ج ٥٥ ص ٣٩.

٢ ـ عن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، الهداية الكبرى: ص ٤٣٥ ب ١٤.

٣ـ قال الشيخ الأوحد (أعلى الله مقامه) ما ملخصه: إن دليل الحكمة آلة لتحصيل المعارف الإلهية الحقّية وبه يُعرف الله لا بغيره من الأدلة.. فدليل الموعظة الحسنة إنما هو بيان طريق السلامة، ودليل المجادلة بالتي هي أحسن إنما يقطع حجة المخالف... فإذا قلت: إنّ كل أثر يشابه صفة مؤثره وأنّه قآئم به ـ أي بفعله ـ قيام صدور كالأشعة قائمة بالمنيرات والصور في المرايا، فالأشيآء هي ظهور الواجب بها لها؛ لأنّه تعالى لا يظهر

←

بالجملة، فالدرجات الرفيعة لكل ركن ثلاثون وهي الحجب والأركان محتجبون، وتلك الحجب أسماء الله (تبارك وتعالى) وعددها ثلاثمائة وستون، وقد عد عليه السلام بعضها كما أوردناها، فإن عد معها الأركان الاثنا عشر والأجزاء الثلاثة لصارت ثلاثمائة وخمسة وسبعين اسماً فاعلم أنه إذ عدت الأسماء مرة بثلاثمائة وستين، فبملاحظة الدرجات الفلكية التي هي آثار ومظاهر لها، وإذا عُدّت باثنتي عشرة، وبملاحظة البروج الاثني عشر ـ التي هي المظاهر الكلية ـ فلا ينافي عدد البروج الاثني عشر عدد الدرجات الثلاثمائة والستين، وكذا إذا عُدّت بتسعة وتسعين لا تقتضى التنافي، فإنها بملاحظة الميادين الأحد عشر من أهل التوحيد في المبادي الفلكية ـ وهي التسعة ـ وتلك الميادين مرموزة في قوى الهاء والواو من لفظة (هو هو)...

→

بذاته و إلاّ لاختلفت حالتاه ولايكون شيء أشدّ ظهوراً وحضوراً وبياناً من الظاهر في ظهوره؛ لأنّ الظاهر أظهر من ظهوره وإن كان لا يمكن التوصّل إلى معرفته إلاّ بظهوره، مثل القيام والقعود، فإنّ القائم أظهر في القيام من القيام وإن كان لا يمكن التوصّل إليه إلاّ بالقيام فتقول: يا قآئم ويا قاعد. فانت انما تعني القائم لا القيام لأنّه بظهوره لك بالقيام غيّب عنك مشاهدة القيام أصلاً.. فبهذا الاستدلال ـ الذي هو من دليل الحكمة ـ يكون سبحانه عند العارف أظهر من كل شيء، كما قال سيد الشهداء عليه السلام: «أَيَكُونُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ ما لَيْسَ لَكَ حَتّى يَكُونَ هُوَ الْمُظْهِرَ لَكَ» ، وبه تحصل المعرفة الحقّة لا بغيره. انتهى. شرح الفوائد: الفائدة الأولى ص ٨ (ط الحجري)، ج ١ ص ٢٠٦ (ط الجديد).

وكذا إذا عُدّت بألفٍ وواحد. فبملاحظة البناء من اسم الفاعل، واسم المفعول، وأفعل التفضيل، وجعلٍ بعض الأسماء صفةً لبعض، وتركيب أسماء عديدة وجعلها واحداً، وأمثال ذلك، كما تراها في الآيات القرآنية والدعوات ـ كالجوشن الكبير ـ فلا منافاة، والحمد لله.

ثم اعلم أن تلك الأسماء ـ التي هي أفعال منسوبة إلى الأركان الأثني عشر، التي هي أفعال منسوبة إلى الأجزاء الثلاثة، التي هي حجب الاسم المكنون المخزون عند الله (تبارك وتعالى) ـ كانت قبل جميع المكونات المجردة والمادية بجواهرها وأعراضها وفواعلها وقوابلها وذواتها وصفاتها، وأفعالها وآثارها، وأشباحها، وجميع ما يصدق عليه شيء فهو شيء بمشيّة الله وإحداثه ﴿**قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾، فهي برمتها مسبوقة بها أي بتلك الأسماء المذكورة، وهي سابقة على الكل، وكلّ قد كُوّن بها، فهي مخلوقة بها، وهي مخلوقة بأنفسها، كما روي: «**خلق الله المشية بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشية**»[1]، «**تجلى** (الله سبحانه) **لها فأشرقت، وطالعها فتلألأت، فألقى في هويّتها مثاله، وأظهر عنها أفعاله**»[2]، «**تجلى لها بها، وبها امتنع منها، وإليها حاكمها**»[3]، كما ورد جميع ذلك عنهم (صلوات الله عليهم)...

---

١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام، الكافي: ج ١ ص ١١٠ ح ٤، التوحيد: ص ١٤٧ ـ ١٤٨ ب ١١ ح ١٩.

٢ ـ عيون الحكم والمواعظ: ص ٣٠٤ رقم ٥٤١٨، غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤٢ رقم ٧٥، مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ٤٩، بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ١٦٥.

٣ـ نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٨٥.

فاعلم ـ علّمك الله ـ أن تلك الأركان الاثني عشر لما تعلّقت بالموجودات وُجدت بعد تعلّقها بها، فكانت معدومات قبل التعلق، فلما تعلّقت أحدثت ـ أولاً في جميع العوالم ـ المبادئَ، ثم المنتهيات بالمبادئ، فصارت المبادئ في كل عالم في مكان ذلك العالم ووقته على طبق الأركان الاثني عشر؛ اثنا عشر للزوم المطابقة بين الأثر والمؤثر، والأثر يشابه صفة المؤثر، وذلك حكم حتمي، حكم الحكيم ما أتقن حكمته بين الخلق؛ للاستدلال بها على المؤثر، ولولا ذلك لبطل النظام وفسد القوام، وكانت الحكمة ناقصة من الحكيم العلاّم[١]. وإلى ذلك يشير قوله الفاصل وأمره الواصل: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ**﴾.

فالشهور الاثنا عشر هم الأركان الاثنا عشر...

فـ«السَّلاَمُ عَلَى شُهُورِ الْحَوْلِ»[٢] (في جميع الدور، وهم قبل الدور في جميع الدور، وقبل الكور في جميع الكُور)[٣].

---

١ ـ عن المفضل، عن أبي عبد الله عليه السلام: «يا مفضل، إن الظهور تمام البطون والبطون تمام الظهور، والقدرة والقوة تمام الفعل، ومتى لم تكن كليات الحكمة تامة في بطونها تامة في ظهورها كانت الحكمة ناقصة من الحكيم وإن كان قادراً». كتاب فكّر (توحيد المفضل): ص ٢٢٧ المجلس الخامس، صحيفة الأبرار: ج ١ ص ٢٧٧ ح ٦.

٢ ـ مقطع من الزيارة الإمام الرضا عليه السلام (الجوادية)، بحار الأنوار: ج ٩٩ ص ٥٤ ح ١١.

٣ ـ كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة الافتخارية: «أنا مع الكور قبل الكور، أنا مع ←

والأيام ثلاثونَ لكل شهر، ﴿وَتِلكَ الأَيّامُ نُداوِلُهَا بَينَ النّاسِ﴾، في ستة منها خُلقت السموات والأرض[1]، وما بينهما اثنان لخلقهما وأربعة للأقوات، وتلك الستة مذكورة مبذولة في جميع الصحف المنسوبة إلى الله (تبارك

←

الدور قبل الدور». مشارق أنوار اليقن: ص ٢٦٥.

قال الشيخ الأوحد (أعلى الله مقامه): فبعضهم اصطلح على تسمية الأدوار الأربعة ـ إذا كانت في المجردات ـ بتسميتها أكواراً، وفي الأجسام بتسميتها أدواراً. وبعضهم في اصطلاحه عكس التسمية. ونحن قد جرينا في اصطلاحنا على الاصطلاح الأوّل، فلذا قلت: وللعقل الأوّل في أكواره الأربعة. وقلت بعدُ: وللجسم في أدواره الأربعة. وأريد بأكواره الأربعة أن الله سبحانه أول ما خلق منه أن خلق عناصره من تكرير طبائعه بعضها على بعض، ثمّ كوّر العناصر فتولد منها معادنه، ثمّ كوّر بعضها على بعض فتولد نباته، ثمّ كوّر بعضها على بعض فتولد حيوانه، فهو من ابتداء، تكوينه في هذه الأطوار [الأكوار] إلى أن تمت خلقته بالدهر والممكن أي مصحوباً بهما على نحو المساوقة؛ لكون كل واحد شرطاً للآخرين، له ما للمشية بالسرمد والإمكان من المساوقة التي هي التحاوي ومن الشرطية، وكذلك للجسم أيضاً، أعني محدّب المحدّد في أدواره الأربعة، دورة عناصره ودورة معادنه ودورة نباته ودورة حيوانه، وبالزمان والمكان ـ كما مرّ ـ ما للمشية وللعقل كما تقدّم. ومعنى المساوقة في الثلاثة: أن يكون كل واحد مع وقته ومكانه مساوقاً في الظهور؛ لكون الكل شرطاً للآخرين، وكذا معنى التحاوي: أن يكون كل واحد حاوياً للآخر، بمعنى أن لايخرج شيء منه عن الآخر، ولاينقص عنه، فلا يُتصور ظهور جزء من واحد منهما خالياً عن جزء من الآخرَين. انظر: شرح الفوائد: الفائدة الثامنة ص ١٦٢ (الطبع الحجري)، ج ٢ ص ١٨٩ (الطبع الجديد).

١ ـ في قوله: ﴿إِنّ رَبَّكُمُ اللّهُ الّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتّةِ أَيّامٍ﴾. الأعراف: ٥٤.

وتعالى) سماها الصابئون والمجوس بـ«شش گاه» أي الأوقات الستة، وسماها اليهود والنصارى بالأيام الستة ـ كما في القرآن ـ فالسبت على زعمهم يوم الراحة وبه تمام الأسبوع.

فالسبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والأحد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)... ويوم الاثنين الحسن والحسين عليهما السلام... والثلاثاء علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام، والأربعاء موسى بن جعفر وعلى بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد عليهم السلام، والخميس العسكري عليه السلام... والجمعة القائم (صلوات الله عليه وعلى آبائه)[1]...

فالشهور مكررات الأسابيع ليست شيئاً سواها، والسنون مكررات الشهور ليست شيئاً سواها... قبل أن تكون (سماء مبنية، ولا أرض مدحية، ولا شمس مضيئة، ولا قمر منير)[2]، ولا دُنياً فانية، ولا آخرة باقية، ولا جنّة عالية، ولا نار حامية، ولا آدم، ولا حواء، ولا روح، ولا بدن، ولا ماء، ولا طين، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**»[3]... قبل اللوح، وقبل القلم، وقبل النون، (والنون نهر من جنة غُرست بأيديهم، والقلم جرى

---

١ ـ إثبات الوصية: ص ٢٦٦، الخصال: ص ٣٩٦ ح ١٠٢، كمال الدين: ص ٣٨٣ ب ٣٧ ح ٩، معاني الأخبار: ص ١٢٤، الهداية الكبرى: ص ٣٦٣ ب ١٤، كفاية الأثر: ص ٢٩١.

٢ ـ كما جاء في طيّات حديث الكساء الشريف المعروف.

٣ ـ الآداب الدينية (الطبرسي): ص ٢٢١، مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ٢٦٦، مشارق أنوار اليقين: ص ١٨٦، عوالي اللئالي: ج ٣ ص ١٢١ ح ٢٠٠.

بتحريكهم، وسطّر ما كان وما يكون بترقيمهم وتحريرهم)[١]، فالسلام عليكم يا أهل بيتٍ (منكم الصادر وإليكم الوارد)[٢]، [لأن] (بكم تحركت

---

١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام: «إن الله خلق القلم من شجرة في الجنة يقال لها الخُلد، ثم قال لنهر في الجنة: كن مداداً، فجمد النهر ـ وكان أشد بياضاً من الثلج وأحلى من الشهد ـ ثم قال للقلم: اكتب. قال: وما أكتب يا رب؟ قال: اكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة...». تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٧٩.

وعن يحيى بن أبي العلاء الرازي، أن رجلاً دخل على أبي عبد الله عليه السلام فقال: جعلت فداك، أخبرني عن قول الله (عز وجل) ﴿ن وَالْقَلَمِ وَما يَسْطُرُونَ﴾، فقال: «أما نون فكان نهراً في الجنة أشد بياضا من الثلج و أحلى من العسل، قال الله (عز وجل): كن مدادا، فكان مدادا، ثم أخذ شجرة فغرسها بيده ـ ثم قال: واليد: القوة، وليس بحيث تذهب إليه المُشبّهة ـ ثم قال لها: كوني قلماً، فكانت قلماً، ثم قال له: اكتب. فقال له: يا رب، وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة. ففعل ذلك، ثم ختم عليه وقال: لا تنطقن إلى يوم الوقت المعلوم». علل الشرائع: ص ٤٠٢ ب ١٤٢ ح ٢.

وعن جعفر بن محمد عليه السلام قال: «إني لأطوف بالبيت مع أبي عليه السلام إذ أقبل رجل طوال جَعْشَم [أي غليظ شديد] متعمم بعمامة، فقال: السلام عليك، يا بن رسول الله، قال: فرد عليه أبي، فقال: أشياء أردت أن أسألك عنها، ما بقي أحد يعلمها إلاّ رجل أو رجلان، فسأله عنها، فكان فيما سأله، قال: فأخبرني عن ﴿ن وَالْقَلَمِ وَما يَسْطُرُونَ﴾، قال: نون نهر في الجنة أشد بياضا من اللبن، قال: فأمر الله القلم فجرى بما هو كائن و ما يكون، فهو بين يديه موضوع، ما شاء منه زاد فيه، وما شاء نقص منه، وما شاء كان، وما لا يشاء لا يكون..». تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٩ ـ ٣٠ ح ٥.

٢ ـ مستفاد من توقيع الناحية المقدسة الشريف: «فاتقوا الله وسلّموا لنا وردّوا الأمر إلينا، فعلينا الإصدار كما كان منا الإيراد». كتاب الغيبة: ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦، الاحتجاج: ج ٢ ص ٥٣٧.

المتحركات وسكنت السواكن)[١].. كان ذلك الكتاب المكتوب فيه الشهور لتمام النور وكمال الظهور قبل الكون والكان، وقبل الزمان والمكان، فضلاً عن المكونات الساكنات والموجودات الجاريات فيهما، وإنما خُلقت بعد أمكنة ثلاثة وأزمنة وأوقات ثلاثة للموجودات الساكنة فيها، وهي: عالم الجبروت، وعالم الملكوت، وعالم الملك[٢]، وكل واحد من هذه الثلاثة مسكن أهله، ولكل واحد وقت مخصوص به.

وقد يستعمل الجبروت لوقت عالم العقول، والملكوت لوقت عالم النفوس، والملك لوقت عالم الأجساد، كما يستعمل الزمان لوقت عالم الأجساد، والدهر لوقت عالم النفوس وعالم العقول، كما يستعمل اللاهوت لعالم الأفئدة وأعالي العقول، والملكوت للمجردات، والناسوت للأجسام.

بالجملة، لما كانت العوالم المقدرة ثلاثة، وقد علم الله سبحانه أنه يخلق بعد تلك العوالم الثلاثة، وعلم أنها تحتاج إلى أسماء، فجعل ثلاثة أجزاء من الاسم الذي «**بالحروف غير مصوت... لفاقة الخلق إليها**» إذ لو لم يكن العلم لم يكن المعلوم، ولو لم تكن القدرة لم يكن المقدور المخلوق، وهكذا إلى تمام الأسماء الثلاثمائة والستين ومتعلقاتها....

---

١ ـ من زيارة الإمام الرضا عليه السلام المسماة بـ(الجوادية): «**السَّلاَمُ عَلَى مَنْ لَمْ يَقْطَعْ اللّهُ عَنْهُمْ صَلَوَاتِه فِي آنَاءِ السَّاعَاتِ، وَبِهِمْ سَكَنَتِ السَّوَاكِنُ وَتَحَرَّكَتِ الْمُتَحَرِّكَاتُ**». بحار الأنوار: ج ٩٩ ص ٥٤ ح ١١.

٢ ـ لاحظ: شرح العرشية: ج ٣ ص ٢٢٦، وشرح الفوائد: ج ٢ الفائدة الخامسة.

إن **الأسماء المذكورة كانت قبل جميع المخلوقات**، غنية عنها، وهي المتعلقات ـ بالكسر ـ ثم تعلق كل اسم بمتعلق ـ بالفتح ـ من المخلوقات وهي مفتاقة[١] محتاجة ـ من جميع جهاتها وحيوثها واعتباراتها ـ إلى الأسماء المذكورة.

وإن أردت معنى سبقها على المخلوقات.. فارجع إلى ما رواه العلماء الأخيار في سبق نور محمد وآله الأطهار (صلوات الله عليهم) ـ على ما في كتاب (الأنوار) لأبي الحسن البكري أستاذ الشهيد الثاني رحمه الله ـ عن أمير المؤمنين (عليه صلوات المصلين) حيث قال: «**كان الله ولا شيء معه، فأول ما خلق نور حبيبه محمد** صلى الله عليه وآله وسلم **قبل خلق الماء والعرش والكرسي والسموات والأرض واللوح والقلم والجنة والنار والملائكة وآدم وحواء بأربعة وعشرين وأربعمائة ألف عام، فلما خلق الله نور نبينا محمد** صلى الله عليه وآله وسلم **بقي الف عام بين يدي الله تعالى واقفاً يسبحه ويحمده والحق** (تبارك وتعالى) **ينظر إليه ويقول: يا عبدي! أنت المراد والمريد، وأنت خيرتي من خلقي، وعزّتي وجلالي! لولاك لما خلقت الأفلاك، من أحبك أحببته ومن أبغضك أبغضته. فتلألا نوره وارتفع شعاعه فخلق الله تعالى منه اثني عشر حجاباً أولها حجاب القدرة، ثم حجاب العظمة، ثم حجاب العزة، ثم حجاب الهيبة، ثم حجاب الجبروت، ثم حجاب الرحمة، ثم حجاب**

---

١ ـ المُفتاق: المُحتاج، مأخوذة من الفاقة وهي الحاجة. تهذيب اللغة: ج ٩ ص ٢٥٥.

النبوة، ثم حجاب الكرامة، ثم حجاب المنزلة، ثم حجاب الرفعة، ثم حجاب السعادة، ثم حجاب الشفاعة. ثم إن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يدخل في حجاب القدرة فدخل وهو يقول: (سبحان العلي الأعلى)، وبقي على ذلك اثني عشر ألف عام، ثم أمره أن يدخل في حجاب العظمة، فدخل وهو يقول: (سبحان عالِم السرّ وأخفى) أحد عشر ألف عام، ثم أمره أن يدخل في حجاب العزّة، فدخل وهو يقول: (سبحان الملك المنان) عشرة آلاف عام، ثم دخل في حجاب الهيبة وهو يقول: (سبحان من هو غني لا يفتقر) تسعة آلاف عام، ثم دخل في حجاب الجبروت وهو يقول: (سبحان الكريم الأكرم) ثمانية آلاف عام، ثم دخل في حجاب الرحمة وهو يقول: (سبحان رب العرش العظيم) سبعة آلاف عام، ثم دخل في حجاب النبوة وهو يقول: (سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ) ستة آلاف عام، ثم دخل في حجاب الكرامة وهو يقول: (سبحان العظيم الأعظم) خمسة آلاف عام، ثم دخل في حجاب المنزلة وهو يقول: (سبحانه العليم الكريم) أربعة آلاف عام، ثم دخل في حجاب الرفعة وهو يقول: (سبحان ذي الملك والملكوت) ثلاثة آلاف عام، ثم دخل في حجاب السعادة وهو يقول: (سبحان من يزيل الأشياء ولا يزول) ألفي عام، ثم دخل في حجاب الشفاعة وهو يقول: (سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم) ألف عام.

قال عليه السلام: إن الله خلق من نور محمد ﷺ عشرين بحراً من نور، في كل بحر علوم لا يعلمها إلاّ الله، ثم قال لنور محمد ﷺ: انزل في بحر

العز، ثم في بحر الصبر، ثم في بحر الخشوع، ثم في بحر التواضع، ثم في بحر الرضا، ثم في بحر الوفاء، ثم في بحر الحلم، ثم في بحر التقى، ثم في بحر الخشية، ثم في بحر الإنابة، ثم في بحر العمل، ثم في بحر المزيد، ثم في بحر الهدى، ثم في بحر الضيافة، ثم في بحر الحياء، ثم تقلّب في عشرين بحراً، فلما خرج من آخر الأبحر، قال الله تعالى: (يا حبيبي، ويا سيد رسلي، يا أول مخلوقاتي، ويا آخر رسلي، أنت الشفيع يوم الحشر). فخرّ النور ساجداً، ثم قام فقطرت منه قطرات كان عددها مائة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة، فخلق الله من كل قطرة من نوره نبياً من الأنبياء، فلما تكاملت الأنوار صارت تطوف حول نور محمد ﷺ ـ كما يطوف الحجاج حول بيت الله الحرام ـ وهم يسبّحون الله ويحمدونه ويقولون: (سبحانه من هو عالم لا يَجهل، سبحان من هو حليم لا يعجل، سبحان من هو غني لا يفتقر)... إلى آخر الحديث الشريف»[1]...

ومعاني هذا الحديث الشريف هي معاني حديث حدوث الأسماء[2] المقدسة، وإن كان ألفاظهما متفاوتة في الجملة، على حد قول الشاعر:

عباراتنا شتّى وحُسنكَ واحدٌ وكلٌ إلى ذاكَ الجمال يشيرُ

فلنرجع إلى ما كنا فيه من ذكر فقرات الدعاء وشرحها بعون الله تعالى.

---

١ ـ الأنوار في مولد النبي: ص ٤ ـ ٨.

٢ ـ تقدم في صفحة ٦١.

قال عليه السلام: «**وَآيَاتكَ وَمَقاماتكَ الَّتي لا تَعْطيلَ لَها في كُلِّ مَكان، يَعْرِفُكَ بِها مَنْ عَرَفَكَ**» عطف على سابقها وشرح له، فالولاة مجعولون للآئية[1]، والآية ترى ذي الآية ولا ترى نفسها، إذ لو أرت نفسها لكانت مُريّة لنفسها، فلم تكن حينئذ آية بل هي هي، غير مُريّة لغيرها. فحقيقة الآية وما به هي هي: أن تكون مرآةً حاكية ومجعولة لأجل الحكاية، فهم الذين من جالسهم يذكّره اللّهَ رؤيتُهم ويزيد في علمه منطقهم ويرغّبه في الآخرة عملهم، وكذا الولاة حقائقهم مجعولات مجبولات محلاً لقيامه سبحانه بأمر خلقه، كما نبه به أمير المؤمنين (عليه صلوات المصلين) في توصيفه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله في خطبته: «**أقامه مقامه في سائر عوالمه في الأداء**»[2].

فاعلم أن **المقام له لحاظان ثابتان:**

فالأول: أن مقام القيام هو المادة المتلبّسة بهيأة القيام، فالقيام هو القائم الحال في مقامه أي محله.

والثاني: بعكس الأول، فالقائم الحال هو الجوهر وهو المادة والمحل هو هيأة القيام وهي ظرف لما حل فيه وكلا المعنيين معنيان مرادان لأهل العيان.. فالقائم ذاتٌ ثبت لها القيام كما أن القادر ذاتٌ ثبتت لها القدرة، لا

---

١ ـ أي كونهم آيةً لله تعالى كما قال عليه السلام: «وَآيَاتكَ وَمَقاماتكَ».

٢ ـ في خطبةٍ يومَ الغدير، مصباح المتهجد: ص ٧٣٥، إقبال الأعمال: ص ٧٧٤، مصباح الزائر: ١٥٤ ف ٧، مصباح الكفعمي: ص ٨٠٥.

ذاتُ زيد فإنها ثبتت لها الزيدية لا القيام؛ لأنه قد يفارقه وهو زيد، أما ترى أن الزيدية لو زالت عن مادة زيد لفنى زيد! فتنبه ولا تغفل...

فمن عرف (زيداً القائم) بالأمر عرف زيداً، وهو الظاهر بالقائم به، وهو مقامه به، وهو أظهر منه من نفسه، إذ نفسه ظهوره ولا شيء له سوى ظهوره، فصار معرفته معرفته والجهل به الجهل به، وكل ما يضاف إليه يضاف إليه.

فمن لم يعرف الولاة المضافين هكذا لم يعرفهم بالنورانية، ومن لم يعرفهم بالنورانية لم يعرفهم، إذ حقيقتهم نور الله وظهوره وليسوا سوى ظهوره الله ونوره، «فليس كل من يقول بولايتهم **مؤمناً وإنما جُعلوا أنساً للمؤمنين**»[1]، وهم «**الأقلّون عدداً الأعظمون خطراً**»[2]...

فمن جملة ما هم به هم: أنهم في كل مكان، ولا تعطيل لهم في كل مكان، فهم الحجج الهادون لأهل السموات كما هم الهادون لأهل الأرض، فبهم ملأ الله سماءه وأرضه، فهم الذين في السموات حججاً وفي الأرض حججاً، وفي الدنيا حججاً وفي الآخرة حججاً، فكما أن الله سبحانه إله ورب لجميع ما سواه، كذلك هم عليهم السلام حجج لما سواهم.

وقد صرح بذلك من غير تلويح قوله تعالى: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً**﴾، والعالَمون [كل] ما سوى الله تعالى،

---

١ ـ عن علي بن جعفر قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: «ليس كل من قال بولايتنا مؤمناً، ولكن جُعلوا أنساً للمؤمنين». الكافي: ج ٢ ص ٢٤٤ ح ٧.

٢ ـ الخصال: ص ١٨٧ ح ٢٥٧، الأمالي (للمفيد): ص ٢٥٠ المجلس ١٢٩ ح ٣.

فنذيرهم محمد ﷺ، وأولو أمره الأئمة عليهم السلام، وقد صرّح بذلك بقوله: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾.

بالجملة، فلو وقف الولاة (صلوات الله عليهم) في مكان دون مكان لتعطل منهم مكان، وذلك تعطيل لأمره (جل جلاله)، وهو أجلُّ من أن لا يصل أمره إلى أحد من خلقه، وأن لا يُتم حجّته على أحد من خلقه، ﴿**قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ**﴾، فالحجة البالغة بلغت إلى جميع خلقه في أي مكان كانوا، والمبلّغ لتلك الحجة البالغة هو الرسول وأوصياؤه وخلفاؤه (صلوات الله عليهم) فهم المبلّغون عن الله (جل جلاله) إلى جميع الخلق في جميع الخلق في جميع الأمكنة ولا يخلو منهم مكان، كما لا يخلو منهم زمان؛ لإيضاح الحجة وإبلاغ المحجة، وإتمام النعمة على أهل الرحمة[1]، وإحلال الغضب على أهل النقمة بعد الإبلاغ والإيضاح وقطع الأعذار...

فالولاة عليهم السلام مجعولون مجبولون على ذلك لأجل ذلك.

فلأجل ذلك شرح الله (جل جلاله وعمّ نواله) وبين بقوله: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾، فأولئك الولاة هم أولو أمر الله (جل جلاله) لجعله لهم، ولأجل ذلك أمر المؤمنينَ ـ في أي مكان كانوا ـ بالإطاعة والانقياد لهم بقوله الحق

---

١ ـ قال النبي ﷺ لحسين عليه السلام: «خلق من صلبك أنواراً أئمة أبراراً، وجعل فيك وفيهم حكم البدء، و الفناء والآخرة والأولى وزمام كل زمام». الهداية الكبرى: ص ٣٣٧ ب ١٤.

وأمره المطلق، بلا تخصيص وتقييد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.

ولعلك عرفت مما عرّفوا وبيّنوا وأوضحوا أنه ﴿إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، وذلك التسبيح من إيصال المبلغين وإبلاغهم وإيضاحهم إلى كل شيء بلسانه، ولقد أنطق الله كل شيء وجعل الله الولاة عليهم السلام عالمين بكل نطق وكل لسان[1] ليعلم ﴿كُلٌّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾،

---

١) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الحسن عليه السلام قال: إن لله مدينتين إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب، عليهما سور من حديد، وعلى كل واحد منهما ألف ألف مصراع، وفيها سبعون ألف ألف لغة، يتكلم كل لغة بخلاف لغة صاحبها، وأنا أعرف جميع اللغات وما فيهما وما بينهما، وما عليهما حجة غيري وغير الحسين أخي». الكافي: ج ١ ص ٤٦٢ ح ٥، ومثله: بصائر الدرجات: ص ٥١٢ ـ ٥١٣ ح ٥ و ١١، الاختصاص: ص ٢٩١.

وعن ياسر الخادم قال : كان غلمان لأبي الحسن عليه السلام في البيت صقالبة ورومية، وكان أبو الحسن عليه السلام قريباً منهم، فسمعهم بالليل يتراطنون بالصقلبية والرومية، ويقولون: إنا كنا نفتصد في كل سنة في بلادنا، ثم ليس نفتصد هاهنا. فلما كان من الغد وجه أبو الحسن عليه السلام إلى بعض الأطباء فقال له: افصد فلاناً عرق كذا، وأفصد فلاناً عرق كذا، وأفصد فلاناً عرق كذا، وأفصد هذا عرق كذا. عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ٢٥٠ ب ٥٤ ح ١، إعلام الورى: ج ٢ ص ٧٠، مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٣٦٢.

وقال أبو هاشم الجعفري: دخلت على أبي الحسن عليه السلام فكلّمني بالهندية فلم أحسن أن أرد عليه، وكان بين يديه ركوة ملأى حصىً، فتناول حصاة واحدة ووضعها في فيه فمصها ثلاثا، ثم رمى بها إليّ، فوضعتها في فمي، فوالله ما بر حت من عنده حتى تكلمت بثلاثة وسبعين لساناً أولها الهندية. إعلام الورى: ج ٢ ص ١١٧، الخرائج والجرائح: ج ٢ ص

←

ولولا ذلك لبطلت الحجة وأدحضت المحجة، والله سبحانه أجل وأعلى من ذلك علواً كبيراً. قال عليه السلام: «**ألا وإنّا نحن النُذر الأولى... ونُذر كل زمان وأوان**»[1]. فلا يخلو منهم عليهم السلام مكان، فلا تعطيل لهم في كل مكان، يعرفه [تعالى] بهم من عرفه ويجهله من جهلهم. فـ«**السَّلامُ عَلَى مَنْ عَرَفَهُمْ فَقَدْ عَرَفَ اللَّهَ وَمَنْ جَهِلَهُمْ فَقَدْ جَهِلَ اللَّهَ**»[2]...

فاعلم ـ وفقك الله ـ أن الله سبحانه حكم بحكمه المحكم بأن كل معروف يُعرف بآياته ومقاماته، وقد حكم بحكمه المحكم امتناع معرفة

←

٦٧٤ ب ١٤ح ٤ ، الثاقب في المناقب: ص ٥٣٣ ح ٤٦٩، مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٤٠٨،كشف الغمة: ج ٣ ص ١٩١ ـ ١٩٢.

وقال أبو حمزة نصير الخادم: سمعت أبا محمد العسكري غير مرّة يكلم غلمانه بلغاتهم: تركٌ ورومٌ وصقالبة، فتعجبت من ذلك وقلت: هذا وُلدَ بالمدينة ولم يظهر لأحد حتى مضى أبو الحسن عليه السلام ولا رآه، أحد فكيف هذا؟! أُحدّث نفسي بذلك، فأقبل علي فقال: «إن الله تعالى بيّن حجته من سائر خلقه بكل شيء، ويعطيه اللّغات ومعرفة الأنساب والآجال والحوادث، ولولا ذلك لم يكن بين الحجة والمحجوج فرق». الكافي: ج ١ ص ٥٠٩ ح ١١، الإرشاد: ج ٢ ص ٣٣٠، روضة الواعظين: ص ٢٤٨، إعلام الورى: ج ٢ ص ١٤٥، مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٤٦١، الخرائج والجرائح: ج ١ ص ٤٣٦ ب ١٢ح ١٤.

١ ـ عن علي عليه السلام ، مشارق أنوار اليقين: ص ٢٦٤ في (الخطبة التطنجية).

٢ ـ فقرة من زيارة جامعة لجميع الأئمة عليهم السلام، انظر:كامل الزيارات: ص ٣١٥ ب ٤، المزار الكبير: ص ٥٦٦ ب ٨ ح ٢، من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٦٠٢ ح ٣٢١٢، تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ١٠٢ ب ٤٦ ح ٢. ورواها في الكافي: ج ٤ ص ٥٧٩ ح ٢، وفي كامل الزيارات: ص ٣٠٣ ب ١٠٠ في زيارة الكاظم والجواد عليهما السلام.

شيء إلاّ بآياته ومقاماته، ألا ترى زيداً المعروف أنه معروف إما في حركته وإما في سكونه، فبحركته الصادرة منه صار متحركاً، وبسكونه الصادر منه صار ساكناً، فالمتحرك آية من آياته، والساكن مقام من مقاماته، وهو معروف بهما، ولولاهما لم يكن معروفاً، بل لم يكن موجوداً، ويمتنع أن يُوجد زيد من غير حركة أو سكون، ويمتنع أن يُعرف زيد ويُوصف إلاّ بالمتحرك أو الساكن، وهو المتحرك والساكن وحده.. وهما صفتان له ولم يَصر زيدٌ بعد وحدته اثنين، ولم يصر نصف اثنين، ولم يصر الاثنان نصفين له، ولم تصر الحركة صفة زائدة على ذات زيد، كما لم يصر السكون صفة زائدة له على ذاته، وهما اثنان وهو واحد، وهو بوحدته.. متحرك، كما هو بوحدته.. ساكن، ولو لم يكن زيدٌ قادراً على الحركة والسكون لم يقدر على إحداث الحركة والسكون، فالحركة فعل صادر منه، كما أن السكون فعل صادر منه، وهما فعلان صادران منه، كما أن القدرة فعل صادر منه، وهو فاعل واحد، أحدث كل واحد من الحركة والسكون بهما، فأحدث الحركة بنفس الحركة لا بالسكون، واحدث السكون بالسكون لا بالحركة، وهما فعلان صادران منه، وهو واحد، ويمتنع أن يصير الفاعل [هو] فعله، ويمتنع أن يصير الفعل [هو] فاعله، فتبصّر...

فإذا عرفت ذلك فاعلم أن الشيء بنفسه غير معروف ولا منكورٌ، فإذا عُرف صار معروفاً، وإن جُهل صار مجهولاً منكوراً، وهو هو، سواء عرفه عارف أم أنكره منكر. فالمعروف والمنكور صفتان ذاتيتان (ثابتتان) لذات الشيء غير زائدتين على ذاته، كالمتحرك والساكن كما عرفت...

بالجملة، دليل كل مدلول عليه آياته، ووجوده إثباته، فمن أجل ذلك أمر الله (تبارك وتعالى) عباده ما يمكن لهم أن يأتوا به.. فجعل آياته قائمات في مقاماته فقال: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾... فلو كانت للآيات «**الَّتي لا تَعْطيلَ لَها في كُلِّ مَكان**» اعتبار غير الله فيها لوسع الخرق بأنها باعتبار ترى غير الله وباعتبار أدلاّء إلى الله، فلم يتبين حينئذ للناس ﴿**أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾، ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً**﴾، وقد قال: ﴿**يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾، فلا يوجد في الآيات ما لم يكن عن الله (تبارك وتعالى)، فلأجل ذلك قال (عجل الله فرجه):

«**لا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَها إلاّ أَنَّهُمْ عِبادُكَ وَخَلْقُكَ**»، شرحاً لتلك الآية المذكورة وبياناً لقوله (تبارك وتعالى): ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً * وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً**﴾.

وتبياناً لقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَ يَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ**﴾.

وتفسيراً وتحذيراً مما حذر الله بقوله: ﴿**وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾، فتدبر في آيات الله سبحانه وتذكر توافق الآثار معها بأنه لا فرق بينه وبينها إلاّ انها آثار له وهو مؤثر لها، كما أنه لا

فرق بين زيد وقائم في قولك (زيد قائم) إلاّ أنه أحاط ـ بلا نهاية ـ بجميع جهات القائم بروحه وبدنه وعقله ونفسه ومعلوماته ومعقولاته وأفعاله وأقواله وأوامره ونواهيه وحركاته وسكوناته وجميع ماله وبه ومنه وإليه وعليه، فزيد أحاط بجميع ذلك حتى نسب الجميع إليه وحده لا شريك له، وكلها صادرة منه راجعة إليه حقيقة لا مجاز فيها، وصدقاً لا كذب فيها، ولا ريبة تعتريها، فذلك مقام لا فرق بين زيد وقائم، ومع ذلك كله هو خبر لزيد وزيد هو المراد وهو المبتدأ، والخبر غير المبتدأ، وهو الأصل، وذلك الفرع وهو المحيط، وذلك المُحاط والمُحيط، قد أحاط بالمُحاط هو هو وحده وحده.. والمُحاط لا يُحيط بالمُحيط، فهو غيره، فزيد هو القائم ظهوراً وعياناً وعلماً وقدرةً وحكمةً، وفعلاً وقولاً، وأمراً ونهياً، وفعلاً وتركاً، وهو غيره كُلاً وجمعاً وإحاطةً، فقد دخل الاستثناء بقوله (عليه الصلاة والسلام والثناء): «**إِلاّ أَنَّهُمْ عِبادُكَ وَخَلْقُكَ**».

وذلك ما ألقى الصادق الأمين (عليه صلوات المصلين) على المفضل.. في سؤاله عن الصورة الأنزعية التي رؤيت على المنابر بقوله: «هو هو وجوداً وعياناً، وهو غيره كُلاً وجمعاً»[1]... فتذكر قوله تعالى: ﴿**فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ**

---

١ ـ قال عليه السلام: «يا مفضل، أن الصورة الأنزعية التي قالت: (ظاهري إمامة ووصية، وباطني غيب منيع لا يُدرك) ليستْ كلية الباري ولا الباري سواها، وهي هو إثباتاً وإيجاداً وعياناً ويقيناً، لا هي هو كُلاً ولا جمعاً ولا إحصاء ولا إحاطة». كتاب فكّر (توحيد المفضل): ص ٢٢٩ المجلس الخامس، صحيفة الأبرار: ج ١ ص ٢٧٧ ح ٦.

اللَّه وَآيَاتِه يُؤْمِنُونَ﴾، فهو سبحانه معروف بآياته، ولا فرق بينه وبينها إلاّ كما بينه (روحي فداه، وعليه التحية والثناء) بقوله الصريح للتصريح ﴿**لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾: «**إلاّ أَنَّهُمْ عبادُكَ وَخَلْقُكَ**».

فصرّح وبيّن وأوضح بأن الآيات والمقامات «**الَّتي لا تَعْطيلَ لَها في كُلِّ مَكان**»، التي يعرفه بها من عرفه، لا فرق بينه وبينها، إلاّ أنهم عباده وخلقه. فاعرف النسبة بينه وبينها بالإيجاب والسلب معاً... [و] أنه لا فرق بينه وبينها وجوداً وعياناً، وفعلاً وقولاً، وأمراً ونهياً، وإطاعة وخلافاً، ومحبةً وبُغضاً، ومعرفةً وجهلاً، وإذعاناً وجحوداً وإنكاراً، ومبايعةً ونكثاً، وأمثال ذلك. وهي غيره تعدداً وكثرةً، وافتقاراً إليه، وصدوراً منه، ورجوعاً إليه، وهو غيرها إحاطةً، ووحدةً، وغناءً، وأمثال ذلك...

فمرّة أشار إليها بضمير الآيات والمقامات، ومرّة أشار إليها بضمير مَن يعقل في الاستثناء وجعل الخبر مصرّحاً بـ(العباد) المضاف [له]...

وإن عرفت ما عرّفناك فاعلم أن عبودية أولئك العباد وخلقتهم غير عبودية سائر العباد.. وخلقتهم ليس كخلقة سائر الخلق.. بل هي مخلوقة في مراتبها بمراتب شتى بعد خلق «أول ما خلق الله» كما تلونا عليك في حديث سبق خلقة نور محمد ﷺ... وقد وقع الناس في الالتباس بقياسهم.. وقد قالوا عليهم السلام: «**نحن.. لا نقاس بالناس**»[1]، فالناس أباً عن جد إلى إبي البشر

---

١ ـ عن علي عليه السلام، مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ٨٤ وفيه: «نحن أهلُ بيت... الخ».
قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يُقاس بآل محمد ﷺ من هذه الأمة أحد، ولا يسوّى بهم مَن

←

خلقُهم من طين، وكذا جميع الأنبياء والمرسلين والأوصياء المكرمين عليهم السلام وسائر الخلق أجمعين... وأما خلق ذلك الأمر المضاف [إليه] فليس بأمر سابق له كسائر الأشياء فخلَقه به لا بشيء سواه، فهو صادر عنه سبحانه، به، وسائر الأشياء صادرة به لا بأنفسها.. وهم عليهم السلام نوره وشعاع نوره، (وهو المحتجب وهم حجبه)[1]، فلذا صارت معرفتهم بالنورانية هي معرفة الله (عز وجل) ومعرفة الله (عز وجل) معرفتهم، وهم عزته وجلاله ونوره، كما قال أمير المؤمنين (عليه صلوات المصلين): «**يا سلمان ويا جندب إن معرفتي بالنورانية هي معرفة الله** (عز وجل) **ومعرفة الله** (عز وجل) **معرفتي**»[2]، فمن لم يُقر بأنهم نور الله فهو شاك مرتاب، وقد وقف من وراء «**الباب المبتلى به**

→

جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي». نهج البلاغة: الخطبة الثانية.

وقال لطارق بن شهاب: «جَلَّ مقام آل محمد عن وصف الواصفين ونعت الناعتين، وأن يقاس بهم أحد من العالمين، وكيف وهم النور الأول، والكلمة العليا، والتسمية البيضاء، والوحدانية الكبرى، التي أعرض عنها من أدبر وتولى، وحجاب الله الأعظم الأعلى، فأين الأخيار من هذا ؟ وأين العقول من هذا؟... الخير». مشارق أنوار اليقين: ص ١٧٨.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن ابنتي سيدة نساء العالمين، وإن بعلها لا يقاس بأحد من الناس، وإن ولديه الحسن والحسين هما ريحانتاي في الدنيا والآخرة». الفضائل (للقمي): ص ١٦٩.

١ ـ عن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، الهداية الكبرى: ص ٤٣٥ ب ١٤.

٢ ـ مشارق أنوار اليقين: ٢٥٥.

الناس»... وتلك النورانية هي النازلة من عند الله في سورة النور[١]؛ لئلا يعتذر المعتذرون.. بأن يقولوا: الروايات ظنيٌّ صدورها، أو تلك المروية موضوعةٌ برأسها...

[الفارق بين الخلق والخالق]

ثم اعلم أن.. ما يجب له (جل شأنه) يمتنع في خلقه ـ كائناً ما كان ـ من الصفات الكمالية، وكل ما يمكن في الخلق ـ كائناً ما كان ـ يمتنع فيه (جل شأنه)[٢]، وكل ما يمكن لهم وفيهم فهو من عالم الإمكان ومن عالم الخلق... وكل ما يسمى باسم الشيء فهو شيء؛ لأنه مُشاء[٣]، فالله سبحانه ﴿**خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ وكنهُهُ تفريقٌ بينه وبين خلقه، وليس بينهما ما يتشاركان فيه.

---

١ ـ سورة النور، الآيات ٣٥ ـ ٣٨.

٢ ـ عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: «فكل ما في الخلق لا يوجد في خالقه، وكل ما يمكن فيه يمتنع من صانعه». التوحيد: ص ٤٠ ب ٢ ح ٢.

٣ ـ في خطبة أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير: «﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ **إذ الشيء من مشيّته**». انظر: مصباح المتهجد: ص ٧٥٢.

قال الحاج محمد كريم (أعلى الله مقامه): فالمُشاء هو الشبح المنفصل عن المشيّة، ويكون على صفتها لا محالة. شرح دعاء السّحَر: ص ٢٣٠ ف ١٠.

والمراد بـ(كل شيء): ما تعلق به المشيّة من الذوات والصفات قاطبة، وما بينهما من تلازم، ونسبة، واقتران، وأصلية، وفرعية. وروي (إنما سمي الشيء شيئاً لأنه مُشاء)، وإن الله سبحانه «خلق المشيّة بنفسها، ثم خلق الأشياء بالمشيّة».. فجميع ما سوى الله سبحانه مخلوق بمشيّته، وقد مَلأَتْ هذه العظمةُ جميعَها، أي جميع الأمكنة الوجودية، وهذا المَلأُ

←

فالحد المشترك مرتفع بينه وبين خلقه، (حق وخلق لا ثالث بينهما ولا ثالث غير هما[١]، والحق ليس بخلق من جميع الوجوه والامتيازات، والخلق ليس بحق من جميع الحيوث والاعتبارات؛ كيف لا والحق غني عن خلقه بكل اعتبار، والخلق فقير محتاج إلى خالق خلقه بكل اعتبار، فكل ما يمكن في الخلق يمتنع في الخالق ـ كائناً ما كان ـ وكل ما يجب له من الصفات يمتنع في الخلق ـ كائناً ما كان ـ فهو سبحانه هو العالم القادر السميع البصير الخبير الحكيم الحليم (العليم)، وهكذا إلى آخر صفاته وأسمائه وأنواره، «**والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور**»[٢].

وهكذا هو هو بجميع صفاته الكمالية من القدسية والإضافية والفعلية، وهي ليست بعارضة له ولا بزائدة على ذاته سبحانه، (وكمال توحيده

→

مَلأٌ لا نهاية له ولا غاية.. بل هذا الملأُ ملأٌ نافذ في جميع الأمكنة الوجودية للأشياء، فهي إذ هي ليست إلاّ نورَ عظمة الجبار وصفة القهار. شرح دعاء السّحَر: ص ٩٢ ـ ٩٣ ف ٤.

١ ــ قال عمران الصابي: يا سيدي ألا تخبرني عن الإبداع، أخلق هو أم غير خلق؟ قال الرضا عليه السلام: «بل خلقٌ ساكنٌ لا يُدرَكُ بالسكون، وإنما صار خلقاً لأنه شيء مُحْدَث، والله تعالى الذي أحدثه، فصار خلقاً له، وإنما هو الله (عز وجل) وخلقُهُ لا ثالث بينهما، ولا ثالث غيرهما..». التوحيد: ص ٤٣٨ ب ٦٥، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٥٦ ب ١٢.

٢ ـ عن الصادق عليه السلام، الكافي: ج ١ ص ١٠٧ ح ١، التوحيد: ص ١٣٩ ب ١١ ح ١.

تقديسه وتنزيهه، وكمال تنزيهه نفي الصفات عنه)[١]؛ لأنها صادرة عنه مقترنة بموصوفاتها، وهو غير مقترن بما هو صادر منه، بل تجلّى لكل واحد من صفاته به، وبه امتنع منه، فلا يقترن به، فليس شيء منها زائداً عليه، فهو الموصوف بها في مقامها بها، وهي المنفيات عنه في ذاته تعالى.

وأما الأشياء فهي المفتقرة المحتاجة إليه سبحانه، فهي المعلومات له سبحانه، فهي في كونها معلومات له مفتقرة إلى علمه سبحانه بها، وعلمه سبحانه غير مفتقر إلى كونها معلومات، فهو عالم بها قبل كونها كما هو عالم بها حين كونها كما هو عالم بها بعد كونها، لا نقص في علمه بها قبل كونها، ولا يزيد في علمه بها حين كونها، ولا ينقص في علمه بها بعد كونها، فعلمه بها قبل كونها كعلمه بها حين كونها، وعلمه بها قبل كونها وحين كونها كعلمه بها بعد كونها، لا يقبل علمه الزيادة والنقصان، وهي مفتقرة إلى علمه الذي هو «**ذاته ولا معلوم**»[٢]...

فلو فُرض بالفرض المحال ـ الذي يمتنع وجوده في المجال ـ كونها بغير علم منه سبحانه لامتنع كونها معلومات، فهي بكل اعتبار مفتقرة إلى علمه في جميع مراتبها، وعلمه سبحانه غير مفتقر إلى اعتبارٍ من أذكارها في مراتبها بوجه من الوجوه، فهو ـ إذاً ـ عالمٌ ولا معلوم...

---

١ ـ قال علي عليه السلام: «وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه». نهج البلاغة: الخطبة الأولى.

٢ ـ عن الصادق عليه السلام، الكافي: ج ١ ص ١٠٧ ح ١، التوحيد: ص ١٣٩ ب ١١ ح ١.

وكذا كان قديراً «**والقدرة ذاته ولا مقدور**»[١]، والمقدور هو المخلوق سواء كان مقدوراً في الإمكان غير مخلوق في الأعيان فيسمى مقدوراً غير مخلوق، أم كان موجوداً في الأعيان فيسمى مخلوقاً بعد كونه مقدوراً أو مقدّراً، فهو سبحانه غير محتاج إلى خلقه في كونه قديراً، وقدرته غير مفتقرة إلى شيء من الموجودات المقدّرة أو المعينة في كونها قدرة صادرة منه سبحانه بها لا بذاته سبحانه، ولا زائدة على ذاته سبحانه.

والأشياء كلها ـ من الحيوث والاعتبارات، من مبادئها إلى منتهياتها ـ مفتقرة إلى قدرته تعالى، وليست حقائقها إلاّ بإحداثه تعالى لها، وإحداثه إيجاده لها بقدرته ومشيته... كما روي: «**خلق الله المشيّة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيّة**»[١].

وهكذا حال جميع صفاته الكمالية، فهي صادرة منه بأنفسها غير زائدة على ذاته سبحانه، غير مفتقرة إلى شيء من متعلَّقاتها ـ بالفتح ـ وهي مفتقرة إلى متعلِّقاتها ـ بالكسر ـ فهو سبحانه موصوف بصفاته الكمالية في مراتبها، وهو المسمى بأسمائه الحسنى في مواقعها، «تجلى لها بها، امتنع منها، وإليها حاكمها»[٢]، لا فرق بينه وبينها (إلاّ أنها عباده وظهوره، فَتْقُها وَرَتْقُها بِيَدِه، بَدْؤُها مِنْه وَعَوْدُها إليه)، وهو هي ظهوراً ووجوداً، وعياناً وشهوداً، وهي هو كذلك، وهو غيرها ذاتاً ووحدة، وإحاطة وجمعاً وغنى، وهي غيره صفة

---

١ ـ الكافي: ج ١ ص ١١٠ ح ٤، التوحيد: ص ١٤٧ ـ ١٤٨ ب ١١ ح ١٩.

٢ـ قال عليه السلام: «تجلى لها بها، وبها امتنع منها، وإليها حاكمها». نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٨٥.

وظهوراً ونوراً وتعدداً وكثرة واحتياجاً، فهو العالم القادر الظاهر الباطن الأول الآخر، وهكذا، هو الموصوف المسمى بجميع أسمائه الحسنى وأمثاله العليا، وبينونتها منه تعالى «**بَيْنُونَةُ صِفَةٍ لاَ بَيْنُونَةُ عُزْلَة**»[١].

وقد روي عن الصادقين عليهما السلام: «نحن ـ والله ـ الأسماء الحسنى التي أمر الله أن تدعوه بها»[٢].

وروي عنهم عليهم السلام: «لنا مع الله حالات هو فيها نحن ونحن فيها هو وهو هو ونحن نحن»[٣].

وهو معنى قول أمير المؤمنين (عليه وآله صلوات المصلين): «**إن معرفتي بالنورانية هي معرفة الله** (عز وجل)، **ومعرفة الله** (عز وجل) **معرفتي**»[٤].

وهو معنى ما ورد في الجامعة الصغيرة المتفق على صحتها صدوراً: «**السَّلامُ الذين عَلَى مَنْ عَرَفَهُمْ فَقَدْ عَرَفَ اللَّهَ وَمَنْ جَهِلَهُمْ فَقَدْ جَهِلَ اللَّهَ**»[٥].

١ـ عن علي عليه السلام، الاحتجاج: ج ١ ص ٤٧٥ (احتجاجات أمير المؤمنين عليه السلام في التوحيد).

٢ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام: «نحن ـ والله ـ الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلاّ بمعرفتنا». الكافي: ج ١ ص ١٤٤ ح ٤، ونحوه في تفسير العياشي: ج ٢ ص ٤٢ ح ١١٩.

٣ـ ورد عنهم عليهم السلام: «إن لنا مع الله حالات هو فيها نحن، ونحن هو، ومع ذلك هو هو، ونحن نحن». كلمات مكنونة: ص١١٤، شرح الأربعين (القاضي القمي): ص٢١٣.

٤ ـ مشارق أنوار اليقين: ٢٥٥.

٥ ـ كامل الزيارات: ص ٣١٥ ب ٤، المزار الكبير: ص ٥٦٦ ب ٨ ح ٢، من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٦٠٢ ح ٣٢١٢، تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ١٠٢ ب ٤٦ ح ٢.

وهو معنى ما ورد في الجامعة الكبيرة وسائر الزيارات التي لا نكير لها من بين العلماء الأبرار والحكماء الأخيار من الفرقة المحقة الاثني عشرية: «**مَنْ أَرادَ اللهَ بَدَأَ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ**».

وهو معنى ما روي عنهم عليهم السلام: «**بنا عُرف الله**»[١]، و «**لولانا ما عُرف الله**»[٢]، وهو كما عُرفَ زيدٌ بصفاته من القائم والقاعد والراكع والساجد وأمثالها، ولولاها بأسرها ما عُرف زيدٌ... وهم الآيات التي أخبر عنها في كتابه بقوله: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾... (فلا فرق بينه وبين آياته إلاّ أنها آياته)، فهو معروف بآياته، «**دليله آياته، ووجوده إثباته**»[٣]، فدليل زيد صفاته، ولولاها لم يُعرف زيد، ووجوده إثباته لصفاته وأثبت صفاته بها، ولولا وجوده لم تكن الصفات موجودة مثبتة...

[تنزيه الخالق عن صفات الخلق]

ثم اعلم.. أنه سبحانه لا يُوصف بصفات أحد من خلقه[٤]، فلا يوصف بجوهر ولا بعرض، ولا بمجرد ولا مادي، ولا بغياب ولا حضور، ولا بمادة

---

١ ـ الكافي: ج ١ ص ١٥٤ ح ١٠، التوحيد: ص ١٥٢ ح ٩، بصائر الدرجات: ص ٦٤ ح ١٦.

٢ ـ بصائر الدرجات: ص ٦١ ح ٣ ص ١٠٥ ح ٩ و ١١.

٣ـ عن علي عليه السلام، الاحتجاج: ج ١ ص ٤٧٦ (احتجاجات أمير المؤمنين عليه السلام في التوحيد).

٤ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام: «كيف يصف إلهَهُ مَن يعجز عن صفة مخلوق مثله». نهج البلاغة: الخطبة ١١٢.

←

ولا بصورة، ولا بكم ولا بكيف، ولا بغيب ولا بشهادة، وهكذا إلى ما لا نهاية لها من خلقه.

فليس بجسم ولا جسماني، ولا بجسد و[لا] جسداني، وليس بنبات ولا نباتي، ولا بحياة و[لا] حيواني، ولا بخيال و[لا] خيالي، ولا بطبع و[لا] طبعاني، ولا بنفس و[لا] نفساني، ولا بإنسان و[لا] إنساني، ولا بروح و[لا] روحاني، ولا بعقل و[لا] عقلاني، ولا بفؤاد ولا فؤادي، ولا بشيء من مخلوقاته. فمن وصفه بشيء من مخلوقاته فقد ألحد في آياته وصفاته وأسمائه ﴿**وَلِلّه الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِه سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾... فتذكر ولا تكن بعد الذكرى مع الذين لا يؤمنون.

فاعلم أن معرفة الله والتفريق بينه وبين الخلق أجمعين من أسهل الأمور وابده البديهيات.. وتذكر القرآن وآياته، وتذكر أنه ﷺ جاء بالكتاب لـ﴿**يُعَلِّمُهُمُ الكِتبَ وَالحِكْمَةَ**﴾، والحكمة هي العلم بحقائق الأشياء على ما وضعها الله، فتذكر أن أدلته أدلة عقلية وإن عدّها الغافلون نقلية...

والعجب منهم أنهم عدّوا أنفسهم من العقلاء العرفاء والعلماء الذين عاينوا حقائق الأشياء مع هذه المزخرفات، ﴿**أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا**

→

وعنه عليه السلام: «لا يوصف بشيء من صفات المخلوقين وهو الواحد الصمد ما تصور في الأوهام فهو خلافه». تحف العقول: ص ٢٤٤.

﴿يَشْعُرُونَ﴾... غافلين [عن] أن المحتاج باب المحتاج، وجميع الخلق محتاجون إلى خالق، يخلقهم وهم بأنفسهم غير موجودين إلاّ بعد إيجاده لهم، وهم بعد الإيجاد موجودون مخلوقون محتاجون، وامتنع أن يكون واحد منهم خالقُ من سواه، والخالق (جلّ شأنه) خالق ما سواه وليس [هو] بشيء مما سواه، لا [هو] يُحمل على شيءٍ منها، ولا يُحمل عليه شيءٌ منها، فهو سبحانه ليس بجوهر ولا عرض، ولا مجرّد ولا مادي، ولا بإمكان، ولا بكون، ولا بعين، ولا بمادة، ولا بصورة، ولا كماء، ولا كثلج، ولا كبحر ولا كموج، إذ الجوهر يتولد منه العرض، والإمكان يُولّد الكونَ، والعينُ والمادةُ والدةٌ للصورة، والجَمَد وَلَدُ الماء، والموجُ وَلَدُ البحر، وهو سبحانه ليس بوالد ولا ولد.. أحدٌ صمدٌ، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾.

فالخلق كلهم ـ مباديهم ومنتهياتهم ـ مخلوق مصنوع لا يصدق عليهم الخالق الصانع (جلّ جلاله) بنظرٍ من الأنظار وحيثٍ من الحيوث واعتبار من الاعتبارات، ولو بكشف السُبحات ومحو المَوهومات[1]، وقد ضل في ذلك

---

١ ـ قال كميل: ما الحقيقة؟ قال عليه السلام: «مالك والحقيقة!». فقال: أولستُ صاحب سرك؟ قال: «بلى، ولكن يرشح عليك ما يطفح مني». فقال كميل: أوَمثلكَ يُخيّب سائلاً! قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كشفُ سُبحات الجلال من غير إشارة». فقال كميل: زدني بياناً. قال عليه السلام: «محو الموهوم وصحو المعلوم». فقال كميل: زدني بياناً. قال: «هتك الستر لغلبة السر». فقال: زدني بياناً. فقال عليه السلام: «جذب الأحدية لصفة التوحيد». فقال: زدني بياناً. قال عليه السلام: «نور أشرق من صبح الأزل، فيلوح على هياكل التوحيد آثاره». فقال: زدني بياناً. قال عليه السلام: «أطفئ السراج فقد طلع الصبح». جامع الأسرار: ص ١٧٠، برقم ٣٢٧.

البحر سوابحُ لا تُحصى... ولكنه (جلّ جلاله) ﴿**هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾ والأمثال العُليا، «**تجلى لها بها، وبها امتنع منها، وإليها حاكمها**»[١]... فتلك الأسماء الحسنى والأمثال العُليا وإن تعددت لكنها أركان التوحيد[٢] وأنوار التفريد[٣]، (بدؤها من الله وعودها إليه، لا فرق بينها وبينه إلاّ أنها عباده وخلقه)...

ألا ترى أن جميع المعلومات عُلمت بعلمه سبحانه وهو لم يزل (ولا يزال عالماً اذ لا معلوم) ، وجميع المقدورات حدثت بقدرته، وهو لم يزل ولايزال (قادر إذ لا مقدور)، وقدرته فعله، وهو صادر منه ليس بزائد عليه،

١ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام، نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٨٥.

٢ـ تقدم الكلام عن كونهم أركان التوحيد في صفحة ٤٥.

٣ـ هذه الألفاظ مستفادة من كثير من النصوص، ووردت في كثير من الأدعية: «يَا فَرْدُ يَا صَمَد»، كما أن «الفرد» من أسماء الله تعالى. انظر: التوحيد: ص ١٩٥ ب ٢٩ ح ٨.
وأما النصوص فمنها: قول الباقر عليه السلام: «الأحد: الفرد المتفرد». التوحيد: ص ٩٠ ب ٤ ح ٢.
عن أبي عبد الله عليه السلام في الآية: ﴿إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ﴾ قال: «بالولاية»، ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّه مَثْنى وَفُرَادَى﴾ قال: «الأئمة من ذريتهما». تفسير فرات الكوفي: ص ٣٤٦ ح ٤٧٢.
وقال عليه السلام: «﴿مَثْنَى﴾ يعني طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وطاعة أمير المؤمنين عليه السلام، وأما ﴿فُرَادَى﴾ يعني طاعة الإمام من ذريتهما من بعدهما». تأويل الآيات الظاهرة: ص ٤٦٧.
وعنه عليه السلام قال: «صاحب العزلة متحصن بحصن الله تعالى و متحرس بحراسته فيا طوبى لمن تفرد به سراً.. الخبر». مصباح الشريعة: ص ٩٩ ب ٤٥.
وفي دعاء أبي الحسن الهادي عليه السلام: «إِلَهِي تَاهَتْ أَوْهَامُ الْمُتَوَهِّمِينَ... ـ إلى قوله ـ يَا أَوَّلِيُّ يَا وَحْدَانِيُّ يَا فَرْدَانِي». التوحيد: ص ٦٦ ب ٢ ح ١٩.

لأنه أوجده به لا بذاته، (بدؤه منه به، وعوده إليه به) لا إلى ذاته، وكذلك الله سبحانه (سميع إذ لا مسموع، وبصير إذ لا مبصَر)، ولم يزل ولايزال سميعاً بصيراً، وهما غير زائدين على ذاته سبحانه[١]، (بدؤهما منه وعودهما إليه).

وكذلك جميع أسمائه وصفاته التي أولها واحد مكنون مخزون عنده.. وبعد ذلك ثلاثة، وبعدها اثنا عشر، وبعدها أربعة عشر، وبعدها خمسة عشر، وبعدها ثمانية وعشرون أو ثلاثون، وبعدها ثلاثمائة وستون، كما مر في حديث (حدوث الأسماء)[٢]، فهي كلها صادرة منه تعالى (بدؤها منه وعودها إليه) ولم يزل ولايزال مسمىً بجميعها، غير زائدة ولا عارضة على ذاته سبحانه «**تجلى لها بها، وبها يمتنع منها**»[٣]، وهو المحتجب وهي حُجبه[٤]، وهو الظاهر وهي ظهوره، وهو المنير وهي أنواره، (والظاهر في الظهور أظهر من الظهور، والمنير في النور أنور من النور)[٥]...

١ـ عن أبي عبد الله عليه السلام: «لم يزل الله (عزّ وجل) ربّنا والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلمُ منه على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على المبصَر والقدرة على المقدور». انظر: الكافي: ج ١ ص ١٠٧ ح ١، التوحيد: ص ١٣٩ ب ١١ ح ١.

٢ـ انظر: صفحة ٦١.

٣ـ نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٨٥، وفيها: (وبها امتنع).

٤ ـ عن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف: «هو المحتجب ونحن حجبه». الهداية الكبرى: ص ٤٣٥ ب ١٤.

٥ـ راجع الهامش رقم ٣ من صفحة ٧٩.

ألم تر إلى زيد كيف ظهر في قيامه وقعوده؟ فهل ترى غير زيد فيهما؟ فهو القائم القاعد وحده.. وهما اثنان بداهةً، وهو أحدٌ بداهةً، وهو هما وجوداً وعياناً، وهما غيره صفةً وعدداً، وهما اسمان له وهو المسمى وحده.. وهو وحده المسمى بهذين الاسمين، وهو وحده الموصوف بهاتين الصفتين، ولم يصر ولا يصير زيد اثنين.. فتجلّى لهما بهما من غير حلول ولا اتحاد ولا تغاير ولا عروض، بل هما اسمان صادران، بدؤهما منه وعودهما إليه، ولولا زيد لم يكن قائم ولا قاعد، فتفكر فيما أشرنا بل صرحنا... فقد ظهر المراد.. أنه «**لا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَها إلاّ أَنَّهُمْ عِبادُكَ وَخَلْقُكَ**».

أما قوله (عجل الله فرجه، وسهل مخرجه، روحي فداه، عليه وعلى آبائه الكرام السلام): «**فَتْقُها وَرَتْقُها بِيَدِكَ**».

فالرتق هو الالتئام[1]. والفتق هو الشق.

والمراد أن لهم عليهم السلام مقام الوحدة ومقام الكثرة، ومقام الإجمال، ومقام التفصيل، ومقام الغيب ومقام الشهادة، ومقام السماء ومقام الأرض، ومقام الروح ومقام البدن، وأمثال ذلك.

ففي مقام الوحدة: أشهد «**أَنّ أَرْوَاحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطِينَتَكُمْ واحِدَةٌ، طابَتْ وَطَهُرَتْ بَعْضُها مِنْ بَعضٍ**»[2]... وقد روي عنهم (صلوات الله عليهم):

---

١ ـ لسان العرب: ج ١٠ ص ١١٤، مجمع البحرين: ج ٥ ص ١٦٦، وقيل: هو التحام الفتق. انظر: كتاب العين: ج ٥ ص ١٢٦، تهذيب اللغة: ج ٩ ص ٦١، المحيط في اللغة: ج ٥ ص ٣٦٢.

٢ ـ فقرة من الزيارة الجامعة الكبيرة.

«**أولنا محمد، [وأوسطنا] وآخرنا محمد، وكلنا محمد**»[١] (صلى الله عليه وآله)، ففي ذلك المقام هم الاسم المكنون المخزون عند الله سبحانه، لا يجاوزه بر ولا فاجر، وهو الجزء المكنون المخزون من الاسم الذي «**بالحروف غير مصوّت**» كما مرت الإشارة لأهل البشارة[٢].

وفي مقام التفصيل: فمنهم محمد، ومنهم علي، ومنهم فاطمة، ومنهم الحسن، ومنهم الحسين، ومنهم علي، ومنهم محمد، ومنهم جعفر، ومنهم موسى، ومنهم علي، ومنهم محمد، ومنهم علي، ومنهم الحسن، ومنهم محمد (صلوات الله وصلوات ملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه عليهم أجمعين)، ﴿**ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ بهم..

فوحدتهم وكثرتهم وإجمالهم وتفصيلهم عليهم السلام بيده سبحانه، أي بقدرته، وهي صادرة منه عائدة إليه، كما أن فعل كل فاعل صادر منه عائد إليه، ولكنها مجعولة بنفسها ـ كما أشرنا إليه مراراً ـ فمقام وحدتهم عليهم السلام صادر منه أولاً رتبة، ومقام تفصيلهم صادر منه ثانياً رتبة، وكلاهما صادران منه بهما، عائدان إليه بهما، تجلى لهما بهما، وامتنع عنهما بهما، وإليهما حاكمهما، فهذا أحد المعاني المرادة من قوله عليه السلام: «**فَتْقُها وَرَتْقُها بِيَدِكَ**».

والمعنى الثاني: أنهم هم الراتقون الفاتقون في جميع الممالك لله رب العالمين، كما تزورهم وتخاطبهم عليهم السلام به في خطابك: «**بِكُمْ فَتَحَ اللهُ وَبِكُمْ**

---

١ ـ عن علي بن الحسين عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ١٦.

٢ ـ تقدم هذا في صفحة ٦١ ـ ٦٦.

يَخْتِمُ»[١]، «وبكم تحركت المتحركات وسكنت السواكن»[٢]، إذهم عليهم السلام قدرته الصادرة منه سبحانه التي أقسمتَ عليه في الدعوات بها بقولك: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ قُدْرَتِكَ بِالْقُدْرَةِ الَّتِي اسْتَطَلْتَ بِها عَلى كُلِّ شَيْءٍ، وَكُلُّ قُدْرَتِكَ مُسْتَطِيلَةٌ، اللّهم إِنّي أسألُك بقدرتك كلِّها**»[٣].

فلما استطال سبحانه بها على كل شيء، وهي أنفسهم الصادرة منه سبحانه، وهم أول الصادرات منه سبحانه وأول الأسباب في إحداث المسببات، صار فتقهم وفتحهم وتحريكهم ورتقهم وختمهم وتسكينهم بيد الله سبحانه، وهم بأنفسهم يد الله في الفتق والرتق في العالمين، ﴿**عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾، وهم بأنفسهم النفيسة أمره وليس لله سبحانه أمر قبلهم (لا يسبقهم سابق ولا يفوقهم فائق ولا يلحقهم لاحق)[٤]، فصار فتقهم فتق الله ورتقهم رتق الله...

فلأجل أن فتقهم ورتقهم بقدرته سبحانه صار أمرهم أمر الله، ونهيهم نهي الله، وإطاعتهم إطاعة الله، ومخالفتهم مخالفة الله، وقولهم قول الله، وفعلهم فعل الله، وحكمهم حكم الله، ومعرفتهم معرفة الله، وإنكارهم إنكار

---

١ ـ فقرة من الزيارة الجامعة الكبيرة.

٢ ـ من الزيارة الجوادية: «**السَّلاَمُ عَلَى مَنْ لَمْ يَقْطَعْ اللّهُ عَنْهُمْ صَلَوَاته فِي آنَاءِ السَّاعَاتِ، وَبِهِمْ سَكَنَتِ السَّوَاكِنُ وَتَحَرَّكَتِ الْمُتَحَرِّكَاتُ**». بحار الأنوار: ج ٩٩ ص ٥٤ ح ١١.

٣ ـ دعاء السَّحَر، إقبال الأعمال: ص ٣٤٥.

٤ ـ كما جاء في الزيارة الجامعة الكبيرة.

الله، والعلم بهم العلم بالله، والجهل بهم الجهل بالله، والإقرار بفضائلهم هو الإقرار بصفات الله، والإنكار لفضائلهم هو الإنكار لصفات الله؛ لأنهم بأنفسهم في حقائقهم صفات الله العليا، وهم في حقائقهم عليهم السلام أسماؤه الحسنى، وليس لهم شيء ليس من الله ومن نور الله، وهم بأنفسهم نور الله كما قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «**إن معرفتي بالنورانية هي معرفة الله** (عز وجل) **ومعرفة الله** (عز وجل) **معرفتي**»[1]...

وهم المعصومون بعصمة الله في جميع حالاتهم في آناء الليل وأطراف النهار عن معصية الله ومخالفته، ﴿**لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾، فما ينطقون عن الهوي، وما ضلوا في سوابق أعمارهم، وما هووا (غووا)، ﴿**وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا**﴾ في شيء مما أمرهم الله سبحانه.

فكان فتقهم ورتقهم بيده سبحانه وقدرته، وتلك القدرة هي الروح المنفوخة في أبدانهم، وهي الروح من أمر الله سبحانه... وهم مؤيدون بها صادرون عن أمرها وهي بنفسها أمر الله، وهو الروح القدس أعظم من جميع الأرواح والملائكة الروحانيين[2]، وهو لا يسهو ولا يلهو ولا ينام ولا يغفل

---

١ ـ مشارق أنوار اليقين: ٢٥٥.

٢ ـ ورد في أخبار عديدة أنه «أعظم من جبرئيل وميكائيل، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة». انظر: تفسير القمي: ج ٢ ص ٢٦ و ٢٧٩، تفسير العياشي: ج ٢ ص ٣١٧ ح ١٦١ و١٦٢ و١٦٥، الكافي: ج ١ ص ٢٧٣ (باب الروح التي يسدد الله بها الأئمة) ح ١ و٣ و٤ و٦، بصائر الدرجات: ص ٢٣١ (باب في أنهم يخاطبون ويسمعون الصوت ويأتيهم صور

←

وهم مملوءون به فبه يتحركون وبه يسكنون وبه يقولون وبه يأمرون وينهون وبه يعلمون ويعملون كما أن زيداً يتحرك بروحه ويسكن ويقول ويأمر وينهي ويعلم ويعمل بها، والفرق بينهم وبين ما سواهم أن أرواح ما سواهم ليست بروح الله بخلافهم (سلام الله عليهم) فإن أرواحهم من روح الله فصار كل ما ينسب اليهم منسوباً إلى الله فصار فتقهم ورتقهم بيده وقدرته.

هذه كلها في مقام البشرية الظاهرة، وإن كانوا في بواطن أمرهم هم أعلى مقاماً من الروح القدس[1]؛ كيف لا وقد قال العسكري عليه السلام: إن «روح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة.. وإن الكليم لما عهدنا منه الوفاء ألبسناه حلة الاصطفاء»[2]، ففي ذلك المقام كانوا عليهم السلام ولم

→

أعظم من جبرئيل وميكائيل) ح ١ و٤ و٥، ص ٤٥٥ (باب الروح التي قال الله تعالى: ﴿وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا﴾ أنها في رسول الله صلى الله عليه وآله وفي الأئمة يخبرهم ويسددهم ويوفقهم) فيه ١٥ رواية، ص ٤٦١ ١٨ (باب الروح التي قال الله: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أنها في رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته) وفيه ١٢ رواية.

١ ـ الروح القدس.. هو العقل الأول، وهو عقلهم عليهم السلام. انظر: جوامع الكلم: ج ٩ ص ٧١٦.

٢ ـ قال عليه السلام: «قد صعدنا ذُرى الحقائق بأقدام النّبوّة والولاية، ونوّرنا سبع طرائق (طبقات) بأعلام الفُتوّة، فنحن ليوث الوغى، و غيوث النّدى، و فينا السّيف والقلم في العاجل، ولواء الحمد والعلم في الآجل، وأسباطنا خُلفاء الدّين وحُلفاء اليقين، ومصابيح الأمم، ومفاتيح الكرم، فالكليم أُلبس حلّة الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء، وروح القدس في جنان الصّاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة، وشيعتنا الفئة النّاجية والفرقة الزّاكية، صاروا لنا ردءا وصونا، وعلى الظّلمة إلباً وعوناً، وسيُحفر (سيفجّر) لهم ينابيع الحيوان بعد لظى النّيران».

←

يكن ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا شيء سواهم (صلوات الله عليهم) كما مر تفصيلها في حديث تفصيل خلقتهم[١].

ففي ذلك المقام بدؤهم من الله وعودهم إليه، لم يسبقهم سابق ولم يلحقهم لاحق، ولا يوجد فائق سابق حقيقي سواهم (صلوات الله عليهم)، وهم مقام التفريد، وأركان التوحيد، ومعاني التعريف[٢]...

ثم اعلم وتذكر أنه عليه السلام وصف الولاة بما وصف من حيث صدورهم من الله سبحانه، فالصفات المذكورة إلى هنا [هي] نسبتهم عليهم السلام إلى الله سبحانه، وأما نسبُهم إلى الخلق فنسبٌ أخرى ينبغي بيانها بعد نسبتهم إلى الخالق (جل ذكره).

فشرع عليه السلام في بيان نَسبهم إلى الخلق فقال عليه السلام: «**أَعْضادٌ وأَشْهادٌ ومُناةٌ وأَذْوادٌ وَحَفَظَةٌ وَرُوّادٌ**».

أي [أن] الولاة الموصوفون بالصفات المذكورة إلى هنا هم «**أَعْضادٌ**» للخلق «**وأَشْهادٌ ومُناةٌ وأَذْوادٌ وَحَفَظَةٌ وَرُوّادٌ**» لهم، وهي إخبار عن المبتدأ المحذوف المعلوم مما سبق؛ وقد غير التوصيف بالإخبار للتفريق بين النسبتين، والتنبيه للنبيه، ﴿**فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾.

→

الدرة الباهرة من الأصداف الطاهرة: ص ٤٨، المحتضر: ص ٥٠٦ ح ٤٩٢.

١ ـ مرّ في صفحة .

٢ـ تقدم بيانها في صفحة ٤٥ والهامش ٣ من صفحة ١٠٨.

فالأعضاد: جمع عضد، وهو المُعين والعون لمن استعان به[١].

والأشهاد: جمع شهود، وهو جمع شاهد، كأصحاب وصاحب، وهو الحاضر[٢].

والمناة: جمع ماني، كرماة ورامي، ودعاة وداعي، وهو من منّاه الله يمنّيه كرمى يرمي، أي قدّره واختبره وابتلاه. أو من مناه يمنوه كدعا يدعو، أي ابتلاه واختبره[٣].

والأذواد جمع ذائد، كأصحاب وصاحب، وهو الحامي والذاب عن الحمى وعما ينبغي أن يحامي[٤].

والحفظة: جمع حافظ، كقتلة وقاتل.

---

١ ـ كتاب العين: ج ١ ص ٢٦٨، جمهرة اللغة: ج ٢ ص ٥٨، تهذيب اللغة: ج ١ ص ٢٨٧، المحيط في اللغة: ج ١ ص ٣٠٠، الصحاح: ج ٢ ص ٥٠٩ ـ ٥١٠، معجم مقاييس اللغة: ج ٤ ص ٣٤٨، مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٧١، لسان العرب: ج ٣ ص ٢٩٣.

٢ ـ جمهرة اللغة: ج ٢ ص ٦٥٣، تهذيب اللغة: ج ٦ ص ٥٠، المحيط في اللغة: ج ٣ ص ٣٨٨، الصحاح: ج ٢ ص ٤٩٤، معجم مقاييس اللغة: ج ٣ ص ٢٢١، لسان العرب: ج ٣ ص ٢٤٠.

٣ـ تهذيب اللغة: ج ١٥ ص ٣٨٠، المحيط في اللغة: ج ١٠ ص ٤١٥، الصحاح: ج ٦ ص ٢٤٩٨، شمس العلوم: ج ٩ ص ٦٣٩١، لسان العرب: ج ١٥ ص ٢٩٣، القاموس المحيط: ج ٤ ص ٤٥١، تاج العروس: ج ٢٠ ص ٢٠٦ (منو) و (منى).

٤ ـ كتاب العين: ج ٨ ص ٥٥، جمهرة اللغة: ج ٢ ص ٦٢٧، تهذيب اللغة: ج ١٤ ص ١٠٦، المحيط في اللغة: ج ٩ ص ٣٣٦، الصحاح: ج ٢ ص ٤٧١، مفردات ألفاظ القرآن: ص ٣٣٥، النهاية في غريب الحديث: ج ٢ ص ١٧٢، لسان العرب: ج ٣ ص ١٦٧.

والروّاد جمع رائد، كزوار وزائر، وهو الخبير المطلع بمواضع الكلأ والمواقع المناسبة لرعي الأنعام، المأمونة عن الذئاب والسباع، كثيرة العشب والمياه، معتدلة الهواء[١].

فإذا علمت ذلك فاعلم أنهم (سلام الله عليهم) أنصار دين الله (تبارك وتعالى)، ووضع الله دينه للخلق لنجاتهم والمنع عن هلاكهم، فوضعه لجلب منافعهم ودفع مضارهم في الدنيا والآخرة، وهم عليهم السلام مبلّغوه وناشروه، ولولاهم لم يبقَ لدينه أثر ولا من رسمه خبر، فهم العالمون بكل مكلّف وأحكامه في جميع أحواله، وهم القادرون على التبليغ والإيصال في جميع الأحوال، في جميع المواطن، في الدنيا والآخرة، في سمائهما وأرضهما؛ للإعانة على الخلق في نجاتهم، والاستعانة من كل واحد واحد من الخلق منهم عليهم السلام في جميع الأمكنة والأوقات، ولا غياث لهم سواهم في الدنيا والآخرة، ولا ملجأ ولا منجا لهم إلاّ إليهم (صلوات الله عليهم).

ولهم أذن واعية لنداء من استعان منهم ليعينوه، وعيون ناظرة إلى من استنصر منهم لينصروه، وهم بأنفسهم أذن الله وعينه سبحانه كما قالوا: «**إن لنا مع كل وليّ أذناً سامعةً وعيناً ناظرةً ولساناً ناطقاً**»[٢]، وذلك باطن قوله تعالى: ﴿**إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**﴾، حين قال موسى وهارون ﴿**إِنَّنا نَخافُ**

١ـ النهاية في غريب الحديث: ج ٢ ص ٢٧٥، مجمع البحرين: ج ٣ ص ٥٦.

٢ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام، وفيه: «**إن لي مع كل وليّ...**». الهداية الكبرى: ص ٢٥١ ب ٨، الخرائج والجرائح: ج ٢ ص ٦٠٢، كشف الغمة: ج ٢ ص ١٨٩.

أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا أَوْ أَنْ يَطْغى﴾، فأعانوهما بحضرة فرعون، فلم يقدر على الإفراط والطغيان عليهما حين ظهر له أمير المؤمنين برمح من ذهب ـ لوقعه لديه ـ على هيأة مهيبة، وقد خرّ من سريره صعقاً فما أمسك نفسه[١]، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا**﴾، وهو عليه السلام كل آياته وأعظمها كما قال عليه السلام: «أي نبأ لله أعظم منّي، وأي آية لله أكبر منّي؟»[٢].

بالجملة، فهم عليهم السلام خلفاء الله تعالى في أداء ما أراد إجراءه فيهم، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رئيسهم، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصفه: «**أقامه مقامه في سائر عوالمه في الأداء**»[٣].

---

١ ـ روي أن فرعونَ لمّا لحق هارون بأخيه موسى، دخلا عليه يوماً فأوجسا خيفة منه، فإذا فارس يقدمهما ولباسه من ذهب، وفي يده سيف من ذهب ـ وكان فرعون يحب الذهب ـ فقال لفرعون: «أجب هذين الرجلين وإلاّ قتلتك»، فانزعج فرعون لذاك وقال: عودا إلي غدا، فلما خرجا دعا البوّابين وعاقبهم، وقال: كيف دخل عليّ هذا الفارس بغير إذن؟ فحلفا بعزّة فرعون ما دخل إلاّ هذان الرجلان. وكان الفارس مثال علي عليه السلام الذي أيّد الله به النبيّين سرّا، وأيّد به محمداً جهراً». مشارق أنوار اليقين: ص ١٢٧.

٢ـ قال عليه السلام: «ما لله نبأ أعظم منّي، وما لله آية أكبر منّي». تفسير القمي: ج ٢ ص ٤٠١، ومثله في: بصائر الدرجات: ص ١١٣ ح ٣، الكافي: ج ١ ص ٢٠٧ ح ٣، تفسير فرات: ص ٥٣٣.

٣ ـ قال عليه السلام في خطبةٍ يومَ الغدير: «وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، استخلصه في القدم على سائر الأمم، على علم منه انفرد عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس، وانتجبه آمراً و ناهياً عنه، أقامه في سائر عالمه في الأداء مقامه، إذ كان لا تدركه الأبصار... الخ». مصباح المتهجد: ص ٧٣٥، إقبال الأعمال: ص ٧٧٤، مصباح الزائر: ١٥٣ ـ ١٥٤ ف ٧، مصباح الكفعمي: ص ٨٠٥.

وقد صرح بذلك قوله تعالى: ﴿تبارَكَ الَّذي نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِه لِيَكُونَ لِلْعالَمينَ نَذيراً﴾، والعالمون جمع محلى (باللام) يفيد العموم لما سوى الله، وخلفاؤه صلى الله عليه وآله هم الأئمة عليهم السلام، كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾. والولي هو المعين للمستعين والعضد له، والمُوَلّى عليهم [هو] جميع ما سواهم عليهم السلام، فهم الممدون لعبيدهم وإمائهم فيما يحتاجون إليه، وذلك غير ممكن لمن جهل بجميع المستمدين، أو غفل عنهم، أو عجز عن الإمداد لهم، فهم عليهم السلام عالمون قادرون شاهدون من عند الله وجميع الخلق بمرأى ومسمع منهم (صلوات الله عليهم)، وهم شاهدون حاضرون في كل وقت ومكان.

فلأجل ذلك قال عليه السلام: «**أَعْضادٌ وأَشْهادٌ**» أي الخلق بمشهد ومرأى ومسمع منهم عليهم السلام، كما ورد في زيارة أمير المؤمنين (عليه صلوات المصلين): «**السَّلامُ عَلَيْكَ يَا صَاحِبَ الْمَرْأَى وَ الْمَسْمَعِ**»[1]، وقد صرح بذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلناكُم أُمَّةً وَسَطًا لِتَكونوا شُهَداءَ عَلَى النّاسِ وَيَكونَ الرَّسولُ عَلَيكُم شَهيداً﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾...

---

١ ـ زيارة مولانا صاحب الأمر عجل الله فرجه الشريف المعروفة بـ(زيارة آل ياسين)، المزار الكبير: ص ٥٦٨ ـ ٥٦٩، مصباح الزائر: ص ٤٣١.

والشهيد:فعيل بمعني فاعل،فهم عليهم السلام شهداء على الناس والرسول صلى الله عليه وآله وسلم شهيد عليهم، فاولئك الأشهاد الحاضرون في جميع الأوقات والأمكنة (لا تعطيل لهم في كل مكان، يعرفه بهم من عرفه) كما مرّ البحث فيه.

والمشهود عليهم جميع الخلق، وهم بمرأى ومسمع منهم عليهم السلام، وهم[عليهم السلام] قد شاهدوا ما فعله كل فاعل من الخير والشر، بل شاهدوا ما في ضمائرهم وما تُخفي صدورهم، بل شاهدوا ما في سرائرهم وإمكاناتهم الكامنة فيهم وهم بأنفسهم جاهلون بها حتى امتحنوها وأبرزوها عليهم السلام[1]...

---

١ ـ أورد بعضها الحر العاملي في إثبات الهداة، والسيد هاشم البحراني في مدينة المعاجز، متفرقات، وقد أرّخها الحر رحمه الله في منظومته (التي طُبعت بتحقيقنا)، فقال في النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

وكم لقد أخبر بالغيوب ... في حالة السّلم وفي الحروب

ومما قاله في الأئمة الـ(١٢) عدا الثالث منهم (الحسين عليه السلام) ما أنقله هنا بترقيمهم وترتيبهم:

١ـ أخبر بالغيوب ألف مرّة ... فكم خفيٍّ قد أبان أمرة
وحسبه الإخبار بالغيوب ... للناس في المرغوب والمرهوب
٢ـ أخبر بالغيوب غير مرّة ... فمن يفاخره يمت بالحرّة
٤ـ أخبر بالغيوب ألف مرّة ... فجرِّع الحاسدَ ألف حسرة
٥ـ ـ أخبر بالغيب مراراً جمّة ... حتى جلا بذاك كلّ ظلمة
٦ـ فكم لقد أخبر بالغيوب ... وليس علمٌ عنه بالمحجوب
٧ـ كلامه في المهد بالغيب عَجب ... وطبعه الحصا قبوله وجب
٨ ـ أخبرهم من خبر الوفاة ... بما جرى من المغّيبات
أخبره بأنّه سينتقل ... من قبله بسمّه ثمّ قُتل

فأولئك الأشهاد لما كان الخلق بمرأى ومسمع منهم فهم المُناة المختبرون المُمتحِنون ـ بالكسر ـ وعليهم إحقاق الحق بالتقرير والتسديد والتأييد، وعليهم إبطال الباطل بإظهار ما في قلوبهم وإبراز ما في صدورهم من الأعراض والأمراض، والزيغ والميل إلى الباطل، على رؤوس أشهاد المكلفين؛ لإتمام الحجة وإبلاغ المحجة، إذ عليهم التبليغ والبيان للمكلفين في جميع الأزمان قال تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ * فَإِذا قَرَأناهُ فَاتَّبِعْ**

→

كذا بدفنه مع الرشيد ... أخبرهم بعلمه السديد
أخبر بالمغيّبات النّاسا ... فأخرس الوسواس والخنّاسا
٩ــ أخبر بالمغيبات فأعجبوا ... وأخذ التراب وهو ذهب
١٠ــ أخبر بالغيوب غير مرّة ... كانت لجبهة الكمال غرّة
كنقله في الحال موت الواثق ... وملك جعفر لشخص واثق
أخبر شخصاً أنّه سيوثق ... فكان ثمّ إنّه سيطلق
أخبر قوماً بحضور الموت في ... وقت معين فكان فاعرف
وكم وكم قد أرسل الأكفانا ... فكان من موتهم ما كانا
١١ــ أخبر بالحوادث العظام ... قبل وقوع حادث الأيّام
وكم أجاب سائلاً وما سأل ... وكم أجاز سائلاً وما سأل
أخبر بالقتل وبالممات ... لجملة من طالبي الآيات
أخبر أقواماً بما قد أضمروا ... وكم يكونوا نطقوا وأظهروا
١٢ــ إخباره بالغيب ليس ينكر ... إذ في كتاب الله ذاك يذكر

قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ﴾... فتصديق الصادقين في الإيمان عليهم عليهم السلام بتقريرهم وتسديدهم وتأييدهم، وتكذيب المدعين وتفضيحهم لدي المكلفين أيضاً عليهم عليهم السلام، لاطلاعهم على ما في صدور الفريقين... وهذا هو المعنى الحقيق للاختبار والامتحان في كل مكان وزمان، وذلك على الله (سبحانه وتعالى) في جميع الأوان. فوجود الحجة عليه السلام وبقاؤه بين ظهراني العباد في البلاد إلى يوم التناد لأجل ذلك، فـ﴿**بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾، ولو لا ذلك «**لساخت الأرض بأهلها**»[1] للزوم اللغو والعبث في إيجادهم. فعليه عليه السلام الإبلاغ والإيصال إلى المؤمنين، والذب والمنع عنهم أيدي الظالمين كما قال (روحي فداه، وعليه وعلى آبائه الكرام آلاف التحية والثناء والسلام) في التوقيع الرفيع إلى المفيد وإلى كل مستفيد منه من شيعته:

---

١ ـ عن أبي جعفر عليه السلام: «لو بقيت الأرض يوماً واحداً بلا إمام منّا لساخت الأرض بأهلها، ولعذّبهم الله بأشد عذابه، وذلك أن الله جعلنا حجّة في أرضه وأمانا في الأرض لأهل الأرض». دلائل الإمامة: ص ٤٣٦ ح ٤٠٧.

وعن علي بن الحسين عليه السلام: «ولو لا ما في الأرض منّا لساخت الأرض بأهلها» ثم قال: «ولم تخلُ الأرض ـ منذ خلق الله آدم ـ من حجة لله فيها ظاهرٌ مشهورٌ أو غائبٌ مستورٌ، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله، ولو لا ذلك لم يعبد الله». كمال الدين: ص ٢٠٧ ب ٢١ ح ٢٢، الأمالي (للصدوق): ص ١٨٦ المجلس ٤ ح ١٥، الاحتجاج: ج ٢ ص ١٥١.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «نحن أئمة المسلمين وحجة الله على العالمين، ونحن أمان لأهل السماوات والأرضين، ولو لانا لساخت الأرض بأهلها». مشارق انوار اليقين: ص ٨٥.

«إنّا غير مهملين لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم، ولو لا ذلك لاصطلمتكم اللاواء، وأحاطت بكم الأعداء»[١].

فهم الأذواد الذابّون عن الحمى ـ حمى شيعتهم، في الظاهر والباطن ـ شر الأشرار، وكيد الفُجّار، ومكر المَكَرة، من شياطين الجن والإنس... ﴿**يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً**﴾.

فلهم عليهم السلام جنود مجنّدة ساكنون في الثغور[٢] لرفع الزخرف من القول غروراً، ولدفع تلك الشياطين عن حمى المؤمنين... [وتحصينهم] من الشك والشبهة، والظن والتخمين، في جميع القرون والسنين...

[وقد] قالوا عليهم السلام: «[**علماء**] **شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي إبليس وعفاريته**»[٣]، وقالوا عليهم السلام: «إن لنا في كل خلف عدولاً ينفون عن ديننا تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»[٤]، ففي كل خلف شياطين الإنس والجن محرّفون غالون منتحلون للدين في ألبسة أهله، مأوّلون جاهلون في الواقع، ظاهرون بلباس أهل العلم؛ للتلبيس، وهم مزابل

---

١ ـ الخراج والجرائح: ج ٢ ص ٩٠٣، الاحتجاج: ج ٢ ص ٥٩٨، وراجع: صفحة ٥٨.

٢ ـ يعني بالثغور الظروف والحدود المعنوية لدين المؤمنين، وليس يريد بها الحدود الأرضية.

٣ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام، تفسير الإمام العسكري: ص ٣٤٣، الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٢٢.

٤ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام: «فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه، فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين». بصائر الدرجات: ص ١٠ و١١ ح ١ و ٣، الكافي: ج ١ ص ٣٢ ح ٢.

إبليس، «**باض وفرّخ في صدروهم، ودبّ ودرجَ في جُحورهم، فنظر بأعينهم ونطق بألسنتهم**»[١]، فلابد لحفظ الثغور عن تلك الشرور عن شيعتهم المرابطين، ولولا ذلك لالتبس على المسلمين دينهم ولارتدوا على اعقابهم بتسويلات هؤلاء الشياطين في كل آن وحين...

فمن جملة صفات أولئك الولاة المضافين إلى الله (تبارك وتعالى): أنهم «**حَفَظَةٌ**» لحفظ كل من لم يقدر على حفظ نفسه، فجميع المخلوقين ﴿**وَلاَ يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً وَلاَ يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلاَ حَيَاةً وَلاَ نُشُوراً**﴾ فهم عليهم السلام الحافظون في جميع مراتب المُلك والمَلكوت في جميع أصقاع عالم الإمكان والأكوان والأعيان، في السموات والأرضين، فبهم عليهم السلام ملأ الله سماواته وأرضه ـ كما يأتي إن شاء الله تعالى ـ شرحه. فلأجل حفظ كل مخلوق يمدونه بالمدد المناسب له في كل رتبة، وجميع الخلق مستمدون منهم (صلوات الله عليهم) من بَرّ وفاجر، ومؤمن وكافر...

فالمؤمن من آمن بهم وبما هم عليه من الصفات المخصوصة بهم، والخصال الخاصة لهم دون غيرهم، إذ كل شيء يُعرف بحدوده ورسومه، وخاصته التي بها امتاز عن غيره. فهم عليهم السلام أيضاً بحدودهم ورسومهم وخاصتهم ممتازون عن غيرهم، فلا يوجد شيء مما هو مخصوص بهم في أحد من الخلق، كيف لا وهم أول الخلق.

---

١ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام، نهج البلاغة، الخطبة ٧، عيون الحكم والمواعظ: ٢٢٤ رقم ٤٣٥٧.

فمن جملة ما هو مخصوص بهم: أنهم «**حَفَظَةٌ**» لجميع الخلق بَرّهم وفاجرهم ﴿**كُلاًّ نُمِدُّ هؤُلاءِ وَ هَؤُلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً**﴾ ممنوعاً عن شيء من الأشياء...

بالجملة، فالحافظ الممد لابد أن يكون عالماً بكل محفوظ وبما حفظه من الإمداد، فلابد أن يكون رائداً ـ وهو المطّلع بمواضع الكلاء والمياه والأمكنة المناسبة لرعي الأغنام والأحشام[١]، وهو رسول القوم في طلب الكلاء المطلع بمواضع العشبة المأمونة عن الذئاب الضارية[٢].

فهم عليهم السلام روّاد الخلق لأجل حفظهم وإيصالهم إلى ما يستحقونه من مدد التوفيق.. [لأنهم] «**راعيكم الذي استرعاه الله أمر غنمه، هو أعلم بمصالح غنمه، إن شاء فرّق بينها لتسلم وإن شاء جمع بينها لتسلم**»[٣].

فهم عليهم السلام معطون كل ذي حق حقه، وسائقون إلى كل مخلوق رزقه، (إياب الخلق إليهم وحسابهم عليهم)[٤]، وإياب الخلق إليهم عليهم السلام هو إيابهم

---

١ ـ أحشام: بالفارسية تعني القطيع مما يُرعى من الحيوانات من الأغنام والإبل والبقر.

٢ ـ تقدّم هذا في صفحة ١١٩.

٣ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام، اختيار معرفة الرجال: ج ١ ص ٣٥٠ ح ٢٢١.

٤ ـ كما في الزيارة الجامعة الكبيرة.

وقد روى سليم بن قيس عن سلمان وأبي ذر والمقداد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «يا علي، أنت علمُ الله ـ بعدي ـ الأكبر في الأرض، وأنت الركن الأكبر في القيامة، فمن استظلّ بفيئك كان فائزاً؛ لأن حساب الخلائق إليك، ومآبهم إليك، والميزان ميزانك، والصراط صراطك، والموقف موقفك، والحساب حسابك» . كتاب سليم بن قيس: ص ٣٧٦ ـ ٣٧٨ ح ٤٤.

إلى الله تعالى، وحسابهم عليهم عليهم السلام هو حسابهم على الله (تبارك وتعالى)، وليس إياب الخلق إلى الله (تبارك وتعالى) إلاّ بإيابهم إليهم عليهم السلام، كما لا حساب لهم على الله (تبارك وتعالى) إلاّ بحسابهم عليهم عليهم السلام كما عرفت.. أنه (لا فرق بينهم وبينه إلاّ أنهم عباده فتقُهم ورتقهم بيده، بدؤهم منه

←

وروى البرقي في (كتاب الآيات) عن أبي عبد الله عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا علي، أنت ديّان هذه الأمة والمتولي حسابها، وأنت ركن الله الأعظم يوم القيامة. ألا وإنّ المآب إليك، والحساب عليك، والصراط صراطك، والميزان ميزانك، والموقف موقفك». مشارق أنوار اليقين: ص ٢٨٤.

وعن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام في الآية قال: سألته مَن هُم؟ فقال: «يا مفضل، من تُرى هُم؟ نحن ـ والله ـ هم، إلينا يُرجعون، وعلينا يُعرضون، وعندنا يَقفون، وعن حُبّنا يُسألون». مشارق أنوار اليقين: ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «أنا المقدم على بني آدم يوم القيامة، أنا المحاسب للخلق، أنا منزلهم منازلهم» . مشارق أنوار اليقين: ص ٢٦٠ (الخطبة الافتخار).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن إلينا إياب هذا الخلق، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ». مشارق أنوار اليقين: ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ .

وانظر: الكافي: ج ٨ ص ١٥٩ و ١٦٢ ح ١٥٤ و ١٦٧، تفسير فرات: ص ٥٥٢ ح ٧٠٦ و ٧٠٧.

وانظر ما ورد من أن حساب الشيعة عليهم في: الخصال: ص ٤٠٧ (ب ٨) ح ٦، علل الشرائع: ص ١٧٩ باب ١٤٢ ح ٦، الأمالي (للطوسي): ص ٤٠٦ المجلس ١٤ ح ٥٩، تأويل الآيات الظاهرة: ج٢ ص ٧٨٧ ـ ٧٨٩ سورة الغاشية ح ٤ و٥ و٦ و٧، تفسير فرات الكوفي: ص ٢٩٨ سورة الشعراء ح ٤٠٣، ص ٤٤٤ سورة الطور ح ٥٨٧، ص ٥٥٢ سورة الغاشية ح ٧٠٧.

وعودهم إليه) (تبارك وتعالى). فانظر إلى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ**﴾...

ثم اعلم أن جميع المضافات [راجعة] إلى الله سبحانه، كإضافة الإطاعة إليه سبحانه... ولأجل ذلك قال عليه السلام: «**إن معرفتي بالنورانية هي معرفة الله** (عز وجل) **ومعرفة الله** (عز وجل) **معرفتي**»[١].

وترى في [الزيارة] الجامعة المتواترة غير المطعون فيها: «**السَّلاَمُ عَلَى مَنْ عَرَفَهُمْ فَقَدْ عَرَفَ اللَّهَ وَمَنْ جَهِلَهُمْ فَقَدْ جَهِلَ اللَّهَ**»[٢].

كما قالوا عليهم السلام [أيضاً]: «**بنا عُرف الله**»[٣]، و «**لولانا ما عُرف الله**»[٤].

وكما ترى في أغلب زياراتهم المروية عنهم عليهم السلام بطرق عديدة: «**مَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ، وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ، وَمَنِ اعْتَصَمَ بِكُمْ فَقَدِ اعْتَصَمَ بِاللَّه**»، «**وَمَنْ أَطَاعَكُمْ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَاكُمْ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ**»[٥]. وأمثال هذه العبارات صادرة منهم عليهم السلام... ﴿**قُلْ فَلِلَّه الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ**﴾... «**الَّتي لا تَعْطيلَ لَها في كُلِّ مَكان**»، يعرفه بها من عرفه، لا فرق

---

١ ـ مشارق أنوار اليقين: ٢٥٥.

٢ ــ الكافي: ج ٤ ص ٥٧٩ ح ٢، من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٦٠٢ ح ٣٢١٢، تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ١٠٢ ب ٤٦ ح ٢، كامل الزيارات: ص ٣١٥ ب ٤.

٣ ـ الكافي: ج ١ ص ١٥٤ ح ١٠، التوحيد: ص ١٥٢ ح ٩، بصائر الدرجات: ص ٦٤ ح ١٦.

٤ ـ بصائر الدرجات: ص ٦١ ح ٣ ص ١٠٥ ح ٩ و ١١.

٥ ـ فقرتان من الزيارة الجامعة الكبيرة.

بينه وبينها، إلاّ أنها صفاته وأسماؤه وأنواره وآياته، فلأجل عدم التعطيل قال عليه السلام: «**فَبِهِمْ مَلأتَ سَمائكَ وَأَرْضَكَ حَتّى ظَهَرَ أَنْ لا إلهَ إلاّ أَنْتَ**» مطابقاً لما نزل قطعاً... وهو قوله (سبحانه وتعالى): ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾... كما قال آدم الأول[1] (صلوات الله عليه) مطابقاً لما في دعاء كميل: «**وَبِأَسْمَائِكَ الَّتِي مَلأَتْ أَرْكَانَ كُلِّ شَيْءٍ**».

فتلك الأسماء التي ملات أركان كل شيء هم الولاة المضافون إلى أمره سبحانه، فبهم ملأ أركان كل شيء، وكل شيء إما سماوي أو أرضي، في كل عالم بحسبه.. ففي عالم الجسم ليس غير الجسم، وهو إما سماء أو أرض، أو سماوي أو أرضي، ولا ثالث غيرهما غير الجسم.

وهكذا في عالم النفس، لا يوجد غير النفس، ولها سماء وأرض نفسانيتان، وفي عالم العقل لا يوجد غير العقل، وله سماء وأرض عقلانيتان، وفي عالم الفؤاد لا يوجد غيره، وله سماء وأرض، ففي جميع تلك المراتب بل في جميع مراتب ألف ألف عالم وألف ألف آدم[2] سماء وأرض، وهما

---

١ ـ وهو أمير المؤمنين، كما قال عليه السلام في خطبته الافتخارية، مشارق انوار اليقين: ص ٢٦٨.

٢ ـ عن جابر الجعفي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله (عز وجل): ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؟ فقال: «لعلك ترى أن الله إنما خلق هذا العالم الواحد! وترى أن الله لم يخلق بشراً غيركم! بلى والله، لقد خلق الله ألف ألف عالم وألف ألف آدم، أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين». التوحيد: ص ٢٧٧ ب ٣٨ ح ٢.

أركان كل شيء موجود فيهما. وله سبحانه أسماء ملأت أركان كل شيء، إذ كل شيء موجود بتلك الأسماء، إذ لو لا تلك الأسماء لامتنع وجود الأشياء، والشيء شيء لأنه مُشاء كما روي عن أهل العصمة عليهم السلام[١].

وتلك الأسماء هي حقائق الولاة المُضافين إلى أمر الله سبحانه كما قال الصادق عليه السلام: «نحن ـ والله ـ الأسماء الحسنى التي أمر الله أن تدعوه بها»[٢]..

فقد كشف النقاب عن وجه المراد المحتجب بالحجاب في هذا الدعاء بقوله عليه السلام: «**فَبِهِمْ مَلأتَ سَمائكَ وَأَرْضَكَ حَتّى ظَهَرَ أَنْ لا إلهَ إلاّ أَنْتَ**» مطابقاً لقوله تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**...﴾... بإتمام الحجة وإيضاح المحجة، بحيث لا مرية فيها ولا ريبة...

بالجملة، «**فَبِذَلكَ أَسْأَلُكَ**»، والمشار إليهم هم الولاة الموصوفون المضافون إلى الله تعالى. والباء تحتمل القَسمَ والوساطةَ كليهما...

أما قوله (روحي فداه، وعليه وعلى آبائه آلاف التحية والثناء): «**وَبِمَواقِعِ الْعِزِّ مِنْ رَحْمَتِكَ**».

المواقع هي المَحال للصفات، وهي الموصوفات، وبينونتها من الصفات ليست بعزلة، فالموصوفات هي الظاهرات في الصفات، والصفات ظهوراتها،

---

١ ـ تقدمت الرواياة وبيان هذا المطلب هناك في صفحة ١٠٠ وهامشها.

٢ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام: «نحن ـ والله ـ الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلاّ بمعرفتنا». الكافي: ج ١ ص ١٤٤ ح ٤، ونحوه في تفسير العياشي: ج ٢ ص ٤٢ ح ١١٩.

(والظاهر في الظهور أظهر من الظهور، والمنير في النور أنور واوجد من النور)[١]... والذات المقدسة ليست بمحل ولا موقع، وقد غيّبت الصفات والموصوفات لديها، ممتنعة عندها لا ذكر لها ـ إثباتاً ولا نفياً ـ فالإثبات يستلزم الزيادة، وليست الصفات زائدة على الذات؛ للزوم التشبيه، ولا شبه له سبحانه. والنفي يستلزم التعطيل، وهو كالتشبيه لا ذكر له عنده سبحانه، ولا تعطيل له في كل مكان، ولا مكان. فـ«**من عرف مواقع الصفة بلغ قرار المعرفة**»[٢] وأصلها وحقيقتها وحقّها كما بين الصادق الأمين (عليه صلوات المصلين) للمفضل بأوضح التبيين.

بالجملة، وقد علّم الحجة (عجل الله فرجه) الخصيصين من شيعته هذه التعبيرات ليعلموا أنه ينبغي للداعي ان يتوسل إلى الله (تبارك وتعالى) بجميع الوسائل لاظهار الخضوع وابراز الخشوع للاسترحام لدى العلاّم، والاعتراف لديه بأنه لا حول ولا قوة إلاّ بالله، وما توفيقي إلاّ بالله، من غير استحقاق من نفسه شيئاً من الإجابة والاعتناء.

فمرّة توسل إليه تعالى بمعاني ما يدعوه به ولاة أمره، ومرة توسل إليه تعالى بدعائهم عليهم السلام، ومرة توسل إليه تعالى ببواطنهم، ومرة بظواهرهم، ومرة بالجمع بينهما؛ لأجل الاسترحام وطلب الإجابة.

فلأجل ذلك قال عليه السلام: «**وَبِمَواقِعِ الْعِزِّ مِنْ رَحْمَتِكَ**».

١ـ راجع الهامش رقم ٣ من صفحة ٧٩.

٢ ـ كتاب فكّر (توحيد المفضل): المجلس ٥ ص ٢٣٢، صحيفة الأبرار: ج ١ ص ٢٧٨ ح ٦.

والعز: هو الغلبة والسلطنة المطلقة[١] على جميع ممالكه ومماليكه في جميع المراتب. والرحمة المضافة هي الرحمة «**الَّتي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**»[٢].

فالمواقع: هم الأعزاء السلاطين في الدنيا والآخرة. والعز: عزهم، والسلطنة من الله لهم، وهم سلاطينه.

وأما قوله (عجل الله فرجه وسهل مخرجه): «**وَبِمَقاماتكَ وَعَلاماتكَ**». فهي المقامات والآيات المضافة إليه سبحانه دون ما سواه، «**الَّتي لا تَعْطيلَ لَها في كُلِّ مَكان**» يعرفه بها من عرفه، لا فرق بينه وبينها إلاّ أنها مقاماته.

فالفقرة الأولى جيئت لأجل توصيف الولاة المضافين إلى الله (تبارك وتعالى)، وهذه الفقرة لأجل التوسل بها وساطةً أو قَسَماً، أو كليهما.

وإنما قال عليه السلام: «**أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّد وَآله**» لأنه «أبى الله أن يجري الأشياء إلاّ بأسبابها»[٣]، وهم السبب الأول وأول الأسباب في إجراء المسببات والإجابات والاستجابات.

---

١ ـ كتاب العين: ج ١ ص ٧٦، تهذيب اللغة: ج ١ ص ٦٤، مقاييس اللغة: ج ٤ ص ٣٨، النهاية في غريب الحديث: ج ٣ ص ٢٢٨، لسان العرب: ج ٥ ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥.

٢ ـ فقرة من دعاء كميل رحمه الله.

٣ ـ قال أبو عبد الله عليه السلام: «أبى الله أن يجري الأشياء إلاّ بالأسباب، فجعل لكل شيء سبباً، وجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكل شرح مفتاحاً، وجعل لكل مفتاح علماً، وجعل لكل علم باباً ناطقاً، من عرفه عرف الله ومن أنكره أنكر الله ذلك رسول الله ونحن». الكافي: ج ١ ص ١٨٣ ح ٧، بصائر الدرجات: ص ٦ و ٥٠٥ ح ٢، مختصر البصائر:

←

وقد أمر سبحانه بالتوسل بهم إليه بقوله: ﴿**وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ**﴾، إذ بدون الوسيلة تمتنع الإجابة منه سبحانه، إذ لا يستحق الداعي الإجابة منه سبحانه إلاّ بالتوسل بالوسيلة، فلا يصعد دعاؤه إليه سبحانه، وما كان دعاؤه ﴿**إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً**﴾، إذ كل داعٍ دعا الله سبحانه توجّه إلى الوسيلة، فتوجه إليه سبحانه، «**مَنْ أَرادَ اللهَ بَدَأَ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ**». وقد جعل الله سبحانه من أسباب التوجه إليهم (صلواته عليهم): الصلاة عليهم كما قال ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾، إذ بدون وصول الفيض إلى العالي يمتنع وصوله إلى الداني؛ للزوم الطفرة؛ والضرورة قضت ببطلانها، فكما أنه يمتنع تلقّي الوحي منه سبحانه من الداني إلاّ بوسيلة العالي، ويمتنع أدراك مَحَابّه ومَسَاخطه[1] سبحانه للداني إلاّ بواسطة العالي، كذلك يمتنع وصول كل فيض منه سبحانه إلى الداني إلاّ بوساطة العالي.

[هل الصلاة عليهم نفعٌ يعود عليهم عليهم السلام؟]

بالجملة، ولعلك عرفت أن مقام الوساطة هي مرتبة البشرية المعروفة للعارفين، فلا تزعم ـ كمن ادّعي العرفان[2]... ـ أن صلوات الرعية لا

→

ص ١٨٣ ح ١٦٢.

١ ـ أي الأمور المحبوبة لديه والمسخوطة عنده.

٢ ـ لم أعرف من يعنيه بكلامه هنا، ولكن نقل السيد كاظم الرشتي (أعلى الله مقامه) عن

←

تنفعهم عليهم السلام في مقام البشرية، ألا ترى أنهم إن عطشوا وسقاهم ساقٍ انتفعوا بسقيه، وإن جاعوا وأطعمهم مطعم انتفعوا به، وقد أهدوا بالهدايا والصلات وانتفعوا بها، فكذا الصلوات والتحيات والتسليمات من الرعية نافعة لهم عليهم السلام في هذه المرتبة، وأداء لحقوقهم عليهم السلام، وهي أقرب القربات إليهم عليهم السلام وإليه سبحانه[1].

→

الآخوند الملا إسماعيل عَقدائي اليزدي رحمه الله (متوفى ١٢٣٠ هـ) (ما ترجمته: إن وعاء قابليته نبي آخر الزمان صلى الله عليه وآله [للزيادة] قد امتلأ بحيث لم يبق له مجال للاستمداد. انتهى. انظر: جواهر الحكم: ج ١٥ ص ١٥٢ (مواعظ يوم ٨ شهر رمضان ١٢٥٧ هـ).

وممَن وقفت عليه من أهل العرفان ينفي عود الفائدة عليهم عليهم السلام: القاضي سعيد القمي رحمه الله حيث قال: الدعاء بالحقيقة هو تصحيح من العبد نسبةً وخصوصيّة إلى الرسول صلى الله عليه وآله، وإلاّ فهو صلى الله عليه وآله مُستغنٍ بالله عن جميع ما سواه. والرحمة الإلهية، والخيرات الربانية دائمة الإفاضة عليه؛ بسبب ما أتعب نفسه في جنب الله، وجاهد في سبيله، وبلّغ عنه، وشرّع الإسلام، والطريق الموصل إليه، فإذا صحّت نسبة (العبد) إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالصلاة والدعاء [في قول: اللهم صلّ على محمد عبدك.. الخ]، ولا شك أنه صلى الله عليه وآله هو الواسطة في إفاضة الرحمة على سائر البرية كما قال سبحانه: ﴿ما أَرْسَلْناكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعالَمينَ﴾، سواء ذلك في خلائق من الأولين والآخرين، أُفيضَ من فضل تلك الأنوار، ويرشح من طَفْح هذه الرحمات المختصّة بقائد الأبرار بقدر شدّة نسبة ذلك العبد وضعفه عليه، فالعبد بسبب الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله ينال الرحمة الخاصة، وإن كان له نصيب من فيض الرحمة العامة التي له صلى الله عليه وآله بالنظر إلى جميع البريّة. شرح توحيد الصدوق: ج ١ ص ٤٥٠.

١ ـ صرّح بعض الأعلام أن المشهور هو اختصاص النفع بالداعي، ولا يعود إليهم عليهم السلام شيء من الصلاة عليهم، ونقل الشهيد الأول رحمه الله أنّ جماعة من متكلمي الأصحاب ـ كالشيخ ←

نعم، لأداء حقوقهم عليهم السلام والتجنّب عن عقوقهم ثواب جسيم وأجر عظيم أعظم من جميع الأجور التي خلقها الله تعالى في عالم الإمكان، وكل ثواب وأجر دونه؛ إذ به صار سائرت الأجور أجوراً، إذ لولاه لم يكن لعملٍ أجر عنده سبحانه، فلأجل ذلك جعل سبحانه صلواتنا عليهم (عليهم الصلاة والسلام) «**طيباً لخلْقنَا، وَطَهارَةً لأنْفُسنَا، وَتَزْكيَةً لَنا، وَكفّارَةً لذُنُوبنا**»، فهي أعظم الكفّارات وأطيب الطيبات وأزكي الزاكيات والمزكّيات والمُطهرات من الأدناس والأرجاس الظاهرة والباطنة، وهي الإكسير الأعظم والكبريت الأحمر المزكي للنقائص والأوساخ والرذائل والزوائل، وهي المأخوذة من الرعية في الباطن، المأمور بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: ﴿**خُذْ منْ أَمْوَالهمْ صَدَقَةً تُطَهّرُهُمْ وَتُزَكّيهمْ بهَا وَصَلّ عَلَيْهمْ إنّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ**﴾...

بالجملة، فالصلاة والسلام عليهم عليهم السلام تصير سبباً للاستحقاق للداعي المصلي المُسَلّم، فإذا صار مُستحقاً صارت الإجابة له من الله تعالى واجبة في حكمته..كيف وقد أمر بالدعاء، والأمر أوكد وأحكم من الوعد، وقد أمر أولاً بقوله: ﴿**ادْعُوني**﴾ ثم وعد بقوله: ﴿**أَسْتَجبْ لَكُمْ**﴾.

→

المفيد رحمه الله ـ قد أنكروا هذه الزيادة، وجعلوا هذا من قبيل الدعاء بما هو واقع، امتثالاً لأمر الله تعالى، وإلاّ فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أعطاه الله من الفضل والجزاء والتفضل ما لا تؤثر فيه صلاة مصلٍّ، وُجدت أو عدمت. ـ القواعد والفوائد: ج ٢ ص ٩٢ ـ ٩٦ القاعدة ١٧٩.

وقد ذكرنا كلام النافين والمثبتين في كتابنا (إشراقات من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم) في المبحث السادس، ص ٢٣٥ ـ ٣٠٨، فراجع إن أحببت.

بالجملة، فالمتمسكُ المقدمُ آلَ محمدٍ عليهم السلام بين يدي حوائجه ودعائه في الدنيا والآخرة مُستجاب الدعوة، بل بمقتضي قوله تعالى في القدسي: «إن دعاني أجبته وإن سكت عنّي ابتدأته»[1]، يبتديء الله الرؤف بالفضل والرحمة عليه، فكيف إذا دعاه وسأله.

[دخول الشيعة في آل محمد عليهم السلام]

ولعلك عرفت وتذكّرت أن الولاية والمودة والمحبة لهم ولأوليائهم عليهم السلام روح الدعوات ومعناها، ولا أثر للألفاظ من حيث هي إلاّ بأرواحها ومعانيها، وقد صارت المودة لهم عليهم السلام من ضروريات الأسلام فضلا عن الإيمان بقوله تعالى: ﴿**قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾، وأولياؤهم عليهم السلام أيضاً من القربي؛ بمقتضي قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي**﴾، ولقولهم عليهم السلام مخاطبين لمواليهم: «**أنتم من آل محمد**».

---

١ ـ ورد في القدسي: «وما تقرب إليّ عبدٌ من عبادي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وإنه ليتقرّب إليّ بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ ـ إذاً ـ سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصرُ به، ولسانَه الذي ينطقُ به، ويدَه التي يبطِشُ بها، إن دعاني أجبتُه، وإن سألني أعطيتُه...». الكافي: ج ٢ ص ٣٥٢ ح ٧ و ٨، المحاسن: ج ١ ص ٢٩١ ب ٤٧ ح ٤٤٣.
وفي رواية: «لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل مخلصاً لي حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها إن سألني أعطيته وإن استعاذني أعذته». إرشاد القلوب: ج ١ ص ١٨٠ ـ ١٨١، ونحوه في جامع الأخبار: ص ٨١ ف ٣٨.

قال الراوي: من آل محمد؟! قال عليه السلام: «من آل محمد (صلوات الله عليهم)»[١].

وقد أمروا عليهم السلام في كيفية الصلاة عليهم بقول: «**اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ**» لدخول شيعتهم في الصلوات، ونهوا عليهم السلام عن قول: «اللهم صل على محمدٍ وأهل بيت محمد»[٢] (صلوات الله عليهم) لأن أهل بيت النبوة هم الأئمة المخصوصون (المعصومون)[٣] (صلوات الله عليهم وعلى أوليائهم).

---

١ ـ عن عمر بن يزيد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «أنتم ـ والله ـ من آل محمد». فقلت: من أنفسهم! جعلت فداك؟ قال: «نعم ـ والله ـ من أنفسهم» ثلاثاً، ثم نظر إليّ ونظرت إليه فقال: «يا عمر، إن الله يقول في كتابه: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِين﴾». تفسير القمي: ج ١ ص ١٠٥، تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٧ ح ٦١، مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٥٨.

وفي رواية: قال: قلت له من آل محمد؟ قال: «إي ـ والله ـ من آل محمد، إي ـ والله ـ من أنفسهم، أما تسمع الله يقول: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾؟ و قول إبراهيم: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾؟». تفسير العياشي: ج ٢ ص ٢٣١ ذيل ح ٣٣.

٢ ـ عن عمار الساباطي قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال رجل: اللهم صل على محمد وأهل بيت محمد. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: «يا هذا، لقد ضيّقت علينا، أما علمت أن أهل البيت خمسةٌ أصحابُ الكساء؟». فقال الرجل: كيف أقول؟ فقال: «قل: اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، فنكون نحن وشيعتنا قد دخلنا فيه». انظر: ثواب الأعمال: ص ١٥٨.

٣ ـ قال الشهيد الثاني رحمه الله: والمراد بآل محمد: علي وفاطمة والحسنان عليهم السلام؛ للنقل، ويُطلق على باقي الأئمة الإثني عشر تغليباً. روض الجنان: ج ٢ ص ٤٦٨ في (مبحث التشهد).

وقال المحقق الأردبيلي رحمه الله: ولا يدل على الاختصاص بأمير المؤمنين وفاطمة وولديهما

←

فالمحبة لهم ولأوليائهم أول أسباب الإجابات وصعود الدعوات إلى بارئ الموجودات... ولا دعاء حقيقة إلاّ للمؤمن المحب لهم ولأوليائهم (صلوات الله عليهم أجمعين).

بالجملة، فلما صلّى [العبد] على الوسائط بينه وبين الله (تبارك وتعالى)؛ لأنها أول أسباب التوسلات وأعظمها، وأدّى حقوقهم، استدعى بأهم الأمور بعدها وهو الإيمان بأولئك الوسائط (صلوات الله عليهم) والإذعان والتسليم لهم، والتثبيت عليه من غير إعارة، فإن المُستعار بعد سلبه]لَهُوَ[أشد على المستعير من فقده رأساً، ألا ترى.. الغني بعد افتقاره صار فقره أشد الأمور عليه وأصعبها عنده؟

فلأجل ذلك قال عليه السلام بعد الصلاة على الوسائط (صلوات الله عليهم) : «**وأَنْ تَزيدَني إيماناً وَتَثْبيتاً**»، وذلك قوله تعالى: ﴿**لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ**﴾ ـ وهو الاعتقاد بالجَنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان[1]، والاعتقاد المراد ـ من [عند] الله (تبارك وتعالى)، هو [الإيمان] المطابق للواقع

→

(صلوات الله عليهم أجمعين) الروايات الواقعة في سبب نزول آية التطهير؛ لأنهم كانوا موجودين في ذلك الزمان، والحصر كان إضافياً، حيث يقول لبعض نسائه: «إلى خير». انظر: مجمع الفائدة والبرهان: ج ٢ ص ٢٧٧ في مبحث (وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم).

١ ـ مستفاد من عنوان للشيخ صدوق رحمه الله في عيون أخبار الرضا: ج١ ص ٢٢٦ (باب ٢٢: ما جاء عن الرضا ع في الإيمان و أنه معرفة بالجَنان و إقرار باللسان و عمل بالأركان).

واليقين... وهو «أقل ما قُسّم بين العباد»[١]، والعاثر عليه أقل من الكبريت الأحمر[٢]، وما عليه عامة الفرَق وأغلبها هو السكون.. [وهو] أثرٌ من طبائعهم وعاداتهم، وليس من الإيمان... واليقين هو الحاصل عن البراهين، وهو من خاصة المؤمنين، لا يوجد في غيرهم أبداً..

بالجملة، قد سأل الإيمان والزيادة إقراراً بأنه (لا حول ولا قوة إلاّ بالله) واعتقاداً بها، وبقوله تعالى حكايةً: ﴿**وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾، ولأجل ذلك علّمك السؤال في الحمد في كل صلاة بقوله: ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ**﴾. وقد علمتَ أن عدمَ المستودع من الإيمان[٣] رأساً خيرٌ من

---

١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لم يُقسّم (الله) بين العباد أقل من خمسٍ: اليقين والقنوع والصبر والشكر، والذي يكمل له هذا كله العقل». الخصال: ص ٢٨٥ ح ٣٦، المحاسن: ج ١ ص ١٩٢ ب ١ ح ٣.

٢ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «المؤمن أعز من الكبريت الأحمر، فمن رأى منكم الكبريت الأحمر؟». الكافي: ج ٢ ص ٢٤٢ ح ١. والمراد: أن مَن لهم هذه الصفات قليلون ونادرون.

٣ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام في ﴿فَمُستقر وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ قال: «مستقر في الرحم ومستودع في الصلب، وقد يكون مستودعَ الإيمان ثم يُنزع منه». تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٧١ ح ٧١.
وعلي بن جعفر عن أخيه الكاظم عليه السلام قال: «إن الله (عز وجل) قد هداكم و نوّر لكم، وكان أبو عبد الله عليه السلام يقول: «إنما هو مستقر ومستودع، فالمستقر الإيمان الثابت، والمستودع المُعار». قرب الإسناد: ص ٣٨ ح ١٣٤٥.

إعارته وسلبه وبُعْده[١]، ولأجل ذلك ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّراطَ المُسْتَقِيمَ﴾ أي ثبّتنا عليه[٢].

فالتثبيت عليه على الله[٣] (تبارك وتعالى)، كالهداية عليه.

والمطلوب هو التثبيت وهو المراد لله تعالى في إرسال رُسله وإنزال كُتبه، وهو أهم من جميع الأمور ـ كائنة ما كانت، بالغة ما بلغت ـ وهو العلة الغائية في خلق الجن والإنس، ولولاها لما خلقهما لقوله (تبارك وتعالى): ﴿مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ﴾، أي ليعرفون[٤]، بل لولاها لما

---

١ ـ هكذا أقوم للعبارة وأسهل، وكانت في الشرح المطبوع هكءذا: (وقد علمتَ أن المستودع من الإيمان عدمهُ رأساً خيرٌ من إعارته وسلبه بُعْده).

٢ ـ عن علي عليه السلام، معالم التنزيل: ج ١ ص ٤١، تفسير بحر العلوم (سمرقندي): ج ١ ص ٤٣. وفسّرها الشيخ رحمه الله في التبيان: ج ٣ ص ٢٤٩ بمعنى: ثبّتنا بلطفك على الصراط المستقيم.
وعن علي عليه السلام قال: «أدم لنا توفيقك، الذي به أطعناك فيما مضى من أيامنا، حتى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا». معاني الأخبار: ص ٣٣ ح ٤.
وعن الصادق عليه السلام: «أرشدنا للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك، و المبلغ دينك، و المانع من أن نتبع أهواءنا فنعطب، أو نأخذ بآرائنا فنهلك». تفسير الإمام العسكري: ص ٤٤.

٣ ـ أي بيده وموكول إليه سبحانه.

٤ ـ تكررت هذه العبارة في كلمات الأعلام والمشايخ العظام، وممن كررها: الملا صدرا رحمه الله في شرحه أصول الكافي: ج ١ ص ١٨٢، ج ٢ ص ١٨٢، ج ٣ ص ١١٩، والميرداماد رحمه الله في تعليقته على أصول الكافي: ص ٢١ كتاب العقل والجهل ح ٣، وانظر: الرواشح السماوية: ص ٢٢.
وهذا ما نطقت به الروايات الشريفة، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «خرج الحسين بن علي على

←

خَلق الخَلقَ، كما قال في القدسي: «**كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق لكي أُعرف**»[١]، فيجب على المكلفين سؤال الهداية من الله (تبارك وتعالى) وسؤال الإيمان منه به وبوسائطه عليهم السلام بما وصفوه به وبما وصفوا أنفسهم عليهم السلام به، بأنه (لا فرق بينهم وبينه ـ سبحانه ـ إلاّ أنهم صفاته وأسماؤه)، كما أنه لا فرق بين زيد والقائم ـ في قولك: زيد القائم ـ إلاّ أن القائم صفة زيد، غير بائن عنه، استقرت في ظله ولا تخرج منه إلى غيره... فمن فرق بينه سبحانه وبين ولاة أمره صدَقَ في حقه[٢] الأيات القرآنية.

فقول القائم [هو] قول زيد، وفعله فعل زيد، وأمره أمره، ونهيه نهيه، وإطاعته إطاعته، وعصيانه عصيانه، ومحبته محبته وعداوته عداوته، وقصده قصده، وإرادته إرادته، والاعتصام به هو الاعتصام به، والتوّلي عنه هو التولي عنه، والمعرفة به هي المعرفة به، والجهل به هو الجهل به، والإنكار له هو الإنكار له، والإنكار لفضله هو الإنكار لفضل زيد، والإقرار بفضله هو الإقرار بفضل زيد.

←

أصحابه فقال: أيها الناس! إن الله (جلّ ذِكرهُ) ما خلق العباد إلاّ ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه. فقال له رجل: يا ابن رسول الله! بأبى أنت وأمى، فما معرفة الله؟ قال: معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي تجب عليهم طاعته». انظر: علل الشرائع: ص ٩ ب ٩ ح ١، كنز الفوائد: ص ٣٢٨.

١ـ تقدم تخريج الرواية وما يؤيدها في هامش رقم ١ من صفحة ٤٤.

٢ ـ في الشرح المطبوع: (صدق فيه).

والقول الفصل الذي ليس بالهزل: أن كل ما يُنسب إلى القائم يُنسب إلى زيد، وكل ما يثبت له يثبت له، وكل ما يُنفى عنه يُنفى عنه.

فمن آمن بولاة أمره آمن به سبحانه، ومن ضل وأضل وكفر بهم فقد ضل وأضل عن سواء السبيل[1]... ولا فرق بينه [تعالى] وبين آياته إلاّ أنها آياته... والولاة المضافون إليه (تعالى ذكره) آياته وعلاماته وصفاته وأسماؤه...

بالجملة، بعد الصلاة والسؤال لمزيد الإيمان والتثبيت عليه ناداه (سبحانه وتعالى) بالنداء البعيد والدعاء كدعاء العبيد المشتاقين إلى إعانة الحبيب للرقيب من غير إتيان بمخاطبة أهل العيان؛ استكانة وخضوعاً، وإشارة إلى أنه ﴿**لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾، وبشارة لمن آمن بما وصفه سابقاً وعرّفه بطور أنيق وطرز رشيق بقوله (روحي فداه، وعليه وعلى آبائه آلاف التحية والثناء): «**يَا باطِناً في ظُهُورِه وَظاهراً في بُطُونِه وَمَكْنُونِه**».

فبين (روحي فداه، وعليه وعلى آبائه الكرام آلاف الصلاة والسلام) ببيان جامع كلي تحته جميع الجزئيات: الأسماء والصفات من مقامات البيان والمعاني له (سبحانه وتعالى) التي أمر بها آباؤه عليهم السلام الخصّيصين من شيعتهم

---

١ ـ قال تعالى: ﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾. سورة المائدة: ٧٧.

بقولهم: «**عليك بالبيان والمعاني**»[١]، فأتوا بلفظ المفرد في البيان والجمع في المعاني؛ تعليماً بأنه سبحانه متفرّد في أسمائه وإن كانت متعددة كما قال جابر: الحمد لله الذي من علي بمعرفتكم. فقال عليه السلام «**أوَتدري ما المعرفة؟**». قال: لا. فقال عليه السلام تعليماً وتبليغاً: «**المعرفة إثبات التوحيد أولاً، ثم معرفة المعاني ثانياً، ثم معرفة الأبواب ثالثاً، ثم معرفة الإمام رابعاً، ثم معرفة الأركان خامساً، ثم معرفة النقباء سادساً، ثم معرفة النجباء سابعاً**»[٢].

بالجملة، فالبيان الجامع الكلي الذي لا مُخصص له الشامل لجميع الجزئيات ـ وإن كانت غير متناهية ـ الجاري في جميع المراتب، في كل مرتبة بحسبها ـ حتى إنه جار في زيد وظهوره وفي كل منير ونوره ـ أن كل شيء ـ كائناً ما كان، بالغاً ما بلغ ـ باطنٌ في ظهوره وظاهرٌ في بطونه وامتنع أن يعقل وجود شيء إلاّ في ظـهوره كما يمتنع أن يُعقل ظـهور شيء إلاّ في بطونه ومكنونه.

ولابد لنا [من] البيان لأهل العيان... فاعلم أن كل عالِم باطن في علمه، وعلمه ظهوره، وكل قادر باطن في قدرته وقدرته ظهوره، وكل جاهل باطن في جهله وجهله ظهوره، وكل عاجز باطن في عجزه وعجزه ظهوره، وهكذا الأمر في كل شيء بحسبه.

---

١ ـ عن أبي جعفر عليه السلام، مشارق أنوار اليقين: ص ٢٨٦.

٢ ـ المناقب (للعلوي): ص ١٢٥، الهداية الكبرى: ص ٢٢٩ ب ٦، بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ١٣.

وكذا العكس، كل علم ظاهر في عالِمه، وكل قدرة ظاهرة في قادرها، وكل جهل ظاهر في فاعله، وكل عجز ظاهر في فاعله، وهكذا كل فعل موجود في فاعله.

وامتنع أن يوجد علم إلاّ في العالم، وقدرة إلاّ في القادر، وجهل إلاّ في الجاهل، وعجز إلاّ في العاجز، كما يمتنع عالِمٌ بغير علم، وقادر بغير قدرة، وجاهل بغير جهل، وعاجز بغير عجز، وهكذا يمتنع فاعل بغير فعل، وفعل بغير فاعل، فهل في ذلك ريبة فضلاً عن الشك فضلاً عن الانكار؟...

وان زعم زاعم أن هذه الامثال جارية في الموجودات وغير جارية في الذات إذ ليست صفاته زائدة عليها ﴿**فَلا تَضْرِبُوا لِلَّه الأَمْثالَ**﴾.

فأقول: لا أقول إن صفاته سبحانه زائدة على ذاته، بل (الذات غيبت الصفات)[1]، «وكمال التوحيد **نفي الصفات عنه؛ لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة**»[2]، «**وشهادة الصفة**

---

١ ـ جاء في ذيل دعاء الإمام الحسين عليه السلام عرفة: «وَأَنْتَ الَّذي تَعَرَّفْتَ إِلَيَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ فَرَأَيْتُكَ ظَاهراً فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ، يَا مَنِ اسْتَوَى بِرَحْمَانِيَّتِهِ فَصَارَ الْعَرْشُ غَيْباً فِي ذَاتِه». إقبال الأعمال: ص ٦٦٢.

وقال الشيخ الأوحد رحمه الله: «وَالْمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّه» يحتمل وجوهاً، الأوّل: أنهم عليهم السلام مخلصون في توحيد اللّه في وجدانهم ومعرفتهم، فانهم لايجدون إلاّ اللّه سبحانه، فانّ الذات إذا ظهرتْ غيّبت الصّفات والآثار بظهورها، لأنّ الصّفات والآثار سُبُحاتُ ظهورها، وذلك الظهور هو الماحي لحجب الظهور. انتهى. شرح الزيارة الجامعة: ج ١ ص ١٥٨.

٢ ـ قال عليه السلام: «أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده،

←

والموصوف بالاقتران، وشهادة الاقتران بالتركيب، وشهادة التركيب بالحدوث الممتنع»[١] عن الأحد الفرد الصمد من جميع الحيوث والاعتبارات، فهو الحق البسيط الحقيقي البحت البات وكل ما سواه مركّب وإن كان بسيطاً إضافياً بالنسبة إلى ما كان تركيبه أكثر من ظهوراته وآثاره.

ولكني أقول.. إنه سبحانه موصوف بالصفات بنفس الصفات، وهي (المقامات والعلامات له سبحانه في كل مكان، يعرفه بها من عرفه، **لا** فرق بينه وبينها، إلاّ أنها مقاماته وعلاماته)، «**تجلى لها بها، وبها امتنع منها، وإليها حاكمها**»[٢]... نعم علينا.. نفي التعطيل بينه وبين صفاته كما ننفي التشبيه، فليس بينه وبينها فصل كما أخبر بنفسه سبحانه : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ**

→

وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه؛ لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة». نهج البلاغة: الخطبة الأولى.

وعن الكاظم عليه السلام: «أول الديانة به معرفته، وكمال معرفته توحيده، وكمال توحيده نفي الصفات عنه؛ بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة الموصوف أنه غير الصفة، وشهادتهما جميعاً بالتثنية الممتنع منه الأزل». الكافي: ج ١ ص ١٤٠ ح ٦.

١ ـ عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: «أول عبادة الله تعالى معرفته، وأصل معرفة الله توحيده، ونظام توحيد الله نفي الصفات عنه؛ لشهادة العقول أن كل صفه وموصوف مخلوق، وشهادة كل موصوف أن له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف، وشهادة كل صفه وموصوف بالاقتران، وشهادة الاقتران بالحدوث، وشهادة الحدوث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدوث». التوحيد: ص ٣٥ ب ٢ ح ٢، عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ١٥٣ ب ١١ ح ٥١.

٢ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام، نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٨٥.

وَرُسُلِه وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّه وَرُسُلِه وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً * وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّه وَرُسُلِه وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾...

أما اتصالها به سبحانه [فهو] اتصال بلا كيف ولا إشارة، و «محو الموهوم وصحو المعلوم، وهتك الستر لغلبة السر، وجذب الأحدية لصفة التوحيد، وإطفاء السراج وطلوع الصبح»[١]، واضمحلال الصفات في جنب الذات بحيث لا تكون زائدة عليها.. وإن زعمت أنها زائدة.. فإن الزيادة حالّة في محلٍ كما تراه في الموجودات، و﴿**لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ**﴾، فمن قاسه بخلقه فقد شبهه به، ولابد لك أن تُخرجه سبحانه «عن الحدين: حد التعطيل وحد التشبيه»[٢]، فإن أردت الخروج من الغلو والتقصير والعروج إلى أوج المعاينة والسير إلى الله الخبير البصير فـ﴿**ابْتَغِ بَيْنَ ذلكَ سَبِيلاً**﴾ «**أوسع مما بين السماء والأرض**»[٣] في الطول والعرض، وهي «النمرقة الوسطي، إليها

١ـ تقدمت رواية كميل في الهامش من صفحة ١٠٧.

٢ ـ سئل أبو جعفر عليه السلام: أيجوز أن يقال: إن الله (عز وجل) شيء؟ قال: «نعم، يخرجه عن الحدين: حد التعطيل وحد التشبيه». التوحيد: ص ١٠٤ ب ٧ ح ١.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ليس في الأشياء بوالج ولا عنها بخارج». نهج البلاغة: الخطبة ١٨٦.

وحد التشبيه، هو أن يقال: إنه شيء كالاشياء. وحدّ التعطيل أن يقال: إنه ليس شيئاً. ونفى الحدين أن يقال: إنّه شيء لا كالأشياء.

٣ ـ سُئل أبو جعفر وأبو عبد الله عليهما السلام: هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة؟ قالا: «نعم، أوسع مما

←

يرجع الغالي وبها يلحق التالي»[١]، «**اليمين والشمال مضلة، والطريق الوسطى هي الجادة**»[٢]، وأغلب الخلق واقفون في الطرفين طرف الإفراط وطرف التفريط، سالكون على الطريقين: طريق الغلو والتقصير.

والمخصوص بأهل الحق الحقيق هو الصراط المستقيم، وهم «**الأقلون عدداً والأعظمون أجراً**»[٣]، وهم العلّة الغائية لخلق السموات والأرضين والدنيا والآخرة... و«**خلقت الخلق لكي أعرَف**»[٤]، ﴿**مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ**﴾، وسبيل معرفته هم الأنبياء والمرسلون، وأولياؤه المكرمون، وعباده الصالحون (صلواته عليهم أجمعين) المؤيدون بالروح، روح القدس، المحيون بحياته...

بالجملة، أولئك الأقلون هم الذين إذا أرادوا اللّهَ بدأوا بأولئك الولاة المضافين إليه سبحانه، وإذا وحّدوه قبلوا عنهم، وإذا قصدوه توجهوا

→

بين السماء و الأرض». الكافي: ج ١ ص ١٥٩ ح ٩، التوحيد: ص ٣٦٠ ب ٥٩ ح ٣.

١ ـ نهج البلاغة: قصار الحكم، رقم ١٠٩.

قال الطريحي: استعار عليه السلام لفظ النّمرقة بصفة الوسطى له و لأهل بيته باعتبار كونهم أئمّة العدل، يستند الخلق اليهم في تدبير معاشهم ومعادهم. مجمع البحرين: ج ٥ ص ٢٤٢.

٢ ـ الكافي: ج ٨ ص ٦٨ ح ٣٣.

٣ ـ الخصال: ص ١٨٧ ح ٢٥٧، الأمالي (للمفيد): ص ٢٥٠ المجلس ١٢٩ ح ٣.

٤ـ تقدم تخريج الرواية وما يؤيدها في هامش رقم ١ من صفحة ٤٤.

بهم عليهم السلام[١]، والضالون هم الجاهلون، والكافرون هم المنكرون لمراتبهم التي رتبهم الله فيها، فمن المراتب: مرتبة البيان، ومنها: مرتبة المعاني[٢]، فالمرتبة الأولى: هي أعلى المراتب، وهي الاسم المكنون والرسم المخزون عنده سبحانه، والمرتبة الثانية: علمه وقدرته وحكمته وجماله وجلاله وعظمته وكبرياؤه وآلاؤه ونعماؤه ورحمته ورأفته، وسائر المعاني التي وصف بها نفسه، وعددها بعدد الأوصاف الكمالية له، وكلها مخصوصة به سبحانه، ممتنعة في عالم الخلق، كما أن صفات الخلق ممتنعة في الواجب كما روي عنهم عليهم السلام: «كل ما يجب في القديم يمتنع في الحادث، وكل ما يجوز في الحادث يمتنع في القديم»[٣] (جل شأنه).

---

١ ـ كما في الزيارة الجامعة الكبيرة: «مَنْ أَرادَ اللهَ بَدَأَ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ».

٢ ـ المقامات كما في الأخبار أربعة ذكرها شيخنا الأوحد (أعلى الله مقامه)، وملخصها:

(**مقام البيان**): وهو المقام الأول للفعل، والدلالة على الذات المقدسة.

(**مقام العنوان** أو **المعاني**)، وهو ما تقع عليه الأسماء والصفات، وهو معانيها، وهذا المقام أحد رتب فعله تعالى، وهم الحقيقة المحمدية.

(**مقام الأبواب**)، وباطن الظاهر، وسر لا يقيّده الأسر، وأسفاره إلى الله، وترجمة وحي الله وبيانه. والمراد به أنهم الوسيلة إلى الله تعالى في كل ما تحتاجه الخلائق، بحيث لو أنّ أحداً قصد الله تعالى من دون طَرقٍ بابهم ما تحققت استجابةٌ واقعيّة.

(**مقام الإمام**)، و هو الحق، وهو الظاهر، وهو السرّ المستسرّ، وهو مقام حجة الله على خلقه وخليفته في أرضه... الخ. انظر: شرح الزيارة الجامعة: ج ١ ص ١٧ ـ ١٩.

٣ ـ لم نقف على هذا اللفظ بعينه، ولكن هناك روايات تؤدي معناه، ومنها:

←

بالجملة، فلما أشار (عليه وعلى آبائه السلام) إليهما بقوله: «**يَا بَاطِناً في ظُهُورِه وَظاهراً في بُطُونِه وَمَكْنُونِه**» أشار إلى المرتبة الثالثة والرابعة لهم عليهم السلام بقوله (روحي فداه وعليه وعلى آبائه آلاف التحية والسلام): «**يَا مُفَرِّقاً بَيْنَ النُّورِ وَالدَّيْجُورِ**».

فالنور: هو الظاهر لنفسه المظهر لغيره[1].

➔

* عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «ولا يخطر ببال أولي الرويات خاطرة من تقدير جلال عزته؛ لبعده من أن يكون في قوى المحدودين؛ لأنه خلاف خلقه، فلا شبه له من المخلوقين وإنما يشبه الشيء بعديله، فأما ما لا عديل له فكيف يشبه بغير مثاله وهو البديء الذي لم يكن شيء قبله والآخر الذي ليس شيء بعده». التوحيد: ص ٥٢ ب ٢ ح ١٣.
* وعن أبي جعفر الجواد عليه السلام في التوحيد قال: «غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه، لا يشبهه شيء و لا تدركه الأوهام كيف تدركه الأوهام و هو خلاف ما يعقل و خلاف ما يتصور في الأوهام إنما يتوهم شيء غير معقول و لا محدود». الكافي: ج ١ ص ٨٢ ح ١، التوحيد: ص ١٠٦ ب ٧ ح ٦.
* عن الباقر عليه السلام قال: «هل يسمّى عالماً وقادراً إلاّ لأنه وهبَ العلم للعلماء والقدرة للقادرين، وكلّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم، ولعلّ النّمل الصّغار تتوهّم أن لله زبانيين، فإنّ ذلك كمالها، وتتوهّم أنّ عدمها نقصان لمن لم يتّصف بهما، وهكذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به». شرح مسألة العلم (للطوسي): ص ٤٣ المسألة ١٥، جامع الأسرار: ص ١٤٢، شرح نهج البلاغة (ابن ميثم): ج ١ ص ١١٠؛ ج ٤ ص ٣٨٨، الأربعون حديثاً (للبهائي): ص ٨١ شرح الحديث ٢، شرح أصول الكافي (ملاّ صدرا): ج ٣ ص ١٣٣، الوافي: ج ١ ص ٤٠٨، بحار الأنوار: ج ٦٦ ص ٢٩٣.

١ ـ النهاية في غريب الحديث: ج ٥ ص ١٢٤، لسان العرب: ج ٥ ص ٢٤٠.

والديجور: فيعول بمعني المظلم[١] في مقابل النور، غير ظاهر بنفسه فضلاً عن إظهاره لغيره.

فالنور نور الهداية كما أن الظلمة ظلمة الضلالة.

أو المراد بالنور نور الوجود، والمراد بالظلمة ظلمة العدم.

وقد دل على الأول: قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آَمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ**﴾، فالنور المخصوص بالمؤمنين هو نور الهداية إلى الإيمان فإنها بتوفيق الله سبحانه، حيث وفّقهم للإيمان به وبرُسله وأوليائه وكتبه، كما وصف به نفسه، ووصف رُسله وأولياءه بما جعلهم عليه من الأوصاف، وإخراجه من ظلمات الجهالة والضلالة إلى نور الهداية. كما أن الظلمات المخصوصة بالكافرين هي ظلمات الضلالات والإضلالات من الطواغيت الرؤساء إلى المرؤسين ﴿**يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ**﴾.

ودل على الثاني: قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ**﴾، و﴿**خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**﴾، ﴿**وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً**﴾، والليل سباتاً، والنهار معاشاً[٢]، وامثالها.

---

١ ـ كتاب العين: ج ٦ ص ٧٥، تهذيب اللغة: ج ١٠ ص ٣٣٦، المحيط في اللغة: ج ٧ ص ٣٨، الصحاح: ج ٢ ص ٦٥٥، النهاية في غريب الحديث: ج ٢ ص ١٤٨.

٢ ـ ﴿وَجَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً * وَجَعَلْنَا اللّيْلَ لِباساً * وَجَعَلْنَا النّهارَ مَعاشاً﴾. سورة النبأ: ٩ ـ ١١.

بالجملة، قد عُلم.. في كلا المعنيين أن الأمر لابد وأن يكون من جنس المأمور، والهادي من جنس المهتدي، والفاعل من جنس المفعول، إذ لولا ذلك لم يحس المأمور أمر الآمر، والمهتدي هداية الهادي، ولم يتأثر القابل من فعل الفاعل، فلأجل ذلك وجب في حكمة الحكيم إرسال الرسل وإنزال الكتب إلى المكلفين... فلولا أرسل إلى المكلفين رسولاً.. لما هداهم إليه، ولما بلغ أمره أليهم، كما قال: ﴿**وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِه لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى**﴾، وكذلك الأمر في الأكوان...

فتذكر أنه سبحانه «**احْتَجَبَ بِشُعَاعِ نُورِه عَنْ نَوَاظِرِ خَلْقِه**»[١]، «وأبي أن يُجري الإشياء إلاّ بأسبابها»[٢]، وهو المحتجب وحجبه الأسباب كما روي: «**هو المحتجب ونحن حجبه**»[٣]، فهم عليهم السلام حجبه وحججه وخلفاؤه في مقام الأبواب والإمامة، فجعلهم سبحانه أبوابه في إفاضة فيوضه إلى ما

---

١ ـ دعاء الاحتجاب أو الحجب، عن النبي صلى الله عليه وآله، مهج الدعوات: ص ١٠٠، البلد الأمين: ص ٣٧٥، مصباح الكفعمي: ص ٣١٤.

٢ ـ قال أبو عبد الله عليه السلام: «أبى الله أن يجري الأشياء إلاّ بالأسباب، فجعل لكل شيء سبباً، وجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكل شرح مفتاحاً، وجعل لكل مفتاح علماً، وجعل لكل علم باباً ناطقاً، من عرفه عرف الله ومن أنكره أنكر الله ذلك رسول الله ونحن». الكافي: ج ١ ص ١٨٣ ح ٧، بصائر الدرجات: ص ٦ و ٥٠٥ ح ٢، مختصر البصائر: ص ١٨٣ ح ١٦٢.

٣ ـ عن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، الهداية الكبرى: ص ٤٣٥ ب ١٤.

سواه، وإيصال أمره إلى ما عداه في التكوين والتشريع، وأمر بإتيان الأبواب بقوله: ﴿**وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا**﴾، فهم عليهم السلام (الباب المبتلي به الناس، من أتاهم فقد نجي ومن لم يأتهم فقد هلك)... وهم عليهم السلام أبوابه سبحانه إلى خلقه في الإفاضة، وأئمة الخلق إلى الله في الاستفاضة، والاقتداء بهم والإطاعة لهم عليهم السلام، قال تعالى.. ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾، وقالوا في الزيارات [الجامعة]: «**مَنْ أَطَاعَكُمْ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَاكُمْ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ**».

[مقامات وساطتهم وإمامتهم عليهم السلام]

بالجملة، [لهم عليهم السلام اثنا عشر مقاماً:]

فأول مقام وساطتهم وإمامتهم في مقام الفؤاد[1]:

---

١ ـ وهو ـ كما قال الشيخ الأوحد (أعلى الله مقامه) ـ الحقيقة الأولى التي هي حقيقة العبد من ربه وهي النور... التي من عرفها عرف ربّه، وهي وجوده من الله تعالى المعبّر عنها بالنور التي خلق منها... وهي النفس العليا.. فإنها الرتبة الأولى السابقة، وهم أصحاب اليمين في الجنة. انظر: شرح العرشية: ج ٣ص ١٩١ طبع كرمان، ج ٣ ص ٨ طبع بيروت.

وهو حقيقته من ربّه، وهو المعبّر عنه بالوجود، وبالنور الذي خلق منه، وبنور الله الذي ينظر به المؤمن. شرح الزيارة الجامعة الكبيرة: ج ٤ ص ٢٢١ في شرح «فَإنّي لَكُمْ مُطِيعٌ...».

فهم عليهم السلام أئمة لأهل الفؤاد[١]، وهم مؤتمّون بهم، مقتدون، مطيعون لهم، صادرون عن أمرهم ونهيهم، آخذون عنهم، معرضون عن غيرهم، وهم حقائق الكعبة، والقبلة للأنام[٢]، وهم يسبحون الله بأسمائه، وهم

---

١ ـ قال الشيخ الأوحد (أعلى الله مقامه): الصدور هي مقر العلوم التي صور الأشياء وأحوالهم وأفعالهم وأعمالهم وأقوالهم.. والقلوب في الصدور كالبيوت في الدور... والمعارف المحضة المجردة عن الصور وعن المعاني لا تتجلى إلاّ في الأفئدة فتنبعث عنها المحبّة بلا إشارة ولا كيف. والقلب يطلق على الفؤاد وبالعكس، إلا أنه بحسب ظاهر اللغة، وأما في اللغة الخاصة فالفؤاد روح القلب والقلب وجهه و ظاهره. انظر: شرح العرشية: ج٣ ص ٢٤٢ طبع كرمان، ج ٣ ص ٣٤٨ طبع بيروت.

فكل مخلوق جزءان: الجزء الأعلى هو الوجود وهو جهة ذلك الشيء من ربه.. والجزء الأسفل هو ماهيته، وهو جهته من نفسه، فإذا تكلّمت في الوجود المخلوق فأنت تتكلّم في جزء الشيء. واعلم أن هذا الجزء الشريف يسمى في عرف أئمتنا عليهم السلام بالفؤاد، وهو معنى قول الصادق عليه السلام: «واذا انجلي ضياء المعرفة في الفؤاد أحب، وإذا أحب لم يؤثّر ما سوى الله عليه» نقلته بالمعنى. [«وإذا تجلى ضياء المعرفة في الفؤاد هاج ريح المحبة، وإذا هاج ريح المحبة استأنس في ظلال المحبوب وآثر المحبوب على ما سواه». مصباح الشريعة: ص ١١٩ ـ ١٢٠] و بنور الله في مثل قول أميرالمؤمنين عليه السلام: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله». قال الصادق عليه السلام «يعني بنوره». شرح المشاعر: ص ٥ طبع كرمان، ج ١ ص ١٣٨ طبع بيروت، جوامع الكلم: ج ٣ ص ٧٥ طبع البصرة.

٢ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام في خبر قال: «ونحن البلد الحرام ونحن كعبة الله ونحن قبلة الله». تأويل الآيات الظاهرة: ٢٢، ونحوه في مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ١٢٣، الصراط المستقيم: ج ٢ ص ٧٥ع عن ابن جبر في نخبه.

أسماؤه[١] (جل جلاله وعم نواله)، وهم عليهم السلام جلاله الظاهر لهم[٢]، ونواله العام الشامل، ونوره الفاضل الفاصل، [وهم] المفرّقون بين الحق والباطل، والباقي والزائل، والمُحلّى والعاطل، (يَهْدُونَ بِأمْرِه وبه يَعْدِلُونَ)[٣]، فصار تفريقهم تفريق الله بين النور والديجور والظل والحرور، بحيث لم يبق لذي حجة حجة ولذي مقال مقال؛ لإتمامهم النور وإبلاغهم وإيضاحهم كمال الظهور، حتى خُوطبوا بالخطاب بلسان أولئك الأبواب... وكلامهم نورٌ على جبل الطور، واندكّ الجبل وخرّ موسى صعقاً[٤]؛ لشدة (ظهور الظاهر في

---

١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «نحن ـ والله ـ الأسماء الحسنى الذي لا يقبل الله من أحد إلا بمعرفتنا». الكافي: ج ١ ص ١٤٤ ح ٤، تفسير العياشي: ج ٢ ص ٤٢ ح ١١٩.

وفي حديث طويل عن سلمان، عن علي عليه السلام: «نحن الأسماء الحسني التي إذا سُئل الله (عزّ وجل) بها أجاب». المحتضر: ص ١٣٦.

٢ ـ قيل للحسن بن علي عليهما السلام: إن فيك عظمةً! فقال: «بل فيَّ عزةٌ، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾». تحف العقول: ص ٢٣٤، مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٣.

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾. سورة الأعراف، الآية ١٥٩.

٤ ـ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً﴾. الأعراف، الآية ١٣٤.

لأن نور الله تعالى قد تجلى في محمد وآله (صلوات الله عليهم) كما ورد في الكافي: ج ١ ص ١٩٤ (باب أن الأئمة عليهم السلام نور الله) وفيه ٦ روايات.

قال الشيخ الأوحد (أعلى الله مقامه): لمّا سأله موسي عليه السلام ما سأله، قال له: ﴿انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ فأمر رجلاً من الكروبين من شيعة علي عليه السلام من الخلق الأول الذين «لو قُسّم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم» فأمر ذلك الرجل منهم وكان «نوره من نور الستر بقدر الدّرهم» أو «بقدر سَمِّ الأبرة» فتقطّع الجبل. انظر: شرح ←

➔

الزيارة الجامعة الكبيرة: ج ٤ ص ١٦٥ في شرح قوله: «وَالشَّفَاعَةَ المَقْبُولَةُ».

وفي الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام: «إنّ الكرّوبيّين قوم من شيعتنا من الخلق الأوّل جعلهم الله خلف العرش لو قُسّم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم، ثمّ قال: إنّ موسى عليه السلام لما أن سأل ربّه ما سأل أمر رجلاً من الكرّوبيّين فتجلّى للجبل فجعله دكّاً». السرائر (المستطرفات): ج ٣ ص ٥٦٩.

قال السيد الرشتي (أعلى الله مقامه): فإذا كان هذا النور من رجل من شيعتهم عليهم السلام فما ظنّك بنورالإمام عليه السلام نفسه؟! جواهر الحكم: ج ١٥ ص ١١٢ (مواعظ ١ شهر رمضان ١٢٥٧ هـ).

ويمكن أن يكون هذا النور الذي تجلى لجبل الطور كلاماً مع موسى عليه السلام هو نور علي عليه السلام، فإن الله (جل وعلا) لا صوت له ولا كلام وإنما خلق الصوت والكلام، وكان أحب الأصوات لأحب خلقه صلى الله عليه وآله وسلم صوتَ علي عليه السلام، كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لما كانت الليلة التي أسري بي إلى السماء، وقف جبرئيل في مقامه، وغبت عن تحية كل ملك وكلامه، وصرت بمقام انقطع عني فيه الأصوات، وتساوى عندي الأحياء و الأموات، اضطرب قلبي وتضاعف كربي، فسمعت مناديا ينادي بلغة علي بن أبي طالب: قف يا محمد! فإن ربك يصلي. قلت: كيف يصلي، وهو غني عن الصلاة لأحد؟ وكيف بلغ عليٌّ هذا المقام؟ فقال الله تعالى: اقرأ يا محمد: ﴿هُوَ الَّذي يُصَلّي عَلَيْكُمْ وَ مَلائكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ منَ الظُّلُماتِ إلَى النُّورِ﴾، وصلاتي رحمة لك ولأمتك، فأما سماعك صوت عليٍ فإن أخاك موسى بن عمران لما جاء جبل الطور وعاين ما عاين من عظم الأمور، أذهله ما رآه عما يُلقى إليه، فشغلته عن الهيبة بذكر الله أحب الأشياء إليه و هي العصا، إذ قلت له: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾؟ ولما كان عليٌّ أحبَّ الناس إليك، ناديناك بلغته وكلامه؛ ليسكن ما بقلبك من الرعب، ولتفهم ما يلقى إليك...». تفسير البرهان: ج٣ في الآيات ١٤ ـ ١٨ سورة طه ص ١٦٩ ح ١٦، مدينة المعاجز: ج ٢ ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤ ح ٦٢٧.

الظهور والمنير في النور)[١]، لأنه أنور من نوره وأظهر من ظهوره، «**أَنْتَ دَلَلْتَني عَلَيْكَ، وَدَعَوْتَني إلَيْكَ، وَلَوْ لاَ أَنْتَ لَمْ أَدْرِ مَا أَنْتَ**»[٢]، «**مَتَى غِبْتَ حَتَّى تَحْتَاجَ إلَى دَليلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ، وَمَتَى بَعُدْتَ حَتَّى تَكُونَ الآثَارُ هيَ الَّتي تُوصِلُ إلَيْك، عَميَتْ عَيْنٌ لاَ تَزَالُ تَرَاكَ**[٣] **عَلَيْهَا رَقيباً، وَخَسَرَتْ صَفْقَةُ عَبْدٍ لَمْ تَجْعَلْ لَهُ منْ حُبِّكَ نَصيباً**»[٤]، «**لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان**»[٥]...

ثم المقام الثاني لوساطتهم وإمامتهم عليهم السلام :

مقام العقل، فهم عليهم السلام خلفاؤه بين العقول لنيل المأمول، وهم أئمة للعقول، وهم المقتدون، فمن وافق عقلُه عقلَهم، فهو مستنير بنورهم (وأمامه اليقين)[٦]، ومن خالف عقله عقلهم عليهم السلام فهو أهل الظن والتخمين وقد هوى في مهاوي السجّين وقد انقلب عقله جهلاً بوساوس الشياطين المغيّرين

١ـ راجع الهامش رقم ٣ من صفحة ٧٩.

٢ـ فقرة من دعاء أبي حمزة رحمه الله، مصباح المتهجد: ص٥٨٢، إقبال الأعمال: ص ٣٣٥، البلد الأمين: ص ٢٠٥، مصباح الكفعمي: ص ٦٩٠.

٣ ـ في الشرح المطبوع: (لا تراكَ ـ ولا تزالُ ـ عليها).

٤ ـ إقبال الأعمال: ص ٦٦٠.

٥ ـ التوحيد: ص ١٠٨ ب ٨ ح ٥، .

٦ ـ عن الباقر عليه السلام: «نحن المثاني التي أعطاها الله نبينا صلى الله عليه وآله ونحن وجه الله نتقلب في الأرض بين أظهركم، عرفنا من عرفنا، ومن جَهلنا فأمامه اليقين». التوحيد: ص ١٥٠ ب ١٢ ح ٦. واليقين: هو الموت، أو أنّه يتيقّن بعد الموت ورفع الشبهات. مرآة العقول: ج ٢ ص ١١٥.

للفطرة الأصيلة ﴿فِطْرَتَ اللَّه الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، وقد أبلغ الله سبحانه أمره إليهم بألسنة أولئك الهادين عليهم السلام، وألسنتهم لسان الله المتين، وبلّغوا عن الله سبحانه قوله... ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّه﴾، الذي هو الفطرة الأصلية الأصيلة...

وهم الشجرة الطيبة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾، وشجرة طوبي اصلها ثابت في دارهم عليهم السلام.

والفطرة المغيرة بتغيير الشياطين شجرة ﴿خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾... ولهم عليهم السلام (في كل خلف عدول ينفون عن دينهم تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)[1]، وهم (القرى الظاهرة)[2] للسالكين بينهم وبين القري المباركة عليهم السلام آمنين من مكائد الشياطين الذين لهم أولياء في كل آن وحين في دولة الباطل...

---

١ ـ عن الصادق عليه السلام، بصائر الدرجات: ص ١٠ و ١١ ح ١ و ٣، الكافي: ج ١ ص ٣٢ ح ٢.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بارَكْنا فِيها قُرىً ظاهِرَةً﴾. سبأ، الآية ١٨.

عن أبي حمزة الثمالي، قال: دخل قاضٍ من قُضاة أهل الكوفة على علي بن الحسين عليهما السلام وسأله عن الآية فقال: «إنما عنى الرجال». قال: جُعلنا فداك، فمن هم؟ قال: «نحن هم». الاحتجاج: ج ٢ ص ١٣٩ في (احتجاجه عليه السلام في أشياء شتى من علوم الدين).

وروي: دخل الحسن البصري على الباقر عليه السلام فقال له: «يا أخا أهل البصرة! بلغني أنك فسّرت آية من كتاب الله على غير ما أنزلت! فإن كنتَ فعلتَ فقد هلكتَ واستهلكتَ». قال: وما هي جُعلت فداك؟ فتلى الآية ووبّخه... ثم مكث عليه السلام ملياً، ثم أومأ بيده إلى صدره وقال: «نحن القرى التي بارك الله فيها... الخبر». تأويل الآيات الظاهرة: ج ٢ ص ٤٦٢ ح ٢، الاحتجاج: ج ٢ ص ١٣٦ في (احتجاجه عليه السلام في أشياء شتى من علوم الدين).

←

والمقام الثالث لمقام وساطتهم وإمامتهم عليهم السلام:

مقام الروح الملكوتي، وهم حجج الله سبحانه وخلفاؤه بين الروحانيين وأئمة لهم في التلقّي والأخذ عنهم معالم دينهم من أوامر رب العالمين وهم الكروبيون، لشدة قربهم إليهم عليهم السلام وعصمتهم عن مخالفتهم ومسارعتهم في امتثال أوامرهم ونواهيهم.

والمقام الرابع:

مقام وساطتهم وخلافتهم عليهم السلام للناس أجمعين، و[أنهم] أئمة لهم جميعاً، ولهم الأمر والنهي، وعلى من سواهم ـ كائناً ما كان ـ الإطاعة... لقوله تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾.

والمقام الخامس:

مقام وساطتهم في عالم الطبائع الغيبية غير الطبائع الشهودية، وهو مرتبة الجن، فهم عليهم السلام أئمة لهم، وهم مقتدون [بهم] والمتخلف منهم كالمتخلف من الإنس، وقد أخبر عنهم بقوله: ﴿**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً...**﴾ إلى آخر السورة المباركة.

ثم المقام السادس:

→

و دخل على أبي عبد الله عليه السلام بعض من يفسر القرآن فقال له في معنى الآية: «ذاك نحن أهل البيت، قد سمّاكم الله أناساً، و سمانا قرى». تأويل الآيات الظاهرة: ج ٢ ص ٤٦١ ح ١.

روي فيما كتبه الصاحب رجي: «نحن ـ والله ـ القرى التي بارك الله فيها وأنتم القرى الظاهرة». كمال الدين: ص ٤٨٣ ب ٤٢ ح ٢، الغيبة (للطوسي): ص ٣٤٦.

مقام وساطتهم بين الله وبين الملائكة الساكنين في عالم المواد الغيبية غير المواد الشهودية[١]، فهم صادرون عن أمرهم عليهم السلام، معصومون عن مخالفتهم، فلا يتحركون ولا يسكنون ولا ينزلون ولا يصعدون ولا يفعلون ولا يتركون إلاّ باذنهم وأمرهم عليهم السلام[٢].

---

١ ـ وساطتهم عليهم السلام لكونهم أفضل من الملائكة، ولكونهم المقدّمون عند الله تعالى، ولولاهم لم يكن للملائكة فضل، وهذا ما سأل عنه الصحابةُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم، «قالوا له: يا رسول الله، أخبرنا عن علي، أهو أفضل أم ملائكة الله المقربون؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: وهل شُرّفت الملائكة إلاّ بحبها لمحمد وعلي، وقبولها لولايتهما؟». تفسير الإمام العسكري: ص ٣٨٣، الاحتجاج: ج ١ ص ١٢٣ ففي (احتجاجه صلى الله عليه وآله وسلم على المنافين).

٢ ـ سأل المقداد بن الأسود أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا مولاي! وأمر الملأ الأعلى إليك؟ فقال: «أنا حجّة الله على خلقه من أهل سماواته وأرضه، وما في السماء من ملك يخطو قدماً عن قدم إلاّ بإذني». مشارق أنوار اليقين: ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥.

وعن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إذا كان عليّ يدخل الجنّة محبّه والنار عدوّه فأين مالك ورضوان إذاً؟ فقال: «يا مفضل! أليس الخلائق كلّهم يوم القيامة بأمر محمد؟». قلت: بلى، قال: «فعليٌ يوم القيامة قسيم الجنّة والنار بأمر محمد، ومالك ورضوان أمرهما إليه، خذها يا مفضل فإنّها من مكنون العلم و مخزونه». مشارق أنوار اليقين: ص ٢٨٨.

وفي حديث البساط برواية الحسن بن سليمان الحلي رحمه الله من كتاب (منهج التحقيق إلى سواء الطريق) عن سلمان رضي الله عنه قال: ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام أمر الريح فسارت بنا إلى جبل قاف، فانتهينا إليه، وإذا هو من زمردة خضراء، وعليها ملك على صورة النسر، فلما نظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال الملك: السلام عليك يا وصي رسول الله وخليفته، أتأذن لي في الكلام؟ فرد عليه السلام، وقال له: «إن شئت تكلم، وإن شئت أخبرتك عما تسألني

←

عنه». فقال الملك: بل تقول أنت يا أمير المؤمنين، فقال: «تريد أن آذن لك أن تزور الخضر عليه السلام»، قال: نعم، فقال عليه السلام: «قد أذنت لك». فأسرع الملك بعد أن قال: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم مشينا على الجبل هنيئة، فإذا بالملك قد عاد إلى مكانه بعد زيارة الخضر عليه السلام، فقال سلمان: يا أمير المؤمنين رأيت الملك ما زار الخضر إلاّ حين أخذ الإذن. فقال عليه السلام: «يا سلمان! والذي رفع السماء بغير عمد، لو أن أحدهم رام أن يزول من مكانه بقدر نفس واحد لما زال حتى آذن له، وكذلك يصير حال ولدي الحسن وبعده الحسين تاسعهم قائمهم». المحتضر: ص ١٣٣، مدينة المعاجز: ج ١ ص ٥٥٣ ـ ٥٥٤، بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ٣٦.

وقال سلمان رضي الله عنه: ورأينا في الهواء ملكاً رأسه تحت الشمس ورجلاه في قعر البحور ويده في المغرب والأخرى في المشرق، فلما خبرنا به قال: (لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّك وصيّه حقّاً لا شكّ فيك، ومن شكّ فيك فهو كافر). فقلنا: يا أمير المؤمنين! من هذا الملك؟ وما بال يده في المغرب وأخرى في المشرق؟ فقال عليه السلام: «أنا أقمته بإذن الله هاهنا، ووكلته بظلمات الليل وضوء النّهار، ولا يزال كذلك إلى يوم القيامة». حديقة الشيعة (للمقدس الأردبيلي): ج ٢ ص ٥٢٥، شرح حديث الغمامة (القاضي سعيد القمي): ص ١٣٤ ـ ١٣٦، صحيفة الأبرار: ج ٢ الحديث ٤٥ ص ٧٢، منهاج البراعة (للميرزا الخوئي): ج ٦ ص ٢٣٠.

ويناسب المقام أن ننقل ما روى صاحب (بستان الكرامة) من تصرّف علي عليه السلام مع الملائكة: أن النبي صلى الله عليه وآله كان جالساً وعنده جبرائيل فدخل علي عليه السلام فقام له جبرائيل، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «أتقوم لهذا الفتى؟». فقال له: نعم، إن له عليَّ حق التعليم. فقال النبي صلى الله عليه وآله: «كيف ذلك التعليم يا جبرائيل؟» فقال: لما خلقني الله تعالى سألني: من أنت وما أسمك ومن أنا وما اسمي؟ فتحيرت في الجواب وبقيت ساكتاً، ثم حضر هذا الشاب في عالم الأنوار وعلّمني الجواب، فقال: «قل: أنت ربي الجليل، واسمك الجليل، وأنا العبد الذليل،

ثم المقام السابع:

مقام وساطتهم وإمامتهم لأهل جابلقا وجابرسا[1]، وكل واحد منهم عليهم السلام في حال حياته ساكن في المدينتين.. وهما الآن مسكن مولانا صاحب

→

واسمي جبرائيل». ولهذا قمت له وعظّمته. الأنوار النعمانية: ج ١ ص ١٥.

١ ـ رسموها في بعض الكتب: جابلقا وجابلسا، وأيضاً:جابلَق وجابلَس، وجابلَص، وجابرَص، وجابرَس، قال أهل اللغة: هما قريتان إحداهما بالمغرب والأخرى بالمشرق. كتاب العين: ج ٥ ص ٢٤٣، تهذيب اللغة: ج ٩ ص ٢٨٦، المغرب في ترتيب المعرب: ج ١ ص ١٢٩.

وذكر ياقوت الحموي عن ابن عباس أن في كل واحدة منهما بقايا ولد موسى عليه السلام. معجم البلدان: ج ٢ ص ٩١.

وورد ذكرهما في كثير من الأخبار والروايات على لسان المعصومين عليهم السلام، فقد روى المفضل عن الصادق عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام ذكر أنه يأتيهما في الرجعة وينصب رحى الحرب. الهداية الكبرى: ص ٤٣١ ب ١٤.

وعنه عليه السلام: «فيهما قوم لا يعرفون إبليس ولا يعلمون بخلق إبليس، نلقاهم في كلّ حين فيسألونا عمّا يحتاجون إليه [ويسألونا عن الدعاء] فنعلّمهم، ويسألونا عن قائمنا متى يظهر، وفيهم عبادة واجتهاد شديد... إلى أن قال ـ وهما مدينتان واحدة بالمشرق وواحدة بالمغرب، لا يأتون على أهل دين إلاّ دعوهم إلى الله تعالى وإلى الإسلام والتوحيد والإقرار بمحمّد صلى الله عليه وآله وولايتنا أهل البيت». بصائر الدرجات: ص ٤٩١ ــ ٤٩٢ ح ٤، المحتضر: ص ١٨٣ ـ ١٨٥ ح ٢٢٣.

روى ابن شهرآشوب رحمه الله أن الحسن عليه السلام قال في صلح معاوية: «أيها الناس! إنكم لو طلبتم ما بين جابلقا وجابرسا رجلاً جده رسول الله ما وجدتم غيري وغير أخي». مناقب آل أبي

←

الزمان[1] (عليه وعلى آبائه الكرام صلوات الملك المنان).

←

طالب: ج ٤ ص ٣٩.

وروى الشيخ المفيد رحمه الله عن الحسين عليه السلام أنه قال لأصحاب ابن زياد: «ما بالكم تناصرون عليَّ؟ أمَ والله لئن قتلتموني لتقتلن حجة الله عليكم، لا والله ما بين ما بين جابلقا وجابرسا ابن نبي احتجَّ اللّهُ به عليكم غيري». الإرشاد: ج ٢ ص ٢٩.

وقال التفتازاني: وهما مدينتان عظيمتان، لكل منهما ألف باب لا يحصى ما فيهما من الخلائق. شرح المقاصد: ج ٣ ص ٣٧٢ في المبحث الثالث.

وقال المجلسي: يقال إن فيهما أو في إحداهما أصحاب القائم عليه السلام. والصوفية والمتألّهون من الحكماء أولوا أكثر هذه الأخبار بعالم المثال. بحار الأنوار: ج ٥٤ ص ٣٥١.

وقال رحمه الله أيضاً: وليس وجود القريتين على الصفتين ممتنعا في قدرة الله تعالى، ولم يحط أحد سوى المعصومين والمؤيَّدين من عند الله تعالى بجميع الأرض حتى يمكنه نفي ذلك... مرآة العقول: ج ٥ ص ٣٥٧.

١ ـ انظر: لوامع صاحبقراني (للتقي المجلسي): ج ٦ ص ١٦٠، تذكرة الأئمة: ص ٣٢٤.

قال المصنف (أعلى الله مقامه): ولم يوجد آية أو حديث ولو ضعيفاً أو متشابهاً على أنه عليه السلام خلعَ لباسه العنصري. نعم، له التصرف فيه كيف ما يشاء وأراد، شيخاً أو شاباً، أو واحداً أو متعدداً، كما فعل آباؤه عليهم السلام. الرسائل: ج ٣ ص ٨٢.

وقال الشيخ الأوحد (أعلى الله مقامه) بأنه عجل الله فرجه الشريف في هذا العالم الذي نحن فيه، ويمشي في الأرض ولكن لا يُعرف. جوامع الكلم (العصمة والرجعة): ج٥ ص ٣٣٠.

وقال أيضاً: إن العالَم لا يجوز أن يخلو من قطبٍ وغوثٍ هو محل نظر الله من العالم، وللأخبار المتواترة معنىً بذلك، وإن كان مستتراً بعينه عنهم فإن نور وجوده في قلوبهم، ولقد ورد في الأثر المعتبر «أنهم ينتفعون في غيبته بوجوده كما ينتفع الناس بضوء الشمس إذا غيّبها السحاب»... الخ. جوامع الكلم: ج ٥ ص ١٦٦في (جواب السيد شريف).

←

وأهلهما منتظرون لإذنه عليه السلام للخروج والظهور بسلاحهم وسيوفهم[١]..

ثم المقام الثامن:

←

وقال السيد الرشتي (أعلى الله مقامه): وهو عليه السلام في هذه النشأة الشهودية مع الخلق وإلاّ لساخت الأرض بأهلها، إلاّ أنه عليه السلام ليس متوسّخاً بأوساخها وأعراضها... لا أنه ليس في الأرض. جواهر الحكم: ج ١٣ ص ٣٢٦ و ٣٢٧ في (جواب الميرزا إبراهيم التبريزي).

وقال الحاج محمد كريم (أعلى الله مقامه): لا شك ولا ريب أن الغائب المنتظر عجل الله فرجه الشريف هو حي باقٍ لم تفارق روحه جسده، وبينه وبين آبائه فرقٌ البتة، وأن آباءه عليهم السلام ماتوا بحسب الظاهر وفارقت أرواحهم أبدانهم ظاهراً وإن لم يكن ميّتهم كسائر الموتى، وأما الحجة عليه السلام فليس كذلك، ولم تفارق روحه جسده ظاهراً، وهو حيٌّ باقٍ، وهو محل عناية الله من هذا العالم، وقطب هذا العالم.مجموعة الرسائل: ج ٦٧ ص ٣٣٩ (في أمر الجن).

وقال أيضاً: والشيعة الاثنا عشرية مجمعون مقرّون على وجوب خليفة لله في أرضه، ومجمعون على أنه موجود إلى الآن... ـ إلى أن قال ـ وكذلك اليوم أمر الشيعة سلطانهم موجود غائب... وقد خرج من أحاديثه إلى شيعته وأمره ونهيه ما خرج، وقرر من أحاديث آبائه عليهم السلام ما قرر... فهو موجود، وتصرّفه ثابت موجود بلا تفاوت مع أيام ظهوره... الخ. الفطرة السليمة: ج ٣ ص ٤٥ ـ ٤٦ (فصل في فائدة وجود الحجة عجل الله فرجه الشريف بين الخلق).

١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام: «منهم جماعة لم يضعوا السلاح منذ كانوا ينتظرون قائمنا، يدعون الله (عز وجل) أن يريهم إياه.. إذا رأيتهم رأيت الخشوع والاستكانة وطلب ما يقرّبهم إلى الله (عز وجل) ... الخبر». مختصر البصائر: ص ٦٩ ح ٣٩.

وعنه عليه السلام: «إنّ لله تعالى بالمشرق مدينة يقال لها جابلقا، لها إثنا عشر ألف باب من ذهب ما بين كلّ باب إلى صاحبه فرسخ، على كل باب برج فيه إثنا عشر ألف مقاتل يهيّؤون الخيل ويشهرون السيوف والسلاح ينتظرون قيام قائمنا، وإنّي الحجّة عليهم». انظر: المحتضر: ص ١٨٤ ح ٢٢٢.

مقام وساطتهم وإمامتهم للحيوانات، فكل جنس منها آمنت بهم عليهم السلام صارت طيبات، كالأنعام والحمام، وكل متمرد منها صارت خبيثات، كالمسوخات والكلاب والخنازير، وقد صرحت بذلك أخبار موافقة للكتاب والسنة الجامعة[1]، وإن كانت بأنفسها محل حيرة المتحيرين وتأمل المتأملين واستبعاد المستبعدين وإنكار المنكرين..

ثم المقام التاسع:

مقام وساطتهم وإمامتهم للنباتات، فالمؤمنات بهم عليهم السلام صارت طيبات، والكافرات صارت خبيثات[2].

---

١ ـ عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كل شيء أسمع وأطوع لنا وأعرف بحقنا من هذه الأمة». الهداية الكبرى: ص ٢٤١.

وعن محمد بن مسلم، عنه عليه السلام قال: «يا ابن مسلم، كل شيء خلقه الله من طير أو بهيمة أو شيء فيه روح فإنه أطوع لنا وأسمع من ابن آدم». مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٢٠٧.

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام في خبر طويل في فضل يوم الغدير قال: «وفي يوم الغدير عرض الله الولاية على أهل السماوات السبع... ـ إلى أن قال ـ ثم عرضها في ذلك اليوم على الطير فما قبلها صار فصيحاً مصوتاً وما أنكرها صار أحر ألكن». إقبال الأعمال: ص ٧٧٩.

وفي بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ٢٦١ (باب ١٦: ما يحبهم عليهم السلام من الدواب والطيور...).

٢ ـ عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في خبر يوم الغدير المتقدم قال: «وعرضها في ذلك اليوم على النبات فما قبله صار حلوا طيباً، وما لم يقبل صار مراً... الخبر». إقبال الأعمال: ص ٧٧٩.

وعنه عليه السلام قال: أخبرني أبي عن أبيه عن جده أن أمير المؤمنين عليه السلام أخذ بطيخة ليأكلها فوجدها مرّة فرمى بها وقال: بُعداً وسحقاً، فقيل: يا أمير المؤمنين وما هذه البطيخة؟ فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله (تبارك وتعالى) أخذ عقد مودتنا على كل حيوان ونبت، فما ←

ثم المقام العاشر:

مقام وساطتهم وإمامتهم عليهم السلام للجمادات[1]، فالمؤمنات منها صارت محلاً للبركات كالأماكن المشرفة ومواضع العبادات والمساجد، والكافرات صارت خبيثات كالأراضي السبخة والأماكن النجسة والمرابض والمزابل والكنائف والبالوعات.

ثم المقام الحادي عشر:

مقام وساطتهم وإمامتهم للبسائط والأصول والآباء العُلويّة والأمهات

→

قبل الميثاق كان عذباً طيباً، وما لم يقبل الميثاق كان مالحاً زعاقاً». علل الشرائع: ص ٤٦٤ ب ٢٢٢ ح ١٠، مختصر البصائر: ص ٥١٢ ح ١٥.

وعن النبي صلى الله عليه وآله في الباذنجان: «شجرة رأيتها في جنة المأوى، شهدت لله بالحق، ولي بالنبوة، ولعلي بالولاية...». مكارم الأخلاق: ص ١٨٤، فردوس الأخبار: ج ٣ ص ٢٤٤ ح ٤٧٢٠.

١ ـ قال علي لرسول الله صلى الله عليه وآله «بم أتختم يا رسول الله؟ قال: بالعقيق الأحمر؛ فإنّه أقرّ لله (عز وجل) بالوحدانية ولي بالنبوة، ولك ـ يا علي ـ بالوصية، ولولدك بالإمامة...». علل الشرائع: ص ١٥٨ ب ١٢٧ ح ٣، من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٧٤ في ذيل ح ٥٧٦٢.

وقال عليه السلام: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله: تختموا بالعقيق، فإنّه أوّل جبلٍ أقرّ لله بالوحدانية ولي بالنبوة ولك ـ يا علي ـ بالوصية». عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ٧٠ ب ٣١ ح ٣٢٥.

عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في خبر يوم الغدير المتقدم: «وعرضها على الجبال فأول جبل أقر بذلك ثلاثة أجبال: العقيق وجبل الفيروز وجبل الياقوت، فصارت هذه الجبال جبالهن وأفضل الجواهر، وسبقت إليها جبال أخر فصارت معادن الذهب والفضة، وما لم يقرّ بذلك ولم يقبل صارت لا تنبت شيئاً، وعرضت في ذلك اليوم على المياه فما قبل منها صار عذباً، وما أنكر صار ملحاً أجاجاً...». إقبال الأعمال: ص ٧٧٩.

السُفليّة التي يتولّد منها المواليد من الجمادات والنباتات والحيوانات وظواهر الأناسي.

ثم المقام الثاني عشر:

مقام وساطتهم وإمامتهم عليهم السلام للأشباح والآثار الصادرة عن المؤثرات والأعراض العارضة للجواهر، كالأمراض والحميات، فمنها سعداء ومنها أشقياء بإقرارها وإنكارها، وقد وردت بذلك أخبار متكاثرة موافقة للكتاب المحكم والسنة المتقنة، أما الكتاب فكأمثال قوله تعالى: ﴿**إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾، فهي أعم الآيات في الاستدلال على ما نحن فيه، ولا مخصص لها، والتخصيص لها بالآراء تخصيصٌ وتفسير بالرأي، وقد نَهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك في قوله المتواتر: «**من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار**»[1].

وقوله تعالى: ﴿**كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ**﴾، وهي أيضاً كسابقها في العموم.

---

١ ـ عوالي اللئالي: ج ٤ ص ١٠٤ ح ١٥٤، وروى الصدوق رحمه الله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ومن فسّر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب». كمال الدين: ص ٢٥٧ ب ٢٤ ح ١.

وفي روايات العامّة: (من قال في القرآن برأيه) و (من قال في كتاب الله برأيه) و (من تكلم في القرآن برأيه). فلاحظ سنن الترمذي والنسائي وأبي داود، وتفسير القرطبي والطبري، والجامع الصغير للسيوطي... وغيرها.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّه يَسْجُدُ مَن فِي السِّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهًا وَظِلاَلُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾، فقد صرّح سبحانه بسجود مَن في السموات والأرض وظلالهم. وظلالهم يسجدون له كأنفس الساجدين وإن تحيّر في سجودها المتحيرون؛ زعماً منهم بأنها غير ذوي عقول وشعور، ولكن لا يفقهون شعورها كما لا يفقهون تسبيحهم.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾.

ومن زعم عدم القول والشعور لها فقد محى زعمَه قولُه [تعالى] في قول الجوارح يوم القيامة: ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، فالجوارح شاعرون، ناطقون، سامعون أقوالَ ذوي الجوارح، ومجيبون.

وحملهما على ضرب من المجاز تفسير بالرأي[1]، [فإن قوله:] ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾، إخبارٌ من الله العليم الخبير عن حالهم.

---

١ ـ قال الشيخ المفيد رحمه الله: إن ما تضمنه القرآن من ذكر ذلك إنما هو على الاستعارة دون الحقيقة، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طائِعِينَ﴾ ولم يكن منهما نُطقٌ على التحقيق، وهذا مذهب أبي القاسم البلخي وجماعة من أهل العدل. انظر: أوائل المقالات: ص ١٢٥.

وقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ وَقالَ يا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ... ـ إلى قوله تعالى ـ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا... ـ إلى قوله تعالى ـ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ... ـ إلى قوله تعالى ـ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاَماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾.

فهل يسع لمسلم آمن بهذا القرآن أن يحمل جميع هذه الحكايات من سليمان ومن مكالماته مع النملة والهدهد وحمله[1] على تعليم الله سبحانه له منطق الطير وتبسّمه وضحكه من قول النملة وخطابها لسائر النمل بقولها:

---

١ ـ في النسخة المطبوعة: (وحمده).

﴿يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾، وسماع النمل صوتَها، وفهمهم خطابَها، وامتثالُهُم أمرَها، وشعور النملة بأن سليمان وجنوده يَحْطِمَنّهُم لو لم يدخلوا مساكنهم، أن يُحمل جميع ذلك على ضرب من المجاز من رأيه وهوى نفسه[1]، ولعمري إن

---

١ ـ قال السيد المرتضى رضي الله عنه: المسألة الثانية عشر: هذه المسألة تضمنت الاعتراض على تأويلنا فيما حكاه تعالى عن النملة والهدهد.. فأما الاستبعاد في النملة أن تنذر باقي النمل بالانصراف عن الموضع، والتعجب من فهم النملة عن الأخرى، ومن أن يخبر عنها بما نطق القرآن به.. فهو في غير موضعه، لأن البهيمة قد تفهم عن الأخرى بصوت يقع منها، أو فعل كثيرا من أغراضها. ولهذا نجد الطيور وكثيراً من البهائم يدعو الذكر منها الأنثى بضرب من الصوت، يفرق بينه وبين غيره من الأصوات التي لا تقتضي الدعاء.

والأمر في ضرب الحيوانات وفهم بعضاً عن بعض مرادها وأغراضها بفعلٍ يظهر أو صوتٍ يقع، أظهر من أن يخفى، والتغابي عن ذلك مكابرة. فما المنكر على هذا أن يفهم باقي النمل من تلك النملة التي حكى عنها ما حكى الإنذار والتخويف، فقد نرى مراراً نملة تستقبل أخرى وهي متوجهة إلى جهة، فإذا حاذتها وباشرتها عادت عن جهتها ورجعت معها.

وتلك الحكاية البليغة الطويلة لا تجب أن تكون النملة قائلة لها ولا ذاهبة إليها، وأنهما لما خوفت من الضرر الذي أشرف النمل عليه، جاز أن يقول الحاكي لهذه الحال تلك الحكاية البليغة المرتبة، لأنها لو كانت قائلة ناطقة ومخوّفة بلسانٍ وبيانٍ لما قالت إلا مثل ذلك. وقد يَحكي العربي عن الفارسي كلاماً مرتّباً مهذّباً ما نطق به الفارسي وإنما أشار إلى معناه. فقد زال التعجب من الموضعين معاً، وأي شئ أحسن وأبلغ وأدل على قوة البلاغة وحُسن التصرّف في الفصاحة من أن تُشعر نملةٌ لباقي النمل بالضرر لسليمان وجنده بما تُفهم به أمثالها عنها، فتحكي هذا المعنى ـ الذي هو التخويف والتنفير ـ بهذه

←

الألفاظ المُونقة والترتيب الرائق الصادق. وإنما يضل عن فهم هذه الأمور وسرعة الهجوم عليها مَن لا يعرف مواقع الكلام الفصيح ومراتبه ومذاهبه.

وقال أيضاً: المسألة التاسعة عشر: [حول تكلم هدهد سليمان عليه السلام وكيفية عذابه] وعلى هذا الوجه حكى الله تعالى عن الأمم الماضية من القبط وغيرهم، وعن موسى عليه السلام وفرعون، ولغتهما لغة القبط ما حكاه من المراجعات والمحاورات، وهم لم ينطقوا بهذه اللغة، وإنما نطقوا بمعانيها بلغتهم، فحكاه الله تعالى باللغة العربية وعفتها وقدسها. وهذا مزيل العجب من نطق الهدهد بذلك الكلام المرتب، لأنه لا يمتنع أن يكون ما نطق به بعينه، وإنما نطق بماله معناه. فإن قيل: فقد رجعتم عن مطلق القرآن، لأن حمل القول المحكي على أن المراد به ما ظهر من العلامات والدلالات، على ما أنشدتموه من الشعر مجاز غير حقيقة، وكذلك إضافة القول المترتب إلى من لم يقله من ترتيبه، وإنما قال ما له معناه أيضا مجاز، فقد هربتم من مجاز إلى مجاز، من أنكم امتنعتم من أن تسموا هدهداً عاقلاً كاملاً بمخالفة اللغة، وأنه عدول عن مقتضاها، فما أجبتم به أيضاً بهذه الصفة. قلنا: الفرق بين الأمرين واضح، فإن العادة قد جرت للعرب بما ذكرناه في الجواب الأول من المجاز، وهو في كلامهم وأشعارهم ظاهر شائع، حتى كاد يلحق بالحقيقة، وما جرت عادتهم باسم الهدهد وما أشبهه من البهائم شخصاً عاقلاً مكلفاً على سبيل الإفادة ولا التلقيب، فعدلنا عن مجاز [غير] معهود ولا مألوف إلى مجاز معهود مألوف. انتهى.

وحين سئل عن الأخبار الواردة في مدح أجناس من الطير والبهائم والمأكولات والأرضين وذم أجناس منها....الخ؟ قال رحمه الله: فأما حكايته تعالى عن سليمان عليه السلام... فالمراد به أنه علم ما يفهم به ما تنطق به الطير وتتداعى في أصواتها وأغراضها ومقاصدها بما يقع منها من صياح على سبيل المعجزة لسليمان عليه السلام، وأما الحكاية عن النملة... فقد يجوز أن يكون المراد به أنه ظهر منها دلالة القول على هذا المعنى، وأشعرت باقي النمل وخوفتهم من الضرر بالمقام، وأن النجاة في الهرب إلى مساكنها، فتكون إضافة القول إليه مجازا أو

ذلك تفسير بالرأي، وهو منهي عنه بالاتفاق من أهل الإسلام، وقد تكلم الذئاب والظباء والبعير وغيرها من سائر الحيوانات مع النبي والأئمة عليهم السلام في مواضع عديدة[١].

→

استعارة ، كما قال الشاعر : (وشكا إليَّ بعيرةٍ وتحمحم). انتهى. انظر: رسائل الشريف المرتضى: ج ١ مسألة ١٣ص ٣٥٥ ـ ٣٥٤، ومسألة ١٩ ص ٤٢٨، الأمالي: ج ٢ ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣ طبع مصر ١٣٧٣ هـ، ص ٢٩٦ طبع قم ١٤٢٩ هـ.

وقد تفطن لهذا من قبل العلامة المجلسي رحمه الله فقال ما ملخصه: اعلم أن رد الأخبار المستفيضة الواردة عن أئمة الأنام (عليهم الصلاة والسلام) بمحض استبعاد الأوهام أو تقليد الفلاسفة الذين استبدوا بالأحلام [أي العقول] ولم يؤمنوا بما جاءت به الأنبياء الكرام، لا يليق بالأفاضل الأعلام، كيف وقد ورد أمثالها في القرآن الكريم... وأي دليل دل على عدم شعورهم وإدراكهم للكلّيات وعدم تكلمهم ونطقهم؟ فإنّا كثيراً ما نسمع كلام بعض الناس وغيرهم ممن لا نفهم لغاتهم بوجه، فنظن أن كلامهم كأصوات الطيور لا نميز بين كلماتهم، ونتعجب من فهم بعضهم كلام بعض! والأخبار الدالة على أن لها تسبيحاً وذكراً، وأنها تعرف خالقها ومصالحها ومفاسدها أكثر من أن تُحصى... ولو سُلّم أن لا نطق ولا كلام لها فيمكن أن يُقْدِرَها الله على ذلك في بعض الأحيان؛ لإظهار معجزة النبي والإمام (صلوات الله عليهم).. وقد أشرنا لمن له غرام إلى فهم المرام... ولم نتعرض للرد والقبول حذراً من أن ينتهي القول إلى ما لا يرتضيه من (يَعرف الحق بالرجال).

ويُمكن تأويلُ كلامه بحيث لا يُنافي ما نَظن فيه ونعتقده من غاية العرفان، والله أعلم بحقيقة الحال. انتهى. بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ٢٧٣ ـ ٢٧٩.

١ ـ الروايات في هذا كثيرة وقد أورد الكثير منها مرتبة مبوّبة السيد هاشم البحراني رحمه الله في (مدينة المعاجز)، والحر العاملي رحمه الله في (إثبات الهداة)، وفي مناقب آل أبي طالب ج ١

←

←

ص ١٣١ ـ ١٣٩ (فصل في كلام الحيوانات) مع رسول الله صلى الله عليه وآله، قال الحر رحمه الله: والإعجاز أقسام؛ منها: الإخبار بالمغيبات.. ـ إلى أن قال ـ وكلام الحيوانات من الوحش والطير، وكلام الجمادات وحركاتها، واستنطاق الملائكة والجن... إثبات الهداة: ج ١ ص ٣٣.

ولا يفوتنا أن نورد بعضها منها هنا إتماماً للحجة وإبلاغاً للمحجة، ولا تأخذك الملالة من تعداها هنا؛ فإن لهم عليهم السلام أكثر مما نحصي وأزيد مما نعلم، وقد روي عن علي عليه السلام قال: «إن الله علمنا منطق الطير كما علمه سليمان بن داود، ومنطق كل دابة في بر أو بحر». بصائر الدرجات: ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤ ح ١٢.

وفي بصائر الدرجات: ص ٣٤١ (باب في الأئمة عليهم السلام أنهم يعرفون منطق الطير) فيه ٢٥ رواية. وأيضاً ص ٣٤٧ (باب في الأئمة عليهم السلام أنهم يعرفون منطق البهائم ويعرفونهم ويجيبونهم إذا دعوهم) وفيه ١٦ رواية. وأيضاً ص ٣٥٣ (باب الأئمة عليهم السلام أنهم يعرفون منطق المسوخ و يعرفونهم) وفيه روايتان.

كما روى أيضاً مثل ذلك في غير بصائر الدرجات، وإليك بعضها:

* عن أمّ سلمة رضي الله عنها قالت: «كان النبي صلى الله عليه وآله يمشي في الصحراء، فناداه مناد: يا رسول الله! مرتين، فالتفت فلم ير أحداً، ثم ناداه فالتفت فإذا هو بظبية موثّقة، فقالت: إن هذا الأعرابي صادني ولي خِشفان في ذلك الجبل، أطلقني حتى أذهب وأرضعهما وأرجع. فقال: «وتفعلين؟». قالت: نعم، إن لم أفعل عذّبني الله عذاب العَشّار، فأطلقها فذهبت فأرضعت خشفيها ثم رجعت فأوثقها فجاء الأعرابي، فقال: يا رسول الله أطلقها، فأطلقها، فخرجت تعدو وتقول: أشهد أن لا إله الا الله و أنك رسول الله. قصص الأنبياء (راوندي): ص ٣١٠.

* عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لما نفروا برسول الله صلى الله عليه وآله ناقته [ليلة العقبة] قالت له الناقة: والله لا أزلت خفّاً عن خفّ ولو قُطّعت إرباً إرباً». الكافي: ج ٨ ص ١٦٥ ح ١٧٨، بصائر الدرجات: ص ٣٦٨ ج٧ ب١٥ ح٦، الاختصاص: ص ٢٩٧.

* وعن علي عليه السلام في قصة اليهودية التي قدّمت للنبي صلى الله عليه وآله شاة مسمومة قال: «فلما وُضعت

←

➔

الشاة بين يديه تكلّمت كتفها، فقالت: مه يا محمد! لا تأكلني؛ فإني مسمومة... الخبر». الأمالي (للصدوق) : ص ٢٩٤ مجلس ٤٠ ح ٢.

* وعن محمد بن عمر، قال: رأيت محمد بن علي (الباقر) عليه السلام يُكلّم شاةً فتجيبه. دلائل الإمامة: ص ٣٩٩ ح ١٣، نوادر المعجزات: ص ١٨١ ب ١٠ ح ٦.

* وعن عبد الله بن محمد، قال: رأيت الحسن بن علي السراج (العسكري) عليه السلام تكلّم للذئب فكلمه... الخبر. دلائل الإمامة: ص ٤٢٦ ح ٢، نوادر المعجزات: ص ١٩٠ ب ١٢ ح ١.

* وعن محمد بن علي بن عمر التنوخي، قال: رأيت محمد بن علي (الباقر) عليه السلام وهو يكلم ثوراً فحرك الثور رأسه، فقلت: لا، ولكن تأمر الثور أن يكلمك. فقال: ﴿عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾، ثم قال للثور: «قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له». فقال. ثم مسح بكفه على رأسه. دلائل الإمامة: ص ٤٠٠ ح ١٧.

* وعن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كنت عنده يوما إذ وقع زوج ورشان على الحائط وهدلا هديلهما، فردّ أبو جعفر عليه السلام عليهما كلامهما ساعة، ثم نهضا.. الخبر». الكافي: ج ١ ص ٤٧١ ح ٤، بصائر الدرجات: ص ٣٦٢ ح ٥.

* وعن محمد بن مسلم، قال: كنت مع أبي جعفر عليه السلام بين مكة والمدينة وأنا أسير على حماري وهو على بغلته، إذ اقبل ذئب من رأس الجبل حتى انتهى إلى أبي جعفر عليه السلام فحبس البغلة، ودنا الذئب حتى وضع يده على قربوس السرج، ومد عنقه إلى أذنه، وأدنى أبو جعفر أذنه منه ساعة، ثم قال: «امض، فعلت». فرجع مهرولاً.. الخبر». بصائر الدرجات: ص ٣٧١ ح ٢٠، الاختصاص : ص ٣٠٠، مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٢٠٥، دلائل الإمامة: ص ٢٢٣ ح ١٣، كشف الغمة: ج ٢ ص ٣٥٣.

* وعن حمران بن أعين، قال: كان أبو محمد علي بن الحسين عليه السلام قاعداً في جماعة من أصحابه إذا جائته ظبية فتبصبصت وضربت بذنبها، فقال أبو محمد: أتدرون ما تقول الظبية؟ قالوا: لا، قال: تزعم أنّ فلان بن فلان ـ رجلاً من قريش ـ اصطاد خشفا لها في هذا

←

←

اليوم وإنما جاءت إلى تسئلني أن أسئله أن تضع الخشف بين يديها فترضعه. فقال علي بن الحسين لأصحابه: قوموا إليه، فقاموا بأجمعهم فاتوه فخرج إليهم، قال: فداك أبي وأمي، ما حاجتك؟ فقال: أسألك بحقي عليك إلاّ أخرجت إلى هذه الخشفَ التي اصطدتها اليوم. فأخرجها فوضعها بين يدي أمها فأرضعتها، ثم قال علي بن الحسين عليهما السلام: أسئلك يا فلان لمّا وهبت لي هذه الخشف. قال: قد فعلت. قال: فأرسل الخشف مع الظبية، فمضت الظبية فتبصبصت وحرّكت ذنبها. فقال علي بن الحسين عليه السلام أتدرون ما تقول الظبية؟ قالوا: لا. قال: إنها تقول: ردّ الله عليكم كل غائب، وغفر لعلي بن الحسين كما ردّ على ولدي. بصائر الدرجات: ص ٣٧٣ ح ١٤، دلائل الإمامة: ص ٢٠٦ ح ١٨.

* وعن سليمان بن خالد، قال: بينا أبو عبد الله البلخي مع أبي عبد الله عليه السلام ونحن معه، إذا هو بظبي يثغو (ينتحب) ويحرّك ذنبه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «أفعلُ إن شاء الله». ثم أقبل علينا، فقال: «علمتم ما قال الظبي؟». قلنا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم. فقال: «إنه أتاني فأخبرني أن بعض أهل المدينة نصب شبكة لأنثاه فأخذها، ولها خِشفان لم ينهضا، ولم يقويا للرعي، فتسألني أن أسالهم أن يُطلقوها، وضمن لي أن إذا رضعت خشفها حتى يقويا أن يردها عليهم، فاستحلفته، فقال: برئت من ولايتكم أهل البيت إن لم أفِ وأنا فاعل ذلك إن شاء الله». فقال البلخي: سنّة فيكم كسنة سليمان. بصائر الدرجات: ص ٢٦٩ ج ٧ ب ١٥ ح ٨، الاختصاص: ص ٢٩٨، مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٢٥٩.

* وعن داود بن كثير الرقي، قال: كنت عند الصادق عليه السلام أنا وأبو الخطاب، والمفضل، وأبو عبد الله البلخي... ـ وساق الخبر إلى أن قال: ثم سار فإذا نحن بظبي قد أقبل فبصبص بذنبه إلى الصادق عليه السلام وتبغّم، فقال: «أفعل إن شاء الله». فانصرف الظبي. فقال البلخي: لقد رأينا عجباً، فما الذي سألك الظبي؟ فقال: «استجار بي، وأخبرني أن بعض من يصيد الظباء بالمدينة صاد زوجته، وأن لها خشفين صغيرين، وسألني أن أشتريها، وأطلقها لله إليه، فضمنت له ذلك»... الخبر. انظر: الخرائج والجرائح: ج ١ ص ٢٩٩ ب ٧ ح ٥.

وعدم فهم سائر الرعية نطقَها لا يدل على عدم نطقها[1]، كما لا يفهم أهل كل لغة كلام أهل لغة أخرى، وهو لا يدل على عدم نطق أهلها،

---

١ ـ مضافاً للأخبار المتقدمة، لا يفوتنا هذا الخبر الشريف وإن كان طويلاً لكنه لا يخلو من فائدة وزيادة خير، فقد روي أنّ الحسين عليه السلام سُئل عن أصوات الحيوانات ـ لأن من شرط الإمام أن يكون عالماً بجميع اللغات، حتى أصوات الحيوانات ـ فقال:

* إذا صاح النسر فإنه يقول: (يا ابن آدم عش ما شئت فآخره الموت).
* وإذا صاح البازي يقول: (يا عالم الخفيات يا كاشف البليات).
* وإذا صاح الطاووس يقول: (مولاي ظلمت نفسي واغتررت بزينتي فاغفر لي).
* وإذا صاح الدراج يقول: (الرحمن على العرش استوى).
* وإذا صاح الديك يقول: (من عرف الله لم ينس ذكره).

وإذا قرقرت الدجاجة تقول: (يا إله الحق أنت الحق وقولك الحق يا الله يا حق).

* وإذا صاح الباشق [أصغر الصقر] يقول: (آمنت بالله واليوم الآخر).
* وإذا صاحت الحَدَأة [أكبر من الصقر] تقول: (توكل على الله ترزق).
* وإذا صاح العقاب يقول: (من أطاع الله لم يشق).
* وإذا صاح الشاهين يقول: (سبحان الله حقاً حقاً).
* وإذا صاحت البومة تقول: (البعد من الناس أنس).
* وإذا صاح الغراب يقول: (يا رازق ابعث بالرزق الحلال).
* وإذا صاح الكركي [يشبه اللقلق، قصير المنقار] يقول: (اللهم احفظني من عدوي).
* وإذا صاح اللقلق يقول: (من تخلى من الناس نجى من أذاهم).
* وإذا صاحت البطة تقول: (غفرانك يا الله غفرانك) .
* وإذا صاح الهدهد يقول: (ما أشقى من عصى الله)!
* وإذا صاح القُمري [يشبه الفاختة] يقول: (يا عالم السر والنجوى يا الله).

←

➔

* وإذا صاح الدبسي [فاختة النخيل، أو اليمامة] يقول: (أنت الله لا إله سواك يا الله).
* وإذا صاح العَقْعَق [يشبه الغراب] يقول: (سبحان من لا يخفى عليه خافية).
* وإذا صاح الببغاء يقول: (من ذكر ربه غفر ذنبه).
* وإذا صاح العصفور يقول: (استغفر الله مما يسخط الله).
* وإذا صاح البلبل يقول: (لا إله إلا الله حقا حقا).
* وإذا صاحت القبجة [الحجل أو القهد] تقول: (قرب الحق ، قرب).
* وإذا صاحت السماناة [طائرالسمّان] تقول: (يا ابن آدم ما أغفلك عن الموت).
* وإذا صاح السنوذنيق [السوذنيق، نوع من الصقور] يقول: (لا إله إلا الله محمد، رسول الله، وآله خيرة الله).
* وإذا صاحت الفاختة تقول: (يا واحد يا أحد يا فرد يا صمد).
* وإذا صاح الشقراق [يشبه العصفور، لونه اخضر] يقول: (مولاي اعتقني من النار).
* وإذا صاحت القنبرة [كالعصفور] تقول: (مولاي تب على كل مذنب من المؤمنين).
* وإذا صاح الورشان [متولد من الفاختة والحمام] يقول: (إن لم تغفر ذنبي شقيت).
* وإذا صاح الشِفْنين [نوع من الحمام، صوته حزين] يقول: (لا قوة إلا بالله العلي العظيم).
* وإذا صاحت النعامة تقول: (لا معبود سوى الله).
* وإذا صاحت الخطافة [يشبه طائر السنونو] فإنها تقرأ سورة الحمد وتقول: (يا قابل توبة التوابين، يا الله لك الحمد).
* وإذا صاحت الزرافة تقول: (لا إله إلا الله وحده).
* وإذا صاح الحمل [الخروف إذا بلغ ستة أشهر] يقول: (كفى بالموت واعظا).
* وإذا صاح الجدي [ذكر من أولاد المعاز] يقول: (عاجلني الموت فقل ذنبي).
* وإذا زأر الأسد يقول: (أمر الله مهم مهم).
* وإذا صاح الثور يقول: (مهلاً مهلاً يا ابن آدم، أنت بين يدي من يرى ولا يرى وهو الله).

وكيف لا وقد صرح بذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِه وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، فلو كان تسبيحهم مجازاً لكان ﴿لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ لا معنى لها ـ نعوذ بالله ـ إذ وجوه المجاز بأنواعه لا تَخفى على العالم بعلم المعاني والبيان والبديع لاسيما المفسرين والحكماء المدققين...

➔

* وإذا صاح الفيل يقول: (لا يغني عن الموت قوة ولا حيلة).
* وإذا صاح الفهد يقول: (يا عزيز يا جبار يا متكبر يا الله).
* وإذا صاح الجمل يقول: (سبحان مذل الجبارين سبحانه).
* وإذا صهل الفرس يقول: (سبحان ربنا سبحانه).
* وإذا صاح الذئب يقول: (ما حفظ الله فلن يضيع أبدا).
* وإذا صاح ابن آوى يقول: (الويل الويل الويل للمذنب المصر).
* وإذا صاح الكلب يقول: (كفى بالمعاصي ذلا).
* وإذا صاح الأرنب يقول: (لا تهلكني يا الله ، لك الحمد).
* وإذا صاح الثعلب يقول: (الدنيا دار غرور).
* وإذا صاح الغزال يقول: (نجني من الأذى).
* وإذا صاح الكركدن يقول: (أغثني وإلا هلكت يا مولاي).
* وإذا صاح الأيِّل [ذكر الوعل، كالغزل] يقول: (حسبي الله ونعم الوكيل حسبي).
* وإذا صاح النمر يقول: (سبحان من تعزز بالقدرة سبحانه).
* وإذا سبّحت الحية تقول: (ما أشقى من عصاك يا رحمن).
* وإذا سبّحت العقرب تقول: (الشر شيء وحش).

ثمّ قال عليه السلام: «ما خلق الله من شيء إلاّ وله تسبيح يحمد به ربّه»، ثمّ تلا ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِه... الآية﴾. انتهى. الخرائج والجرائح: ج ١ ص ٢٤٨ ـ ٢٥٢ ب ٤ ح ٥.

فتبين لمن أنصف أن المراد من قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ لا تفقهون لغتهم، ولكل شيء لغةٌ ونُطقٌ وتسبيحٌ وإن لم يفهم غير أهل لغاتهم، وقد منّ الله على سليمان وأضرابه بتعليم منطق الطير والنمل، وقد تواترت الأخبار من الأئمة الأطهار عليهم السلام بذلك وإن غفل عن ذلك جمع كثير وجم غفير. فنحن ـ والحمد لله وله المنّة ـ لا نحتاج إلى ضربٍ من المجاز في أمثال قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾، وإن لم يسجدا كسجدة بني آدم، وإن لم نعرف معنى سجدتهما، و (عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود)، ولا يأباه إلاّ المستبعد الغافل، ومحض الاستبعاد بعيد عن الصواب قريب للخطاء لدى العاقل.

وقد أخبر [بذلك] أصدق الصادقين بقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، وقد أتي بضمير العقلاء للتنبيه على أنَّ لكل شيء عقلٌ وفهمٌ ولغةٌ ونطقٌ بحسبه[1]، وقد أنطق [اللّهُ] كلَّ شيء، وما من شيء إلاّ وصَدَقَ عليه الـ(شيء) على الحقيقة من غير شائبة المجاز.

---

١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كل شيء يسبح بحمده، وإنا لنرى أن ينقضَّ الجدر وهو تسبيحها». تفسير العياشي: ج ٢ ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤ ح ٧٩ و ٨٠ و ٨١.

وعنه، عن أبيه عليه السلام قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن أن تُوسَم البهائم في وجوهها، وأن يُضرب وجوهُهَا فإنها تسبح بحمد ربها». تفسير العياشي: ص ٢٩٤ ح ٨٢.

وعنه عن أبيه عليه السلام أن رجلاً سأله: أتسبح الشجرة اليابسة؟ فقال: «نعم، أما سمعت خشب البيت كيف ينقض! وذلك تسبيحه، فسبحان الله على كل حال» تفسير العياشي: ص ٢٩٤ ح ٨٤.

بالجملة، وقد تواترت الأخبار وتكاثرت الدعوات مطابقة لكثير من الآيات، كأمثال: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، وكـ«سُبْحَانَ مَنْ دَانَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ بِالْعُبُودِيَّة»[١]، و «أقرت له بالوحدانية»[٢]، و«شهدت له بالربوبية»[٣] فهل يسع لعاقل ان يحملها على المجاز؟!

ولو جاز لجاز في جميع حقائق الآيات والأخبار... فلم يبقَ لمعانيها الحقيقية عمود ولا يخضرّ لها عود[٤]، ووسع الخرق، ووقع الهرج والمرج، فما دام للعاقل المتديّن طريقٌ إلى الحقيقة لا يسلك إلى سبيل المجاز.

---

١ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٣١٦ ح ٩٣٢ في أدعية افتتاح الصلاة.

٢ ـ عن الجواد عليه السلام في معنى الواحد قال: «المجتمع عليه بجميع الألسن بالوحدانية». التوحيد: ص ٨٢ ب ٣ ح ١، الكافي: ج ١ ص ١١٨ ح ١٢، المحاسن: ج ٢ ص ٣٢٨ ح ٨٣.

٣ ـ في أدعية النوافل: «اللَّهُمَ لَسْتَ بِإِلَه اسْتَحْدَثْنَاكَ وَلاَ بِرَبّ يَبِيدُ ذِكْرُك... ـ إلى قوله ـ وَأَشْهَدُ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرَضِينَ وَ مَا بَيْنَهُمَا آيَاتٌ دَلِيلاَتٌ عَلَيْكَ تُؤَدِّي عَنْكَ الْحُجَّةَ وَتَشْهَدُ لَكَ بِالرُّبُوبِيَّة». مصباح المتهجد: ص ٣٤.

٤ ـ مقتبس من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، حيث قال: «فَلَمَّا رَأَى اَللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا اَلْكَبْتَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا اَلنَّصْرَ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الإِسْلاَمُ، مُلْقِياً جِرَانَهُ وَمُتَبَوِّئاً أَوْطَانَهُ، وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ وَلاَ اخْضَرَّ لِلإِيمَانِ عُودٌ». نهج البلاغة، الخطبة ٥٥.

وقد أوجبوا عليهم السلام علينا «الوقوف عند الشبهة والاحتراز عن الوقوع في الهلكة»[1]، ولم يأذنوا لنا المسارعة والمبادرة في تفسير الآيات والأخبار المشكلة بحملها على المجاز بما تراءي للآراء والعقول الناقصة.

ولأجل ذلك أمر سبحانه بالسؤال من أهل الذكر وقال: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾، وأوجب الرجوع والإطاعة لأشخاص معروفين بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾، وحرّم الرجوع والإطاعة لغيرهم بقوله تعالى: ﴿**وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُوراً**﴾، ﴿**وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا**﴾، وغير الأشخاص المعروفين ـ وهم الأئمة الطاهرون عليهم السلام ـ جميعهم غير مأمونين من الجهل والغفلة والإثم والسهو والنسيان.

بالجملة، فهم عليهم السلام وسائط بين الله وبين الخلق أجمعين من الأولين والآخرين.. وهم الأئمة لجميع الخلق كما صرح بذلك بقوله تعالى: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً**﴾، فهو صلى الله عليه وآله وسلم النذير المطلق من عند رب العالمين.. لجميع ما سواه صلى الله عليه وآله وسلم، وله صلى الله عليه وآله وسلم خلفاء وأوصياء معروفون، كما هو بنفسه صلى الله عليه وآله وسلم معروف، وهم أولوا الأمر من عند

---

١ ـ روي عنهم عليهم السلام قالوا: «الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة». عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تهذيب الأحكام: ج ٧ ص ٤٧٤ ب ٤١ ح ١١٢، وعن علي عليه السلام في تفسير العياشي: ج ١ ص ٨ ح ٢، وتحف العقول: ص ٢١٤، وعن أبي جعفر عليه السلام في الكافي: ج ١ ص ٥٠ ح ٩، وعن أبي عبد الله عليه السلام في تفسير العياشي: ج ٢ ص ١١٥ ح ١٥٠.

الله، كما هو ﷺ صاحب الأمر الإلهي، «مَنْ أَرادَ الله بَدَأَ بِهِمْ، وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْهُمْ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِهِمْ».

وقد ورد عنهم عليهم السلام ما يطابق الآيات المحكمة بقولهم: «**ألا وإنا نحن النذر الأولى، ونذر الآخرة والأولى، ونذر كل زمان وأوان**»[١].

(فبهم ملا الله السماء والأرض، لا تعطيل لهم في كل مكان، يعرفه بهم من عرفه، لا فرق بينه وبينهم إلاّ أنهم عباده وخلقه، بدؤهم منه وعودهم إليه)، فهم (أرْكَانٌ لِتَوْحِيده، وَمَعَادِنُ لِكَلِمَاته)[٢]، وهم المحال والمصاديق في جميع المراتب، والله سبحانه هو المراد و (من أراده بدأ بهم)، ولا يمكن لأحد قصده وإرادته من غير البدء بهم... وهم عليهم السلام خُزّان علمه، ومكامن قدرته ومشيته، وقائمون بأمره، وخلفاؤه بين بريته في التكوين والتشريع، و«**أئمة يهدون بأمره**»[٣]، والمهتدون المقتدون جميع من سواهم، وجميع ما سواهم من الأولين والآخرين من آدم إلى الخاتم، إلى يوم القيامة، وكانوا عليهم السلام مع آدم، وقبل آدم، قال ﷺ: «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**»[٤]،

---

١ ـ الخطبة التطنجية، مشارق أنوار اليقين: ص ٢٦٤.

٢ ـ كامل الزيارات: ص ٣١٨ ب ١٩٤ ح ٢، وفيه: (وَمَعْدناً لِكَلِمَاته وَأَرْكَاناً لِتَوْحِيده).

٣ ـ عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا...﴾ «نزلت هذه الآية في ولد فاطمة عليها السلام خاصّة جعل الله منهم أئمّة يهدون بأمره» تفسير فرات الكوفي: ص ٣٢٩ ح ٤٤٩.

٤ ـ الآداب الدينية (الطبرسي): ص ٢٢١، مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ٢٦٦، مشارق أنوار اليقين: ص ١٨٦، عوالي اللئالي: ج ٣ ص ١٢١ ح ٢٠٠.

وكانوا مع نوح وقبله، ومع إبراهيم وقبله، ومع موسي وقبله، ومع عيسي وقبله، وهكذا يكونون مع كل ولي لهم[١] وقبله، إلى يوم القيامة، كما قالوا عليهم السلام: «**إن لنا مع كل وليّ أذناً سامعةً وعيناً ناظرةً ولساناً ناطقاً**»[٢].

وكما قالوا: «إن لنا في كل خلف عدولاً ينفون عن ديننا تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»[٣].

---

١ ـ قال المجلسي رحمه الله: اعلم أن حضور النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عند الموت مما قد ورد به الأخبار المستفيضة، وقد اشتهر بين الشيعة غاية الاشتهار، وإنكار مثل ذلك لمحض استبعاد الأوهام ليس من طريقة الأخيار، وأما نحو حضورهم وكيفيته فلا يلزم الفحص عنه بل يكفي فيه و في أمثاله الإيمان به مجملاً على ما صدر عنهم. بحار الأنوار: ج ٦ ص ٢٠٠

ومن تلك الروايات:

عن أبي عبد الله عليه السلام: «إنه ليس بين أحدكم وبين أن يُغْتَبط، ويَرى السرور وقرة العين إلاّ أن تبلغ نفسه ههنا ـ وأومأ بيده إلى حلقه ـ ثم قال: إنه إذا كان ذلك واحُتضر، حضَره رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وجبرئيل وملك الموت، فيدنو منه علي عليه السلام فيقول: يا رسول الله! إن هذا كان يحبنا أهل البيت فأحبّه... الخبر». الكافي: ج ٣ ص ١٣١ ح ٤.

وعن أبي عبد الله عليه السلام: قال: «إن المؤمن إذا حضرته الوفاة حضر رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين وجميع الأئمة عليهم السلام... الخبر». تفسير فرات الكوفي: ص ٥٥٣ ح ٧٠٨.

وغير هذا كثير، أورد منها العلامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار: ج ٦ ص ١٧٣ ـ ٢٠٠ (باب ٧: ما يعاين المؤمن و الكافر عند الموت و حضور الأئمة عليه السلام) وفيه ٥٦ رواية.

٢ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام، وفيه: «**إن لي مع كل وليّ...**». الهداية الكبرى: ص ٢٥١ ب ٨، الخرائج والجرائح: ج ٢ ص ٦٠٢، كشف الغمة: ج ٢ ص ١٨٩.

٣ ـ عن الصادق عليه السلام، بصائر الدرجات: ص ١٠ و ١١ ح ١ و ٣، الكافي: ج ١ ص ٣٢ ح ٢.

وقالوا عليهم السلام «ما من عبد أحبّنا وزاد في حبنا وسأل عن مسألة إلاّ ونفثنا في روعه جواباً لتلك المسألة»[١].

وسر ذلك أن حجة الله هي الحجة البالغة الواضحة.. والمبلّغ من عنده سبحانه هم (ولاة أمره المستبشرون به)، فلأجل ذلك جميع ما وصل إلى الخلق في التكوين والتشريع وما يصل إليهم ـ كائناً ما كان، بالغاً ما بلغ ـ هم الوسائط بينه وبينهم، و[هم] الأئمة لهم، وهم أول الخلق وآخرهم، وخلقهم الله (جل جلاله) من نور ذاته، وفوّض إليهم أمور عباده، (إياب الخلق إليهم وحسابهم عليهم)[٢]... وإياب الخلق إليهم [هو] إيابهم إلى الله، وحسابهم عليهم [هو] حسابهم على الله؛ فلأجل ذلك بلّغوا عليهم السلام أمر التوحيد إلى «**أرش الخدش**»[٣] في الكون والشرع إلى الخلق أجمعين في مقام الوساطة والإمامة. فمن جملة ذلك:

---

١ ـ لم أقف على مصدرها، إلاّ أن الشيخ الأوحد (أعلى الله مقامه) أوردها في شرح الزيارة الجامعة: ج ٣ ص ١٧ في شرح قوله عليه السلام: «مُحَقِّقٌ لِمَا حَقَّقْتُمْ مُبْطِلٌ لِمَا أَبْطَلْتُمْ».

ويناسب المقام ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام: «من أحبنا أهل البيت وحقق حبّنا في قلبه جرى ينابيع الحكمة على لسانه...». المحاسن: ج ١ ص ٦٠ ب ٨٠ ح ١٠٣.

وقوله عليه السلام: «والله لئن كنتم ترون أنّا ليس معكم أعين ناظرة وأسماع سامعة، لبئس ما رأيتم، والله ما خفي مَن غاب، فأحضروا لي جميلاً، وعوّدوا ألسنتكم الخير، وكونوا من أهله تُعرفوا به». دلائل الإمامة: ص ٢٢٧ ح ١٨، وانظر: الخرائج والجرائح: ج ٢ ص ٥٩٥ ح ٧.

٢ ـ كما في الزيارة الجامعة الكبيرة، وقد تقدمت روايات هذا الباب في هامش صفحة ١٢٥.

٣ ـ الكافي: ج١ ص ٢٤٠ ح ٣، الإرشاد: ج٢ ص١٨٦، روضة الواعظين: ص٢١٠.

قوله عليه السلام: «**يَا مَوْصُوفاً بِغَيْرِ كُنْه، وَمَعْرُوفاً بِغَيْرِ شِبْه**».

فعلم (روحي فداه، عليه وعلى آبائه آلاف التحية والثناء) بما بدأ منه وعوده إليه أنه سبحانه (موصوف بغير كنه) إذ كنه الشيء جوهره وغايته وقَدْره ووقته ووجهه، فهو سبحانه مُولي الوُجهة وموقّت الوقت، ومؤيّن الأين ومقدّر الأقدار، ومغيّي الغايات، ومجوهر الجواهر، و «لا يجري عليه ما هو أجراه ولا يعود فيه ما هو أبداه»[١].

فالمراد من قوله عليه السلام: «**بِغَيْرِ كُنْه**» هو الكنه الذي في مخلوقاته؛ لأن كنههم وجوهرهم أعراض عارضة زائدة عليه، وليس المراد أنه لاكنه له سبحانه مطلقاً، بل له سبحانه كُنه ليس لمخلوقاته فيه نصيب، كما روي في أخبار متواترة [ومنها] : «**كنهه تفريق بينه وبين خلقه**»[٢]، فلا اشتراك بينه وبين خلقه ـ لفظياً كان أو معنوياً[٣] ـ في شيء من ذاته وصفاته وأفعاله وعبادته، ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾، فهو معروف «**بِغَيْرِ شِبْه**»، فلمخلوقاته أضداد وأنداد وأشباه وأمثال ونظائر.

---

١ ـ من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام: «لاَ يَجْرِي عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ، وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ، وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ، وَيَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثَهُ!». نهج البلاغة، الخطبة ١٨٦.

٢ ـ التوحيد: ص ٣٦ ب ٢ ح ٢، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٥١ ب ١ ح ٥١.

٣ ـ جواب لكلام الملا صدرا رحمه الله في الحكمة المتعالية: ج ١ ص ٣٥، ف ٢ (في أن مفهوم الوجود مشترك محمول على ما تحته حمل التشكيك لا حمل التواطؤ).

فبمضادته بين الأشياء عُلم أن لا ضد له، وبتشكيله بين المتشاكلات عُلم أن لا مشاكل له، وبتشبيهه بين المتشابهات علم أن لا شبيه له، وبتجهيزه الجواهر علم أن لا جوهر له، وبتكييفه الكيفيات عُلم أن لا كيف له، وهكذا كل ما يمكن في الإمكان يمتنع فيه، وكل ما يليق به يمتنع في الموجودات بأسرها؛ وسر ذلك: أن كل ما يمكن في الإمكان ـ كائناً ما كان بالغاً ما بلغ ـ فهو من عطائه وإعطائه، فهو من حيث الإضافة إليه سبحانه كان ولا حيث لنفسه[1]، ونفسه نفس الإضافة. فلو لوحظ فيه حيثٌ من نفسه من غير حيث الإضافة له سبحانه فهو حيثُ الامتناع، فكل ما لم يخلقه الله سبحانه فهو ممتنع الوجود، والموجودات موجودات بإيجاده سبحانه، ولولا إيجاده لامتنع الموجودات. وأما كل ما له سبحانه فهو منه وإليه، وليس شيء منه من عطاء غيره سبحانه...

قال (روحي فداه، عليه وعلى آبائه آلاف التحية والثناء): «**حادَّ كُلِّ مَحْدُود، وَشاهدَ كُلِّ مَشْهُود، وَمُوجِدَ كُلِّ مَوْجُود، وَمُحْصِيَ كُلِّ مَعْدُود، وَفاقِدَ كُلِّ مَفْقُود، لَيْسَ دُونَكَ مِنْ مَعْبُود، أَهْلَ الْكِبْرِيَاءِ وَالْجُودِ**».

---

١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا يوصف بكيف ولا أين وحيث.. ـ إلى قوله ـ أم كيف أصفه بحيث وهو الذي حيث الحيث حتى صار حيثاً فُعرفَتْ الحيث بما حيّث لنا من الحيث...». الكافي: ج ١ ص ١٠٤ ح ١٢، التوحيد: ص ١١٥ ب ٨ ح ١٤.

وفي دعاء أمير المؤمنين عليه السلام يوم السبت: «تَسَرْبَلْتَ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَتَوَحَّدْتَ بِالإِلَهِيَّةِ وَتَنَزَّهْتَ مِنَ الْحَيْثُوثِيَّةِ». البلد الأمين: ص ٩٦.

وحذف حرف النداء دال على شدّة الفناء في جنب مولاه (روحي فداه) فإن بقاءه في فنائه، وقد تشرّف بلقائه فارتفع النداء (بمحو الموهوم، وصحو المعلوم، وإطفاء السراج، وإيضاح الصبح، والوهاج من غير كيف ولا إشارة، وذلك من أحوال أهل البشارة.. وقد هتك الستر لغلبة السر)[1].

بالجملة، فاعلم أن كل محدود دال على أن له حاداً، فكل بِناءٍ يدل على بانٍ، وكل خراب فانٍ دال على فاقد عادم يعدمه، فتدبر..

ثم اعلم أن جميع الموجودات محدودات، فإن وجد فيها بسيط فهو إضافي غير حقيقي، فهو أيضاً مركّب محدود كسائر المحدودات حقيقةً، ألا ترى أن الجسم محدود متناه، وهو غير الحياة، فهي أيضاً محدودة متناهية، وهي غير الجسم، وكذلك المثال غير الجسم، والحياة والخيال شاهد ما في البال، وهو فعل النفس الملكوتية، وهي غير فعلها، وكذلك العقل الجبروتي غير النفس، وهي غيره، وهكذا جميع الجواهر غير الأعراض، والذوات غير الصفات والنِسب والإضافات، وهي غيرها، فكلها محدودات.

ثم اعلم أن كل محدود وإن دلَّ على حادٍّ له ولكنه بحدوده دالٌّ على أن الحاد بريء عن حدوده، أما ترى حدود السرير وبراءة النجار عنها، وحدود البناء وبراءة البنّاء، وهكذا كل صانع ومصنوعه، فاعلم وتدبر في

١ـ تقدمت رواية كميل في الهامش من صفحة ١٠٧.

ذلك أنه سبحانه بمضادته بين الأشياء عُلم أنْ لا ضدّ له، وبتحديده بين المحدودات عُلم أن لا حد له، وتدبر فيما أقول وأتّبع آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم...

فإذا عرفتَ ذلكَ عرفتَ ـ إن شاء الله ـ أن الحي الذي لا يموت، والذي لا يأخذه نوم ولا سنة، والذي «**لَمْ يَتَّخِذْ صاحِبَةً وَلا وَلَداً**»، ليس من أسمائه المقدسة وأمثاله العليا الميّتون و﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾ ليست من أسمائه فإنه سبحانه لو كان أحداً من الأموات لصار ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا**﴾ **فانياً**، فليس بميّت ولا محتاج ولا آكل ولا شارب.. ولا بشيء من مخلوقاته، بل كل ما يمكن فيهم ممتنع فيه، وكل ما يجب فيه يمتنع في الحدوث، فلا يصدق أنه سبحانه ما أوجد إلاّ نفسه ولا أظهر إلاّ ذاته، بل «**كنهه تفريق بينه وبين خلقه**»[١].

نعم له الأسماء الحسنى والأمثال العليا وهي باقية بابقاء الله «**لها بها، وبها امتنع منها**»[٢]، فلا يجري عليه سبحانه تعددها؛ إذ «لا يجري عليه ما هو أجراه ولا يعود فيه ما هو أبداه»[٣]، ولم يسبق عليها عدم ولا يلحقها زوال، ولا يعرض عليها تحوّل وانتقال وتغير وملال، «كانوا بكينونته كائنين غير مكونين موجودين أزليين أبديين»[٤] (صلوات الله عليهم أجمعين)، وما

---

١ ـ التوحيد: ص ٣٦ ب ٢ ح ٢، عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ١٥١ ب ١١ ح ٥١.

٢ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام، نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٨٥.

٣ ـ نهج البلاغة، الخطبة ١٨٦، وقد تقدم النَصُّ في هامش صفحة ١٨٢.

٤ ـ قال عليه السلام: «كنّا بكينونيته، قبل خلق التمكين في التكوين أوليين أزليين لا موجودين».

←

تعددت القدماء؛ لأنهم بكينونة القديم الفرد سبحانه كانوا، وبه يكونون، وما زال ولا يزال عالماً قادراً حكيماً سميعاً بصيراً إلى غيرها من الأسماء المقدسة المسبّحة، وهو وحده «**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّنَا وَرَبُّ الْمَلاَئكَةِ وَالرُّوح**» ورب كل شيء، «**لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَحْدَهُ وَحْدَه**»، «**حادَّ كُلِّ مَحْدُود، وَشاهدَ كُلِّ مَشْهُود، وَمُوجِدَ كُلِّ مَوْجُود، وَمُحْصِيَ كُلِّ مَعْدُود، وَفاقِدَ كُلِّ مَفْقُود**»... ليس غيره من معبود، وحده وحده، وأسماؤه آياته وعلاماته ومقاماته «**الَّتي لا تَعْطيلَ لَها في كُلِّ مَكان**» يعرفه بها من عرفه ولا يعرفه من لا يعرفه بها، بها عُرف الله ولو لاها ما عرف الله كما روي عنهم (صلوات الله عليهم): «**بنا عُرف الله**»[١]، و «**لولانا ما عُرف الله**»[٢]، و «بنا عبد الله، ولولانا ما عبد الله»[٣]، وهو وحده «**أَهْلُ الْكِبْرِيَاءِ وَ الْجُود**»، «**وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُه**»[١]،

→

مشارق أنوار اليقين: ص ٢٥٨.

وفي رواية قال: «كنا بكينونته قبل الحلول في التمكين وقبل مواقع صفات التمكين في التكوين كائنين غير مكوّنين». الهداية الكبرى: ص ٤٣٣ ب ١٤.

١ ـ الكافي: ج ١ ص ١٥٤ ح ١٠، التوحيد: ص ١٥٢ ح ٩، بصائر الدرجات: ص ٦٤ ح ١٦.

٢ ـ بصائر الدرجات: ص ٦١ ح ٣ ص ١٠٥ ح ٩ و ١١.

٣ ـ عن أبي عبد الله : «بنا عُرف الله وبنا عبد الله، نحن الأدلاء على الله ولولانا ما عبد الله». التوحيد: ص ١٥٢ ب ١٢ ح ٩.

وقال أبو جعفر عليه السلام: «فنحن أوّل خلق ابتدء الله، وأوّل خلق عَبد الله وسبّحه، ونحن سبب خلق الخلق، وسبب تسبيحهم وعبادتهم من الملائكة والآدميّين، فبنا عُرف الله، وبنا وُحّد الله، وبنا عُبد الله...». بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٣٠.

←

فكل من استكبر من خلقه فقد نازعه في كبريائه وكل من غالَبَ الله غلبَ عليه وأذله ووضعه، وهو ﴿**غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ**﴾، وحده...

بالجملة، فلما أثبت له عليه السلام صفاته اللائقة به وأسماءه التي قد سمّى نفسه بها، أراد (روحي فداه، عليه وعلى آبائه آلاف الصلاة والسلام والثناء) أن يسلب عنه صفات المخلوقات الممتنعة عليه سبحانه، إذ «لا يجري عليه ما هو أجراه ولا يعود فيه ما هو أبداه»، فقال عليه السلام: «**يَا مَنْ لا يُكَيَّفُ بِكَيْف، وَلا يُؤَيَّنُ بِأَيْن، يَا مُحْتَجِباً عَنْ كُلِّ عَيْن**».

وقد أعاد النداء إشارة عن بُعده سبحانه عمّا سواه، وقدسه عمّا يمكن فيهم، فالكيف من صفات الممكنات بأسرها، فإنه بمعنى القطع لغة، يقال: كيّفه أي قطعه[٢]. وقد استُعمل في السؤال عن حال الشخص من الصحة والمرض والغني والفقر والحزن والفرح والرضى والغضب والشهوة والنُّفرَة، وأمثال ذلك من العوأرض العارضة على الأشخاص كمّاً كانت أو كيفاً.

→

وعنه عليه السلام: «وبعبادتنا عُبد الله (عز وجل) ولولانا ما عبد الله». الكافي: ج ١ ص ١٩٣ ح ٦.

وعنه عليه السلام في رواية: «ولو لا نحن ما عبد الله». الكافي: ج ١ ص ١٤٤ ح ٥.

١ ـ وردت في كثير من الأدعية، ومنها: دعاء الجوشن الكبير، فقرة ٥٦.

وفي رواية عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الكبرياء رداؤه، فمن نازعه شيئاً من ذلك أكبّه الله على وجهه في النار». الكافي: ج ٢ ص ٥١٥ ح ١.

٢ ـ كتاب العين: ج ٥ ص ٤١٤، تهذيب اللغة: ج ١٠ ص ٢١٣، المحيط في اللغة: ج ٦ ص ٣٤٠، لسان العرب: ج ٩ ص ٣١٢، القاموس المحيط: ج ٣ ص ٢٦١.

وقد استعمله الحكماء في مقولة الأعراض التسعة المقابلة للجواهر[١]، كالألوان والطعوم والروايح والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والمَلاسة والخشونة، وأمثال ذلك، وهو بجميع معانيه اللغوية والعرفية منفي عن الله سبحانه وقد روي عن أمير المؤمنين (عليه صلوات المصلين): «كيف أصف ربي وهو كيّف الكيف»[٢]، وقد روي عنهم عليهم السلام «لا كيف لفعله كما لا كيف له»[٣].. فإذا كان فعله سبحانه لا كيف له، فكيفَ [يكونُ] لنفسه كيفٌ وهو بفعله كيّفَ الكيفَ بلا كيف؟

وكذلك «**لاَ يُؤَيَّنُ بِأَيْن**»؛ لأنه بنفسه من الموجودات، ومن لوازم المخلوقات؛ ولأنه بمعنى الإعياء[٤]، فهو من صفات المبروءات[١] المسلوبة عن الله تعالى..

---

١ ـ انظر: الإلهيات (من كتاب الشفاء): المقالة ٢ و ٣، والحكمة المتعالية: ج ٤.

٢ ـ سأله يهودي: أين ربك؟ فقال عليه السلام: «هو في كل مكان وليس في شيء من المكان المحدود». قال: وكيف هو؟ قال عليه السلام: «وكيف أصف ربي بالكيف والكيف مخلوق، والله لا يوصف بخلقه». الكافي: ج ١ ص ٩٤ ح ٩، التوحيد: ص ٣١٠ ب ٩٩ ح ١.

٣ ـ عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في حديث قال: «فإرادة الله الفعل لا غير ذلك، ﴿يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُون﴾، بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همة ولا تفكر، ولا كيف لذلك كما أنه [تعالى] لا كيف له». الكافي: ج ١ ص ١٠٩ ح ٣، التوحيد: ص ١٤٧ ب ١١ ح ١٧، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١١٩ ب ١١ ح ١١، مختصر البصائر: ص ٦٦ ح ٤٣١.

٤ ـ كتاب العين: ج ٨ ص ٤٠٤، جمهرة اللغة: ج ١ ص ٢٤٩، تهذيب اللغة: ج ١٥ ص ٣٩٥، الصحاح: ج ٥ ص ٢٠٧٦، معجم مقاييس اللغة: ج ١ ص ١٦٧، النهاية في غريب ←

و[الأينُ] مصدر آنَ أينُك، أي حان حينك، فهو بمعني الوقت، وهو من لوازم الموجودات، وهو سبحانه بفعله وقّت الوقت بلا وقت.

ويقع (أين) سؤالاً عن مكان الشيء، وهو سبحانه بفعله «**أيّن الأين بلا أين**»[٢]، بجميع معانيه. وكذلك الرؤية من صفات الممكنات المسلوبة عن

→

الحديث: ج ١ ص ٨٧، لسان العرب: ج ١٣ ص ٤٤، القاموس المحيط: ج ٤ ص ١٨١.

١ ـ أي المخلوقات، من بَرَأ يَبْرَأ، بمعنى خَلَقَ، وفي دعاء الإمام السجاد عليه السلام يوم الإثنين: «الْحَمْدُ لِلَّه الَّذي لَمْ يُشْهِدْ أحَداً حِينَ فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض، وَلاَ اتَّخَذَ مُعِيناً حِينَ بَرَأ النَّسَمَات» أي حين خَلَق الخلق.

٢ ـ الكافي: ج ١ ص ٨٧ ح ٣، وأيضاً ص ٨٨ ح ٢.

وفي الرواية عن الرضا عليه السلام: «إن الله (عز وجل) كيّف الكيف فهو بلا كيف، وأين الأين فهو بلا أين». التوحيد: ص ١٢٥ ب ٩ ح ٣، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١١٧ ب ١١ ح ٦.

وعنه عليه السلام: «هو أيّن الأين وكان ولا أين، وهو كيّف الكيف وكان ولا كيف». التوحيد: ص ١٥١ ب ٣٦ ح ٣، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٣١ ب ١١ ح ٢٨.

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «لا كيف له ولا أين؛ لأنه (عز وجل) كيّف الكيف وأيّن الأين». التوحيد: ص ٣١١ ب ٤٤ ح ٢.

وعن الهادي عليه السلام: «كيّف الكيف فلا يقال له: كيف، وأيّن الأين فلا يقال له: أين، إذ هو مبدع الكيفوفة والأينونة». الكافي: ج ١ ص ١٣٨ ح ٣، التوحيد: ص ٦١ ب ٢ ح ١٨.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أن رجلاً قال له: أين المعبود: فقال: «لا يقال له أين؛ لأنه أيّن الأينية، ولا يقال له كيف؛ لأنه كَيَّف الكيفية، ولا يقال له ما هو؛ لأنه خلق الماهية، سبحانه من عظيم تاهت الفِطنُ في تيّار أمواج عظمته، وحصرت الألباب عن ذكر أزليته وتحيرت العقول في أفلاك ملكوته». روضة الواعظين: ص ٣٧.

الله سبحانه، ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، وكل ممكن مرئي لأحد لا محالة.. فهو محتجب عن كل عين، [وفي الدعاء:] «يَا مَنْ احْتَجَبَ بِشُعَاعِ نُورِهِ عَنْ نَوَاظِرِ خَلْقِه»[١]، وقد روي عنهم عليهم السلام: «هو المحتجب ونحن حُجبه»[٢]، فنواظر الخلق تقع على الحُجب، والمحتجب هو الله سبحانه.

بالجملة، فلما كان سبحانه قبل الوقت وقبل المكان، وقد أحدث بفعله الوقت والمكان، فلا يجري عليه سبحانه ما هو مخلوق بفعله، كما روي: «لا يجري عليه ما هو أجراه ولا يعود فيه ما هو أبداه»[٣]، فهو القديم الدائم لا ابتداء له سبحانه ولا انتهاء؛ فلأجل ذلك قال (صلوات الله عليه وعلى آبائه الكرام، وعجل الله فرجه): «يَا دَيْمُومُ يَا قَيُّومُ».

فالديموم كالقيّوم من صيغ المبالغة في الدوام والقيام الدائم بأمر الخلق ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾. وقد ناسب المقام ذكر إعلال الأول فإنه غير مشهور كثرةً كالثاني، وهو مشهور في عِداد الأسماء الحسنى[٤]..

---

١ ـ دعاء الاحتجاب أو الحجب، عن النبي صلى الله عليه وآله، تقدمت مصادره في صفحة ١٥٠.

٢ ـ عن الإمام المهدي عجل الله فرجه، الهداية الكبرى: ص ٤٣٥ ب ١٤.

٣ ـ نهج البلاغة، الخطبة ١٨٦، وقد تقدمت في صفحة ١٨٢.

٤ ـ في خُطبة لرسول الله صلى الله عليه وآله «وهو الكينون أولاً والديموم أبداً». التوحيد: ص ٤٥ ب ٢ ح ٤.
وعن أبي عبد الله عليه السلام في رواية: «دَيْمُومِيٌّ أَزَلِيٌّ لاَ يَنْسَى وَلاَ يَلْهُو وَلاَ يَغْلَطُ وَلاَ يَلْعَب».
الكافي: ج ١ ص ٩١ ح ٢، التوحيد: ص ٥٨ ب ٢ ح ١٥.
ومن أدعية الاسم الأعظم: «اللَّهُمَّ وَأَنْتَ دَيَّانٌ دَائِمٌ دَيْمُومٌ دَافِعٌ فَادْفَعْ عَنِّي شَرَّ مَا أَحْذَرُ مِنْ
←

[والديموم] مصدر دامَ ديمومةً كما صرح به اللغويون[1].

وهذا الوزن كثير في اللغة، كالبيتوتة والبينونة والحيلولة والفيلولة والقيلولة والكينونة، مصادر بات وبان وحال وفال وقال وكان.

والقاعدة المطّردة بين الصرفيين في إعلالها أن أصل الديمومة دَيْوَمُومَةٌ على وزن فيعلولة، فاجتمعت الواو والياء، والسابقة ساكنة، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياءان فصارت ديمومة ـ مشددة الياء ـ ثم حُذفت الثانية؛ تخفيفاً لثقل المشددة على اللسان في أواسط تلك المصادر.

فكذلك إعلال المشتق إعلال المشتق منه، وهذه القاعدة أيضاً جارية في إعلال القيّوم إلاّ في حذف الياء؛ لقلة حروفه، فأصله قَيْوُوم على وزن فيعول، فبعد القلب والإدغام صار قيّوماً..

→

دُنْيَايَ وَ آخِرَتِي». مهج الدعوات: ص ٣٨٦.

ومنها: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ يَا دَاعِيَ يَا دَائِبُ يَا دَائِمُ يَا دَيْمُومُ يَا دَيُّومُ يَا دَالُّ يَا دَلِيل». مصباح الكفعمي: ص ٤٠٦.

ومن حرز الإمام الحسين عليه السلام: «يَا دَائِمُ، يَا دَيْمُومُ، يَا حَيُّ، يَا قَيُّومُ». مهج الدعوات: ص ٣٣.

ومن قنوته عليه السلام: «أَنْتَ اللَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، الدَّائِمُ الدَّيْمُومُ». مهج الدعوات: ص ٦٦.

ومن دعاء الإمام زين العادين عليه السلام: «يَا دَائِمُ يَا دَيْمُومُ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا كَاشِفَ الْغَمِّ وَيَا فَارِجَ الْهَمِّ». مصباح الكفعمي: ص ٣٤٨ من الفصل ٣٠.

١ ـ المخصص: ج ١٢ ص ٧١، الصحاح: ج ٥ ص ١٩٢٢، لسان العرب: ج ١٢ ص ٢١٣.

وصاحب (القاموس) زعم [أن] الديموم فيعولاً، فلأجل ذلك أدرجه في (دمّ) المضاعف مع الديمومة وفسرهما بالفلاة الواسعة[١].

وعلى ما فسّره لا يخلو كون الديموم اسماً لله سبحانه من تكلّف هو باعتبار الوسعة. وأما كونه من الأجوف فلا تكلف فيه، وقد صرح في (القاموس) أيضاً بالديمومة مصدراً لدام يدوم، والجوهري[٢] غير متوهم وإن ذكره في (القاموس) متوهماً.

بالجملة، فالديموم القيوم: هو القديم، الدائم، القائم على كل نفس، وعلى كل شيء. ولكل نفس ولكل شيء مرتبة، ومكان، ووقت، وأين، وكم، وكيف، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ إذ الأشياء برمّتها صارت أشياء بمشيّته سبحانه وإيجاده، وإلاّ كانت ممتنعة وفي عرصة المحال.. كما أن مصنوع كل صانع ممتنع الوجود إلاّ بصنعه، فبمشيّته سبحانه صارت الأشياء ممكنة بعد إيجاد إمكاناتها، فهي برمّتها من حيث أنفسها ـ ولا أنفس لها ـ ممتنعة، وبنفس إضافتها إلى فعله صارت موجودة كما شاء وأراد...

فهو القديم الذي لم يكتسب وجوداً من غيره كما لم يكتسب كمالاً من غيره، إذ غيره خلقه ـ كائناً ما كان ـ وهو سبحانه (كان قبل الكان وبعد الكان، وقبل القبل وبعد البعد، ولا قبل له ولا بعد)[٣]، فجميع ما ينبغي له من

---

١ ـ القاموس المحيط: ج ٤ ص ٦٣. وقبله في تهذيب اللغة: ج ٤ ص ١٩٤، وغيره.

٢ ـ الصحاح: ج ٥ ص ١٩٢٢.

٣ ـ انظر: الكافي: ج ١ ص ١٨٩ (باب الكون والمكان)، والتوحيد: ص ١٣ ب ٢٨.

←

الكمال من الصفات والسمات كلها بدأت منه ـ أزلاً أبداً ـ من غير ترقّب وانتظار، غير قابلة للزيادة والنقصان ولا تغيّر فيها أبداً؛ إذ التغيرات في المتغيرات كلها بفعله سبحانه كما روي: «**لا يغير الشيء من جوهريته إلى جوهر آخر إلاّ الله**»[١]، فـ«لا يجري عليه ما هو أجراه، ولا يعود فيه ما هو أبداه»[٢]، قال عليه السلام: «كنّا بكينونته قبل مواقع صفات تمكين التكوين كائنين غير مكونين موجودين أزليين»[٣].

ولا يلزم من وجود الكمالات له سبحانه ـ أزلاً أبداً ـ تعدد القدماء؛ إذ القديم هو الله سبحانه وهو وحده أزل الآزال من غير انتقال ولا زوال، ولكن القديم وحده هو العالم القادر الحكيم، وهكذا، ﴿**لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾

→

عن أبي عبد الله عليه السلام: «جاء حَبْرٌ من الأحبار إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين! متى كان ربك؟ فقال له: ثكلتك أمك! ومتى لم يكن حتى يقال: متى كان؟ كان ربي قبل القبل بلا قبل وبعد البعد بلا بعد، و لا غاية و لا منتهى لغايته انقطعت الغايات عنده فهو منتهى كل غاية». الكافي: ج ١ ص ٨٩ ـ ٩٠ ح ٥، التوحيد: ص ١٧٤ ب ٢٨ ح ٣.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنما يُقال لـ(شيءٍ لم يكن) متى كان؟ إن ربي (تبارك وتعالى) كان ولم يزل حياً بلا كيف، ولم يكن له كانَ، ولا كانَ لكوْنِه كونٌ كيْف، ولا كان له أينٌ، ولا كان في شيء، ولا كان على شيء... الخبر». الكافي: ج ١ ص ١٨٩ ح ٣.

١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ولا ينقل الشيء... الخ». التوحيد: ص ٦٨ ب ٢ ح ٢٢.

٢ ـ نهج البلاغة، الخطبة ١٨٦، وقد تقدم النَصُّ في هامش صفحة ١٨٢.

٣ ـ تقدمت الرواية في صفحة ١٨٦ والهامش منها.

أزلاً أبداً، وهي صادرة منه عائدة إليه، (لا فرق بينه وبينها إلاّ أنهم عباده وخلقه، فَتْقُها وَرَتْقُها بيَده سبحانه)، وقد مر ما يُغنيك إن أردت ما يَعنيك.

بالجملة، فصفاته وأسماؤه كلها مخصوصة به سبحانه لا توجد في غيره، وأعلى جميع أسمائه: العالم، كما روي عنهم عليهم السلام: «بالعلم كانت المشية وبالمشية كانت الإرادة... إلى آخر الحديث»[1] فلأجل ذلك أردفه عليه السلام بالديموم القيوم فقال عليه السلام: «**وَعالِمَ كُلِّ مَعْلُومٍ**»...

فاعلم أن كل صانع مالم يعلم جميع ما يحتاج إليه مصنوعه من البداية إلى النهاية قبل صنعه إياه لم يقدر على صنعه إياه، اللهم إلاّ أن يكون آلةً بيد الصانع العليم، كما ترى من فعل النباتات على نظم الحكمة، مع أن النفس النباتية جاهلة، وكذلك الأفعال الطبيعية من الحيوانات، وظواهر الأناسي جارية على نظم الصواب، والطبيعة بنفسها غير قادرة ولا عالمة، فيكون ذلك من صنع الصانع العليم الحكيم (جلّت حكمته) فتدبر..

أما ترى أهل الصنائع لو لم يكن لهم علم بجميع مراتب صنائعهم من البداية إلى النهاية وكل ما يحتاج إليه مصنوعاتهم من الأسباب والآلات والمواد والصور والهيئات لم يقدروا على صنع مصنوعاتهم، فلابد للنجّار مثلاً من علم له بالنجارة قبل النجارة، وبالخشب، وبأن كل مصنوع يصلح

---

١ ـ الكافي: ج ١ ص ١٤٨ ح ١٦، مختصر البصائر: ص ٣٦٩ ح ٤٣٥، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام قال: «فبعلمه كانت المشيئة، وبمشيئته كانت الإرادة، وبإرادته كان التقدير، وبتقديره كان القضاء، وبقضائه كان الإمضاء، والعلم متقدم على المشيئة... الخبر».

لأن يصنع من أي خشب، فإن الأخشاب مختلفة ولا يصلح لكل مصنوع كل خشب فينبغي للسرير خشب من شجر خاص وللباب من شجر وللصندوق من شجر وهكذا في كل ما يصنع من الخشب لابد لكل مصنوع خاص خشب خاص ولابد للنجار من العلم بذلك والا لم يقدر على صنع ما يريده من المصنوعات الخشبية.

ولابد له أيضاً من العلم بأسباب النجارة وآلاتها من المنشار والقدّوم والمثقب وسائر ما يحتاج إليه النجارة من الأسباب، والجهل بكل واحد من الآلات مانع لتحصيله، وبدونه لاتتم النجارة كاملة، وكذا لابد له من علم بكيفية استعمال كل واحد من الآلات في الخشب، فمنها ما ينبغي أن يستعمل بقوة قوية، ومنها ما ينبغي أن يستعمل بقوة ضعيفة فبأي كيفية أخلّ فقد اختل أمر النجارة، فلا تتم.

وكذا لابدله من علم بكيفية التحريك للآلات فمنها ما يقتضي تحريكه من الأعلى إلى الأسفل، ومنها بالعكس، ومنها من اليمين إلى الشمال، ومنها بالعكس، ومنها من القرب إلى البعد، ومنها بالعكس، وبالجهل بكل آلة وكيفية استعمالها من البداية إلى النهاية لا تتم النجارة البتة، والعلم بذلك كله ـ كلّيه وجزئيه ـ لابد وأن يكون قبل الصنعة، فبمحض القدرة على شيء من دون علم لا تتم الصنعة البتة.

فالعلم هو المتبوع الحقيقي، والقدرة تابعة له، كما أن تعلّق القدرة بالآلات واستعمالها في الخشب تابع له، كما أن السرير من البداية إلى النهاية تابع له، فالعلم متبوع حقيقي والقدرة متبوعة إضافية، كما أن رؤوس

القدرة الجزئية بعد القدرة الكلية متبوعة إضافية، كما أن الآلات تابعة للرؤوس، والرؤوس تابعة للقدرة الكلية، وهي تابعة للعلم، وهو المتبوع الحقيقي، وترى جميع ذلك.. في صنعة كل صانع وكسب كل كاسب، ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾، إلاّ ما كان بنفسه آلة من الآلات كما أشرنا إليه سابقاً...

فـ«بالعلم خلقت المشيّة، وبالمشيّة كانت الإرادة، وبالإرادة كانت القدر، وبه كان القضاء، فأمضى بعدها ما مضى وما يأتي»[١]، «ما من شيء في الأرض ولا في السماء إلاّ بسبعة: بمشية وإرادة وقَدَر وقضاء وإذن، وأجل، وكتاب، فمن زعم نقص واحدة منها فقد كفر»[٢]، فالأشياء ـ كائنة ما كانت وبالغة ما بلغت ـ تابعة للكتاب والأجل[٣] والإذن، وهي تابعة

---

١ ـ الكافي: ج ١ ص ١٤٨ ح ١٦، مختصر البصائر: ص ٣٦٩ ح ٤٣٥. عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام قال: «فبعلمه كانت المشيئة وبمشيئته كانت الإرادة وبإرادته كان التقدير وبتقديره كان القضاء و بقضائه كان الإمضاء والعلم متقدم على المشيئة...».

٢ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلاّ بهذه الخصال السبع: بمشيئة وإرادة وقَدَر وقضاء وإذن وكتاب وأجل فمن زعم أنه يقدر على نقض واحدة فقد كفر». الكافي: ج ١ ص ١٤٩ ح ١، المحاسن: ج ١ ص ٢٤٤ ب ٢٥ ح ٢٣٦.
وعن أبي الحسن الكاظم عليه السلام قال: «لا يكون شيء في السماوات ولا في الأرض إلا بسبع: بقضاء وقدر وإرادة ومشيئة وكتاب وأجل وإذن، فمن زعم غير هذا فقد كَذَبَ على الله أو ردَّ على الله (عز وجل)». الكافي: ج ١ ص ١٤٩ ـ ١٥٠ ح ٢.

٣ ـ لقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾. سورة الرعد: الآية ٣٨.

للقضاء، وهو تابع للقدَر، وهو تابع للمشيّة، وهي تابعة لعلمه سبحانه و﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾، «يَفْعَلُ [اللَّهُ] مَا يَشاءُ بِقُدْرَتِه وَيَحْكُمُ ما يُرِيدُ بِعِزَّتِه»[1]، وهو ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾، وهو المختار الحقيقي إن شاء فعل عن علم منه وفعلٍ، وإن شاء ترك عن علم باقتضاءِ تركِه وحكمةٍ، وله البداء في كل رتبة، فليس كل ما في علمه سبحانه في مشيّته.

ألم ترَ أنه سبحانه علم أنه لو خلق خلقاً كيف ما يكون، ولعله سبحانه لم يخلقه، ولا يخلقه أبداً، كما لم يخلق لنفسه سبحانه كذباً، ولا خُلفاً لو عدّه، ولا ظلماً، وقد علم سبحانه أن صدورها منه كان قبيحاً، وكذا لم يجعل المشية إرادة؛ إذ الأولى هي الذكر الأول، والثانية هي العزيمة على ما يشاء، كما لم يجعل أول الأعداد ثانيها، كما لم يجعل الرابع ثالثاً، والثالث ثانياً، والثاني أولاً. وكذا لم يجعل الإرادة قدَراً، والقدَر قضاء، والقضاء إمضاء.

ففي كل رتبة شيء لم يجعله في رتبة أخرى، فهذا هو حقيقة البداء له سبحانه في كل رتبة، إلاّ في علمه سبحانه فإنه ليس له بداء فيه، وقلّ من يعرف ذلك، وما يعرفه العارفون أنه سبحانه خلق النطفة ليجعلها بعدُ علقة، وخلقها ليجعلها بعدُ مضغة، وخلقها ليجعلها بعدُ عظاماً، وخلقه ليجعله بعدُ مكسواً باللحم، وخلقه لإنشاء خلق آخر، ونفخ الروح فيه، ونفخ لأجل الولد وهو مركب من الروح والجسد، فلولم يُرد خَلْقَ الولد لم يخلق ما يَتولد منه

---

١ ـ مصباح الكفعمي: ص ١٦٢ الفصل ١١، فيما يُعمل عند النوم.

الولد، ومع ذلك كله قد أخبر عن نفسه سبحانه بقوله: ﴿**مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ**﴾.

فهو سبحانه عالم بجميع معلوماته مجملة ومفصلة، وكلية وجزئية، وغيبية وشهادية، وجوهرية وعرضية، وفعلية وانفعالية ـ كائنة ما كانت، بالغة ما بلغت ـ كل ما صدق عليه اسم الشيء في أي رتبة من مراتب الإمكان والأكوان والأعيان والمواد والصور والجوهر والأعراض، فهي بجميع مراتبها محتاجة إلى أنها معلومة لله سبحانه وتابعة لعلمه الأزلي، ومع ذلك علمه غير محتاج إلى معلوماته أزلاً أبداً، وهو المتبوع الحقيقي قبل جميع توابعه ـ كائنة ما كانت ـ وجميع ما سواه توابعه، ﴿**أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾... فكيف لا يكون (سبحانه) عالماً بالجزئيات وهو خالقها...

فهو سبحانه كان عليماً في ذاته بجميع معلوماته من غير زيادة ولا نقصان في ذلك العلم ـ أزلاً أبداً ـ من غير تغيّر وتغيير، وانتقال وزوال، من الأزل إلى الحدث، سرمداً في مر الدهور وتحول الأزمان قبل الإمكان والأكوان والأعيان، والمؤثرات وآثارها والفواعل وأفعالها، والشواخص وأظلالها وعكوسها وأشباحها، وأشباح أشباحها إلى ما لا نهاية لها، ﴿**لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا**﴾.

وذلك العلم غير مكتسب من شيء منها بل هو كينونة الذات البسيطة المقدسة عن الكثرات، وليست تلك المعلومات صوراً علمية له سبحانه؛ إذ صورها العلمية منتزعة عنها كانتزاع العكوس من الشواخص في المرآة، وهي فرع وجود الشواخص في مراكزها وذلك العلم قبل جميع المخلوقات

فضلاً عن عكوسها بحيث يمتنعُ في ذلك العلم وجودُ شيء من الموجودات الممكنة، بل شيء من إمكاناتها فضلاً عن آثارها وعكوسها.

إذاً، فهو (عالم ولا معلوم)[١] كما هو كان في كينونته، ولم يوجد شيء من المرسوم، ويقتضي ذواتها بما هي مذكورة به في كل رتبة من مراتب الإمكان، أن تكون معلومة له سبحانه قبل إيجادها بحيث لو لم تكن معلومة له سبحانه لم تكن موجودة في مراكزها في الإمكان، بل تكون وجوداتها ممتنعة محضة وعدماً صرفاً، فذواتها في مراكزها الإمكانية محتاجة إلى أن تكون معلومة قبل القبل في أزل الآزال من غير تغيير ولا زوال، وتلك الحاجة هي سؤالها الذاتي لها. فبذلك السؤال استجاب الله سبحانه دعاءها فأوجدها في إمكنها كُلاً بحسبه، وذلك السؤال إذنٌ من الله سبحانه لها قبل إيجادها، فحَكَمَ لكل واحدٍ منها ثانياً بسؤالها الذي أذنَ لها ما اقتضته من الوجود، فأوجدها من مراكزها مطابقة لما علمه سبحانه قبل إحداثها، تابعة لذالك العلم المتبوع لكل معلوم، ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

فإن علمت ما أقول لعلك تَقدر على النزول في ساحة ما كتبه بعض علماء آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مسألة كيفية تعلق علمه الأزلي بالمعلومات[٢]...

---

١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام: «لم يزل الله (عزّ وجل) ربنا والعلم ذاته ولا معلوم». الكافي: ج ١ ص ١٠٧ ح ١، التوحيد: ص ١٣٩ ب ١١ ح ١.

٢ ـ انظر: حياة النفس: ١٣٧ ـ ١٣٨ ب ١ ف ٤ و ٥ ط كرمان، وفي جوامع الكلم: ج٥ ص ٢٣ ـ ٢٤، ج ٢ ص ١٥١ (فائدة في كيفية تعلّق علم الله بالمعلومات). جواهر الحكم: ج ١

←

فإن تحيّرت فيما أقول بأنه كيف نَعقِل أن تكون المعلومات قبل إيجادها ووجوداتها مقتضية محتاجة سائلة، والاقتضاء فرع المقتضي، والاحتياج فعل المحتاج وفرعه، كما أن السؤال فعل السائل، فكيف يُعقل أن يكون الفعل قبل الفاعل؟

فراجع إلى ما مثّلنا لك آنفاً من أن كل مصنوع لزم أن يكون معلوماً لصانعه قبل صنعه، مع أنه في عرصة العدم وعلمه غير محتاج إلى مصنوعه لأنه موجود حاصل له ولمّا يَصنع مصنوعه، فليس الصانع محتاجاً إلى مادة مصنوعه في علمه ولا إلى صورته، بخلاف مصنوعه، فإنه بمادة وصورته محتاج إلى صانعه وإلى علمه، وإلى سبق وجوده وعلمه على نفسه، كما أن الولد محتاج إلى والديه وإلى سبق وجودهما عليه...

ثم اعلم أن العلم المتبوع غير المعلوم التابع لوجود العلم وحضوره عند العالم، ولا وجودَ للتابع المعلوم. والحكم بأن الموجود غير المعدوم من أبْدَه البديهيات عند أولي الألباب، وكذلك العلم المتبوع لا ينقلب بعد كونه موجداً لدي العالم إلى المعلوم التابع بعد إحداثه، ولا إلى مادته، ولا إلى صورته، ولا إلى شيء من مراتبه العالية وإمكاناته السابقة، فلو انقلب العلم المتبوع إلى شيء من ذلك لصار جهلاً بمقدار الانقلاب.

←

(اللوامع الحسينية) ص ١٧٠ ـ ١٧٣ اللمعة الثانية عشرة، الإشراق الرابع. والفطرة السليمة: ج ١ ص ١٧٤ المقصد الخامس، المطلب الثاني، الفصل الثامن.

ألا ترى أن الصانع لم يقبض حصة من علمه فيجعله سريراً أو باباً فليس علمه سريراً ولا باباً ولا خشباً، ولا صورة سرير ولا [صورة] باب، ولاماءاً ولا طيناً، ولا شيئاً من الإمكانات والخزائن النازل منها السرير والباب، فإن العلم المتبوع لا تَغَيُّرَ فيه ولا زوال، ولا انتقال من حال إلى حال. والأشياء النازلة من الخزائن العالية والإمكانات السابقة منتقلات من دار إلى دار متغيرات مطويات بيمين الجبار، فتدبر فيما أقول...

واعلم ـ أيّدك الله ـ أن العلم الذي هو عين المعلوم هو العلم الحادث، وهو مخلوق ـ كسائر المخلوقات ـ بالمشيّة التي هي مسبوقة بعلمه الأزلي، وهو العلم المكتوب في الكتب والألواح كما أخبر به الخبير بقوله: ﴿**عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي فِي كِتابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَ لا يَنْسَى**﴾.

فذلك العلم المكتوب في اللوح المحفوظ وفي صدور الملائكة والأنبياء والأوصياء عليهم السلام علمٌ مكتوب بالقلم.. وهو الذي علّمه الإنسان، ﴿**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**﴾، فذلك القلم المأمور بنقش الموجودات وكتبها [قد] سأل ربه سبحانه فقال: «وما أكتب؟ فقال الله سبحانه: اكتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة»[1]، فالموجودات الماضية

---

١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام، تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٧٩.

وفي رواية: «ثم قال له: اكتب. فقال له: يا رب، وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة. ذلك، ثم ختم عليه.. الخبر». علل الشرائع: ص ٤٠٢ ب ١٤٢ ح ٢.

وعن النبي صلى الله عليه وآله: «إنّ أول ما خلق الله القلم والحوت، وقال: اكتب. قال: وما أكتب، قال: كل

←

الكائنة والآتية ـ إلى يوم القيامة ـ مكتوباتُ القلم على لوح الكائنات ـ كائنة ما كانت ـ فذلك العلم وذلك النقش عين المنقوش المكتوب المعلوم.

فما ترى في كتب المشايخ الأعلام (أعلى الله مقامهم ونوّر برهانهم) من قولهم: العلم نفس المعلوم وعينه، فإنما عنوا بذلك العلم التابع الحادث بالمشيّة والقلم، لا العلم الأزلي القديم المتبوع للعلم التابع ولجميع التوابع الموجودة كما صرحوا (أعلى الله مقامهم) في غير موضع من كتبهم ورسائلهم[١].

نعم، قد يقال في بعض المواضع: إن العلم عين المعلوم والمراد من المعلوم هو المفعول المطلق الذي هو اثر العلم كما تقول: علم علماً فالمصدر المشتق هو تأكيد علم على مذهب الحق، وهو الذي عمله عمل فعله لا فرق بينه وبين فعله إلاّ أنه أثره ولا يملك الأثر شيئاً من غير مؤثره، فهو هو وهو غيره، وهو عينه وجوداً، وهو غيره صفة، ولم يقع بينهما (بينونة عزلة بل بينونتهما بينونة الصفة والموصوف)[٢]، كما أشرنا إلى ذلك مراراً...

→

شيءٍ كائنٍ إلى يوم القيامة...». بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٩٣ ح ٢٥.

١ـ جوامع الكلم: ج ١ ص ١٢٨ ـ ١٣٣ في (الرسالةالحسنية جواب السيد حسن الخراساني)، وأيضاً ص ١٥٦ (في جواب الشيخ رمضان بن إبراهيم). والأمر نفسه في الأسفار: ج ٣ المرحلة ١٠ ف ٧ و ٨ في (اتحاد العاقل والمعقول).

٢ـ من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام. انظر: الاحتجاج: ج ١ ص ٤٧٥ (احتجاجاته في التوحيد).

بالجملة، فلما كان النداء موضوعاً للطلب من المنادي والسؤال من المنادى في طلب حوائجه وطلب الإنجاح منه بالإلحاح والإجابة له كما وعده بقوله ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾...

فبعد دعوته بالأسماء.. طلب منه سبحانه حاجته.. بدعائه (روحي فداه):

«**صَلِّ عَلى**[1] **عِبادِكَ الْمُنْتَجَبينَ وَبَشَرِكَ الْمُحْتَجِبينَ، وَمَلائِكَتِكَ الْمُقَرَّبينَ، وَالْبُهْمِ الصّافّينَ الْحافّينَ**».

فعباده المنتجبون ـ على صيغة اسم المفعول ـ هو الرسول وآل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذين «انتجبهم الله لنوره، واختارهم لسرّه، واصطفاهم لقدرته، وارتضاهم لحكمته، واصطنعهم لنفسه، ورضيهم خلفاء في أرضه، وأئمة لبريته»[2] قبل خلق الخلق أجمعين من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين والسموات والأرضين وما بينها من الجن والإنس أجمعين.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**»[3]، وسبقه صلى الله عليه وآله وسلم على جميع ما يُري وما لا يُري من الخلق أجميعن.. مما سوى الله.. وقد صرح بذلك أمير المؤمنين (عليه صلوات المصلين).. بقوله في خطبته: «**استخلصه في القدم على سائر الأمم... أقامه مقامه.. في الأداء، إذ كان ﴿لا تُدْرِكُهُ**

---

١ ـ في مصباح المتهجد: «صَلِّ على مُحَمَّد وَآله، وَعَلى عِبَادِكَ...».

٢ ـ كما في الزيارة الجامعة الكبيرة.

٣ ـ الآداب الدينية (الطبرسي): ص ٢٢١، مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ٢٦٦، مشارق أنوار اليقين: ص ١٨٦، عوالي اللئالي: ج ٣ ص ١٢١ ح ٢٠٠.

الأَبْصَارُ﴾، ولا تحويه خواطر الأفكار، ولا تمثله غوامض الظنون في الأسرار»[١].

وسر ذلك: أنه سبحانه اصطعنهم لنفسه واصطنع ما سواهم لهم.. وقد ورد بذلك الخبر، وتجاوز عن حد التواتر، واشتهر... «**لولاك لما خلقت الأفلاك**»[٢]، أي «خلقتك لأجلي وخلقت الخلق لأجلك»[٣]، كما ورد أيضاً.

---

١ ـ قال عليه السلام في خطبة له يومَ الغدير: «وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، استخلصه في القدم على سائر الأمم، على علم منه انفرد عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس، وانتجبه آمراً و ناهياً عنه، أقامه في سائر عالمه في الأداء مقامه، إذ كان لا تدركه الأبصار... الخ». انظر: مصادرها في الهامش ٣ صفحة ١١٨.

٢ ـ نقدمت الرواية في صفحة ٨٧ نقلاً عن كتاب الأنوار في مولد النبي: ص ٤.

قال المحقق السيد محمد حسن ميرجهاني الطباطبائي رحمه الله: رأيتُ [في مكتبة العلاّمة الفاضل الشيخ محمد بن طاهر الفضلي السماوي رحمه الله صاحب كتاب (إبصار العين في أنصار الحسين) المتوفى سنة ١٣٧٠ هـ] نسخةً خطيّةً ثمينةً لكتاب (كشف اللآلي) لصالح بن عبدالوهاب العرندس، وحينما تصفّحت الكتاب صادفتُ فيه الحديث المذكور بهذا السند: الشيخ إبراهيم بن الحسن الذرّاق، عن الشيخ علي بن هلال الجزائري، عن الشيخ أحمد بن فهد الحلّي، عن الشيخ زين الدين علي بن الحسن الخازن الحائري، عن الشيخ أبي عبد اللّه محمد بن مكي الشهيد، بطرقه المتّصلة إلى أبي جعفر محمد بن علي ابن موسى بن بابويه القمي، بطريقه إلى جابر بن يزيد الجعفي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله (جل وعلا): «يا أحمد! لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا علي لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما». جنّة العاصمة: ص ١٤٨.

٣ ـ روي: «عبدي! خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي». مشارق أنوار اليقين: ص ٢٨٣.
ونُقل أيضاً: «يا بن آدم! خلقتُ الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي». علم اليقين: ج ١ ص ٥٠٧.

وسر ذلك أن الخلق لا يخلو من أن يكون: أصلاً أو فرعاً، ومبدأ ومنتهىً، وأباً وأماً ومتولداً بينهما، والأفلاك هي الأصول والآباء العلوية والأرضون هي الأمهات السفلية وسائر الخلق أجمعين هي المتولدات بين الآباء والأمهات، فهي بأجمعها خُلقت لأجله ﷺ، وهو بنفسه النفسية مجبول له سبحانه، كما هو محبوبه سبحانه وحده، «**لاَ حَبِيبَ إِلاَّ هُوَ وَأَهْلُه**»[1]، كما هو رواية عن دراية...

وأمروا بالشهادة كما أمروا بشهادة أن لا إله إلاّ الله في زياراتهم عليهم السلام بقولهم: أشهد «**أَنّ أَرْوَاحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطِينَتَكُمْ واحِدَةٌ، طابَتْ وَطَهُرَتْ بَعْضُها مِنْ بَعض**»[2]، وذلك صريح في الكتاب من غير ارتياب ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾، فطينتهم نورهم، ونورهم أرواحهم، وأرواحهم روح الله...

وفُسرت فيهم آية النور ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...**﴾، فهم النور، ونور على نور لتمام الظهور وإبلاغ الجحة وإيضاح المحجة...

فعباده المنتجبون هم عباده المكرمون ﴿**لايَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾ بدؤهم منه وعودهم إليه سبحانه لا فرق بينه وبينهم إلاّ أنهم عباده وخلقه ـ كما مرّ في أوائل الدعاء ـ وهم ولاة أمره المضافون إليه سبحانه.

---

١ ـ من زيارة آل ياسين، المزار الكبير: ص ٥٧٠، مصباح الزائر: ص ٤٣٢.

٢ ـ فقرة من الزيارة الجامعة الكبيرة.

وأما قوله عليه السلام: «**وَبَشَرِكَ الْمحْتَجِبينَ**» ـ بالبناء للفاعل ـ فهم [عليهم السلام].

فالمنتجبون صفة معطوفة، وهم الموصوفون، ولهم الحجب، وهم المحتجبون بأولئك الحجب، كما أن الله (سبحانه وتعالى) (هو المحتجب، والأئمة عليهم السلام حجبه)[١]، وتلك الحجب حاجبة للأغيار، مكشوفة للأخيار.. (و [هم] الباب المبتلي به الناس، من أتاهم فقد نجي ومن لم يأتهم فقد هلك، إلى الله يدعون، وبه يؤمنون، وإلى سبيله يرشدون)[٢]، ولدينهم شارحون، (وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين)[٣] نافون في كل سَلَف وخَلَف، وبهم تمّت الكلمة، وعمت النعمة، وقامت الحجّة، ووضحت المَحجّة، (ولولاهم لاندرست آثار النبوة، وانطفأت أنوار الولاية)[٤]، وهم بأنفسهم أنوار الولاية، ورواة الحكاية، وأبواب السعادة، وجهات العبادة، وألسن العبارة، وأعين الإشارة، ورُعاة أهل البشارة، وهداة المهتدين، وحماة حمى الدين، الذابّون للشاردين، الدافعون لكيد المنافقين،

---

١ ـ كما ورد عن الإمام المهدي عجل الله فرجه، الهداية الكبرى: ص ٤٣٥ ب ١٤.

٢ ـ كما في الزيارة الجامعة الكبيرة.

٣ ـ عن الصادق عليه السلام، بصائر الدرجات: ص ١٠ و ١١ ح ١ و ٣، الكافي: ج ١ ص ٣٢ ح ٢.

٤ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «رحم الله زرارة بن أعين، لو لا زرارة بن أعين، لو لا زرارة ونظراؤه لاندرست أحاديث أبي عليه السلام». اختيار معرفة الرجال ج ١ ص ٣٤٨ ح ٢١٧.

وعنه عليه السلام قال: «بشّر المخبتين بالجنة: بُريد بن معاوية العجلي، وأبو بصير بن ليث البختري المرادي، ومحمد بن مسلم، وزرارة، أربعة نجباء أمناء الله على حلاله وحرامه، لو لا هؤلاء انقطعت آثار النبوة و اندرست». اختيار معرفة الرجال: ج ١ ص ٣٨٩ ح ٢٨٦.

في كل حال وحين، على نور البراهين المورثة للقطع واليقين دون الظن والتخمين...

فتلك الحجب أنوارٌ للسالكين، غير محجوب عنهم رب العالمين، «**يَا مَنْ احْتَجَبَ بِشُعَاعِ نُورِهِ عَنْ نَوَاظِرِ خَلْقِه**»[١]، فتدبر فيما أقول وتفكر تجد المأمول، فاعلم أن حجبهم عليهم السلام أنوار كما أن حجبه سبحانه أنوار، وبتلك الأنوار يهتدي الأخيار ويفرّ الأغيار.

[الشيعة حُجبٌ لحُجب الله تعالى]

بالجملة، فأنوراهم عليهم السلام حُجبهم التي يحتجبون بها، ومنها: الملائكة المقربون.

ومنها: البُهم الصافون الحافون، والصلاة عليهم من تمام الصلاة على القُرى المباركة (صلوات الله عليهم وعليهم).

[ومنها: شيعتهم،] ولأجل ذلك نُهي عن الصلاة على محمد وأهل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأمروا بالصلاة على محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ ليدخل شيعتهم في الصلاة[٢]...

---

١ ـ دعاء الاحتجاب أو الحجب، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، تقدمت مصادره في صفحة ١٥٠.

٢ ـ عن عمار الساباطي قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال رجل: اللهم صل على محمد وأهل بيت محمد. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: «يا هذا، لقد ضيّقت علينا، أما علمت أن أهل البيت خمسةٌ أصحابُ الكساء؟». فقال الرجل: كيف أقول؟ فقال: «قل: اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، فنكون نحن وشيعتنا قد دخلنا فيه». انظر: ثواب الأعمال: ص ١٥٨.

وروي «**أنتم من آل محمد**»، قال الراوي: مِن آل محمد؟! فقال عليه السلام: «من آل محمد»[١].

وروي أيضاً خصوصاً في حق سلمان... «سلمان منا أهل البيت»[٢].

وأمروا أن يقال له سلمان المحمدي ونهوا أن يقال: سلمان الفارسي[٣].

---

١ ـ عن عمر بن يزيد عن أبي عبد الله عليه السلام: «أنتم ـ والله من آل محمد». فقلت: من أنفسهم! جعلت فداك؟ قال: «نعم ـ والله ـ من أنفسهم» ثلاثاً... الخبر. تفسير القمي: ج ١ ص ١٠٥، تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٧ ح ٦١، مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٥٨.

وفي رواية: قال: قلت له من آل محمد؟ قال: «إي ـ والله ـ من آل محمد، إي ـ والله ـ من أنفسهم، أما تسمع الله يقول: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾؟ و قول إبراهيم: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾؟». تفسير العياشي: ج ٢ ص ٢٣١ ذيل ح ٣٣.

٢ ـ تفسير الإمام العسكري: ص ١٢١ ح ٦٣، تفسير فرات الكوفي: ص ١٧١ ح ٢١٨، بصائر الدرجات: ص ١٧ ح ١٣، الكافي: ج ١ ص ٤٠١ ح ٢، عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ٦٤ ب ٣١ ح ٢٨٢، بشارة المصطفى: ص ٣٢٩، اختيار معرفة الرجال: ج ١ ص ٥٤ ح ٢٦.

قال الميرزا المامقاني: ربما يتوهم من لا غور له في الحقائق الإلهية أن المراد بقولهم عليهم السلام: (إن سلمان منا)، أنه من سنخ طينة حقائقهم وذواتهم، وهو غلط مردود، فإن طينة محمد وآله المعصومين عليهم السلام طينة مخصوصة ليس لمن عداهم فيها نصيب حتى الأنبياء والمرسلين، بدلالة الأخبار الصحيحة، وإنما المراد به كونهم منهم في طينة الصفة التي هي طينة سائر الأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام؛ لأن الأئمة عليهم السلام شاركوهم في تلك الطينة في مقام التنزّل، فتلك الطينة من شعاع طينتهم الأصلية في المرتبة الأولى من نزولهم، فافهم وتبصر. انهى. انظر: صحيفة الأبرار: ج ١ ص ١٣١ ذيل الحديث ٨٤.

٣ ـ عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لاتقولوا: سلمان الفارسي، ولكن قولوا: سلمان المحمدي؛ ذلك رجل منّا أهل البيت». اختيار معرفة الرجال: ج ١ ص ٥٤ ح ٢٦.

وروي: (في كل عصر سلمان وأبو ذر)[١].

وروي: «إن لنا في كل خَلَفٍ عدولا ينفون عن ديننا تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»[٢].

فهم الحُجب، والأنوار لهم عليهم السلام وهم المحتجبون بشعاع أنوارهم عن نواظر سائر الخلق كما انه سبحانه محتجب بشعاع نوره عن نواظر خلقه كما تقرأ في دعاء الاحتجاب: «**يَا مَنْ احْتَجَبَ بِشُعَاعِ نُورِهِ عَنْ نَوَاظِرِ خَلْقِه**»[٣].

ولا تزعم [أن] الأنوار والحجب في امثال هذه المقامات أعراضاً غير متأصلة بل الأنوار جواهر متأصلة.

فكما روي: «هو المحتجب ونحن حجبه»[٤].

---

١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً﴾ قال: «وهذا اليوم يوم الموت، فإن الشفاعة والفداء لا يغني عنه، فأما في القيامة، فإنا وأهلنا نجزي عن شيعتنا كل جزاء... ـ إلى قوله ـ فنرى بعض شيعتنا في تلك العرصات ممن كان مقصراً في بعض شدائدها، فنبعث عليهم خيار شيعتنا، كسلمان، والمقداد، وأبي ذر، وعمار، ونُظرائهم في العصر الذي يليهم، ثم في كل عصر إلى يوم القيامة فينقضون عليهم كالبزاة والصقور، ويتناولونهم كما تتناول البزاة والصقور صيدها، فيزفّونهم إلى الجنة زفّاً». تفسير الإمام العسكري: ص ٢٤٢، تأويل الآيات الظاهرة: ص ٦٠.

٢ ـ عن الصادق عليه السلام، بصائر الدرجات: ص ١٠ و ١١ ح ١ و ٣، الكافي: ج ١ ص ٣٢ ح ٢.

٣ ـ دعاء الاحتجاب أو الحجب، عن النبي صلى الله عليه وآله، تقدمت مصادره في صفحة ١٥٠.

٤ ـ عن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، الهداية الكبرى: ص ٤٣٥ ب ١٤.

وهم «**جواهر أوائل العلل**»[١] بهم صارت سائر الجواهر جواهراً[٢].

بالجملة، فشيعتهم شعاعٌ لهم، وهم جواهر.

وقدروي: «إنما سميت الشيعةُ شيعةً لأنهم خلقوا من شعاع نورنا»[٣].

وروي: «شيعتنا منا كشعاع الشمس من الشمس»[٤].

---

١ ـ سُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن العالَم العلوي فقال: صور عارية عن المواد، خالية عن القوة والاستعداد، تجلى لها فأشرقت، وطالعها بنوره فتلألأت، وألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله، وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة، إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابهت جواهر أوائل عللها وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد. عيون الحكم والمواعظ: ص ٣٠٤ رقم ٥٤١٨، غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٢٣ رقم ٧٥.

٢ ـ عن أبي جعفر عليه السلام: «فنحن أوّل خلق ابتدء الله، وأوّل خلق عَبد الله وسبّحه، ونحن سبب خلق الخلق، وسبب تسبيحهم وعبادتهم من الملائكة والآدميّين، فبنا عرف الله، وبنا وُحّد الله، وبنا عُبد الله....». بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٣٠.

٣ ـ عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الله سبحانه تفرّد في وحدانيته، ثم تكلّم بكلمة فصارت نوراً، ثم خلق من ذلك النور محمداً و علياً و عترته.. ـ إلى قوله ـ ثم خلق شيعتنا، و إنّما سمّوا شيعة لأنّهم خلقوا من شعاع نورنا». مشارق أنوار اليقين: ص ٦٥، غرر الأخبار: ص ٢٠٤.

عن ابن عباس، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين! كيف ينظر بنور الله (عز وجل)؟ قال عليه السلام: «لأنا خُلقنا من نور الله، وخُلق شيعتنا من شعاع نورنا، فهم أصفياء أبرار أطهار متوسمون، نورهم يضيء على من سواهم كالبدر في الليلة الظلماء». بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٢١ ح ٣٢.

٤ ـ عن المفضل، عن الصادق عليه السلام قال: «يا مفضل! أتدري لم سمّيت الشيعة شيعة؟ يا مفضل! شيعتنا منّا، ونحن من شيعتنا، أما ترى هذه الشمس أين تبدو؟». قلت: من مشرق. وقال: «إلى أين تعود؟». قلت: إلى مغرب. قال عليه السلام: «هكذا شيعتنا، منّا بَدؤا

←

كما روي: «ينفصل نورنا من نور ربنا كما ينفصل نور الشمس من الشمس»[١].

فهم عليهم السلام جواهر نورانيون وأنوار الله تعالى بين ظهراني الخلق، فكذلك شيعتهم منهم عليهم السلام جواهر نورانيون[٢].

و[هم] أنوارهم عليهم السلام، وحجبهم، وحجبهم على من سواهم.

وقد روي عن القائم الغائب (عجل الله فرجه): «**أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجّتي عليكم، وأنا حجّة الله**»[٣].

وروي عن الصادق عليه السلام: «انظروا إلى رجل منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فارضوا به حكماً فإني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا ولم يقبل منه فكأنما بحكم الله استخف وعلينا رد، والرّاد علينا الراد على الله، وهو في حد الشرك بالله»[٤].

←

وإلينا يعودون». بحار الانوار: ج ٢٥ ص ٢١ ح ٣٤.

١ ـ عن أبي جعفر عليه السلام: «يفصل نورنا من نور ربنا كشعاع الشمس من الشمس». بحارالأنوار: ج ٢٥ ص ١٧ ح ٣١، ج ٥٤ ص ١٦٩ ح ١١٢.

٢ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام: «إن لكل شيء جوهراً وجوهر وُلد آدم محمدٌ صلى الله عليه وآله ونحن وشيعتنا». الكافي: ج ٨ ص ٢١٢ ح ٢٦٠، المحاسن: ج ١ ص ١٤٣ ب ١١ ح ٣٩.

وعن سليمان الديلمي عنه عليه السلام قال: «ألا وإن لكل شيء جوهراً، وجوهر ولد آدم محمد صلى الله عليه وآله وأنتم يا سليمان». الأمالي (للطوسي): ص ٧٢٣ المجلس ٤٣ ح ٦.

٣ ـ كمال الدين: ص ٤٨٤ ب ٤٥ ح ٤، كتاب الغيبة: ص ٢٩١ ف ٤ ح ٩.

٤ ـ الكافي: ج ١ ص ٦٧ ح ١٠، ج ٧ ص ٤١٢ ح ٥ بتفاوت يسير.

بالجملة، فلتلك الحجب والأنوار وأولئك الأخيار الأبرار مراتب عديدة صاعدة ونازلة، فأعلاها مرتبة «العلماء الحكماء، كادوا من الحكمة أن يكونوا أنبياء»[١]، وهم البرازخ من النقباء[٢]، وحقائقهم قريبة من حقائق

---

١ ـ عن أبي جعفر عليه السلام: «بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض أسفاره إذ لقيه ركب فقالوا: السلام عليك يا رسول الله. فقال: ما أنتم؟ فقالوا: نحن مؤمنون يا رسول الله. قال: فما حقيقة إيمانكم؟ قالوا: الرضا بقضاء الله والتفويض إلى الله والتسليم لأمر الله. فقال رسول الله رسول الله صلى الله عليه وآله: علماء حكماء، كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء». الكافي: ج ١ ص ٥٢ ـ ٥٣ ح ١، المحاسن: ج ١ ص ٢٢٦ ب ١٤ ح ١٥١، التوحيد: ص ٣٧١ ب ٦٠ ح ١٢.

٢ ـ عن جابر الجعفي، عن زين العابدين عليه السلام: «يا جابر: أتدري ما المعرفة». قلت: لا أدري قال: إثبات التوحيد، أولاً، ثم معرفة المعاني ثانيا، ثم معرفة الأبواب ثالثاً، ثم معرفة الأيتام رابعاً، ثم معرفة النقباء خامساً، ثم معرفة النجباء سادساً، ثم معرفة المختصين سابعاً، ثم معرفة المخلصين ثامناً، ثم معرفة الممتحنين تاسعاً». الهداية الكبرى: ص ٢٢٩ ب ٦، المناقب (للعلوي): ص ١٢٥ في (حديث الخيط)، وعنه في بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ١٣.

قال الشيخ أحمد الأوحد (أعلى الله مقامه): إن سلمان أفضل من جبرئيل عليه السلام، وما روي عن الصادق عليه السلام: «إن سلمان أفضل من لقمان» [بصائر: ص ١٨ ح ١٣] ظهر لك أن سلمان ليس من نوع سائر الناس من المؤمنين، بل الذي يتلجلج في قلبي أنه إما أن يكون من نوع الأنبياء عليهم السلام ـ الذين هم الشيعة الخصّيصون ـ أو من البرازخ التي بين الأنبياء والمؤمنين الذين هم الشيعة الخواص، وهذه الرتبة هي رتبة الأبدال الذبن يسمّون بالنقباء كما في حديث زين العابدين عليه السلام. انظر: جوامع الكلم: ج ٩ (الرسالة الطاهرية) ص ٦٤١.

وقال الحاج محمد كريم (أعلى الله مقامه): وسرُّ تردد الشيخ (أعلى الله مقامه) أن سلمان وأضرابه من أهل الأفئدة، والفؤاد قد يُضاف إلى عالم الأمر؛ نظراً إلى أن (العقل أول ما خلق الله)... والواجب على أتباع كل رئيس رد متشابه كلامه الى محكمه، وصار بين

←

الأنبياء عليهم السلام، فحدودهم التامة ورسومهم الكاملة ماعرّفه أمير المؤمنين (عليه صلوات المصلين): «**وهي بقاء في فناء، ونعيم في شقاء، وفقر في غناء، وصبر في بلاء، وعزّ في ذل، والرضا والتسليم، من غير وجدان حرجٍ في قلوبهم، وخلجٍ في صدورهم**»[1]، وأدناها مرتبة الإنسانية والصعود عن المرابض البهيمية الحيوانية، وهي ما عرّفه أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً: «**علم، وحلم، وذكر، وفكر، ونباهة، ونزاهة، وحكمة**»[1]، ولا يمكن التفصيل لضيق المجال في كيفية كل واحد من هذه الخصال...

بالجملة، وبين ذين مراتبُ عديدة لم تخرج من البين، وقد صعد أهلها عن السمع والبصر والشم والذوق واللمس والشهوة والغضب والظلم والغشم وسائر الحدود الحيوانية، فضلاً عن الحدود النباتية من الجذب والإمساك والهضم والدفع والربا والزيادة والنقصان، وسائر الحدود النباتية، فمن وجد فيه الحدود الحيوانية والنباتية... فليس هؤلاء بالحُجب والأنوار للائمة الأطهار (عليهم صلوات الله الواحد الجبار القهار) وهم أجل وأعظم وأكرم من أن يجعلوا حيواناً أو نباتاً أو جماداً هادياً للخلق.. أو حاكماً لهم ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾، والكافرون هم الظالمون

→

تلامذة الشيخ من الضروريات أن الشيخ (أعلى الله مقامه) قائل بأن الشيعة أشعة الأنبياء وهم أعلى من الشيعة درجة. مجموعة الرسائل: ج ٦٥ ص ١١٩ و ١١٨ (في جواب سؤالات الميرزا محمد باقر (أعلى الله مقامه) شارح هذا الدعاء).

١ ـ جوابه للسؤال عن النفس، كشكول البهائي: ج ٢ ص ١٦٨، بحار الأنوار: ج ٦١ ص ٨٥.

الفاسقون ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾، وهم العدو لله ولرسوله وأنبيائه وأوليائه ومشايعيهم من عصر آدم الى زماننا هذا وبعد ذلك، كما أخبر الله سبحانه ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾، وهم الذين «أَسَّسُوا أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ» على أولياء الله «وَبَنَوا عَلَيْهِ بُنْيَانَهُمْ».

وقد نصب الله ورسوله وأوصياؤه (صلوات الله عليهم) في مقابلهم (لعنهم الله) «عُلَمَاءَ حُكَمَاءَ، كَادُوا أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْبِيَاءَ»، مرابطين في الثغور[1]؛ لإتمام النعمة وإظهار الحجّة وإبلاغها إلى المكلّفين؛ لتبيين الرشد من الغي، وقطع العذر عنهم في السلوك إلى الله في المحجة، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾، ولو لا وجود أولئك الابرار في مقابل هؤلاء الأشرار لالتبس على المسلمين أمر الاسلام بغلبة الظلاّم من هؤلاء الطعام اللئام، ولذا ورد في (تفسير الإمام) عليه السلام «لو لا من يبقي بعد غيبة الإمام عليه السلام من العلماء الدالين لالتبس على المسلمين دينهم»[2].

---

١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام: «متفرقين في كل بلاد قاصية، بهم يَشفي اللّهُ السقيم ويُغني العديم، وبهم تُنصرون، وبهم تُمطرون، وبهم تُرزقون، وهم الأقلّون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً وخطراً». تحف العقول: ص ٣٢٥.

٢ ـ عن الهادي عليه السلام: «لولا مَن يبقى بعد غيبة قائمكم من العلماء الداعين إليه والدالين عليه

←

ولذا روي «إن لنا في كل خلف عدولا ينفون عن ديننا تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»[١].

بالجملة، فلما كان من تمام الصلاة على النبي وآله ﷺ الصلاة على أنوارهم وحجبهم ـ كما عرفت آنفاً ـ طلب عليه السلام وسأل ربه أن يصلي على الملائكة المقربين والبهم الصافين الحافين فإن الملائكة المقربين وشيعتهم الممتحنين بالإيمان خُلقوا من شعاع أنوارهم عليهم السلام.

فالبُهَم (كغرف) جميع بُهمة (كغرفة) وهي الجيش كما صرح به في (القاموس)[٢].

فمعنى البُهم لغة هو الجيوش[٣]، ﴿**وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾، وإنما عبّر عن شيعته بالبُهم «**لأن قلوبهم مبهمة على الإيمان**»[٤] بهم وبما

→

والذابين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله و لكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكّانها، أولئك هم الأفضلون عند الله (عز وجل)». تفسير الإمام العسكري: ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥، الاحتجاج: ج ٢ ص ٥٠٢.

١ ـ عن الصادق عليه السلام، بصائر الدرجات: ص ١٠ و ١١ ح ١ و ٣، الكافي: ج ١ ص ٣٢ ح ٢.

٢ ـ القاموس المحيط: ج ٤ ص ١٦.

٣ ـ الصحاح: ج ٥ ص ١٨٧٥، وفي مقاييس اللغة: ج ١ ص ٣١١ (البهمة: جماعة الفرسان)، وفي المحيط في اللغة: ج ٤ ص ١٢ (البهمة: الكتيبة)، وفي المخصص: ج ٣ ص ٥٧ (البهمة: الجماعة والفئة).

٤ ـ عن علي بن جعفر، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: «إن الله خلق قلوب المؤمنين مطويّة

←

جعل الله لهم عليهم السلام من المراتب ـ كما [ترى] بعضها في هذا الدعاء الشريف والحرز المُنيف، الذي صدر عن آخر الأوصياء المرضيين (عجل الله فرجه) فى أول الأشهر الحرم الأربعة[1]، الذي يجب على المسلمين ترجيبه وتعظيمه وحفظ شعائر الله فيه ـ وهم عليهم السلام بواطن شعائر الله وحقائقها[2]،

→

مبهمة على الإيمان». الكافي: د ٢ ص ٤٢١ ح ٣.

١ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما ثقل في مرضه قال: أيها الناس! إن السنة ﴿اثْنا عَشَرَ شَهْراً﴾ ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُم﴾، ثم قال بيده: رجب مفرد، وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثلاث متواليات...الخبر». تهذيب الأحكام: ج ٤ ص ١٦١ ح ٢٦.

وأيضاً عن أبي جعفر عليه السلام: «ما خلق الله بقعة في الأرض أحب إليه منها ـ ثم أومى بيده نحو الكعبة ـ ولا أكرم على الله تعالى منها، لها حرّم الله الأشهر الحرم في كتابه ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ﴾، ثلاثة متوالية للحج: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، وشهر مفرد للعمرة وهو رجب». الكافي: ج ٤ ص ٢٤٠ ح ١.

٢ ـ يناسب في المقام أن نورد هذه الروايات الشريفة:

* عن أمير المؤمنين عليه السلام: «نحن الشعائر، والأصحاب». نور الأنوار: ص ١٦٩. ولعله معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللّه﴾. ومعنى كلامه عليه السلام إما رسول الله والأئمة (صلوات الله عليهم) أو الأئمة عليهم السلام خاصة، فإنهم أعظم شعائر الله وأفضلها، ولا ريب في أن تعظيم ما ينتسب إليهم تعظيم لهم، فتعظيم ما يختص بهم وينتسب إليهم تعظيم لهم.

* وعنه عليه السلام: «نحن الصلاة والصيام والليالي والأيام والشهور والأعوام». مشارق أنوار اليقين: ص ٢٦١ (الخطبة الافتخارية.)

* وعن داود الرقي، عن أبي عبد الله عليه السلام تناول رقاً أبيضَ ففضه ودفعه إليّ وقال: «اقرأه»، فقرأته وإذا فيه سطران، السطر الأول: (لا إله إلاّ الله محمد رسول الله) والثاني: ﴿إِنَّ عِدَّةَ

←

والشهر شهرهم، فقد شهر مراتبهم ومقاماتهم فيه، وهي مقامات الله وعلاماته ـ كما عرفتَ إن شاء الله ـ وذلك من قول العرب: فَرسٌ بهيم، أي

➔

الشُّهُور عِنْدَ اللَّه اثْنا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الأَرْضَ مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾، (أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، الحسن بن علي، الحسين بن علي، علي بن الحسين محمد بن علي، جعفر بن محمد، موسى بن جعفر ،علي بن موسى، محمد بن علي، علي بن محمد، الحسن بن علي، الخلف الحجة). ثم قال: «يا داود! أتدري متى كتب هذا في هذا؟». قلت: الله أعلم ورسوله وأنتم. فقال: «قبل أن يخلق الله آدم بألفي عام». الغيبة (للنعماني): ص ٨٨ ب ٤ ص ١٨.

* وعن جابر الجعفي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في تأويل الآية قال: «يا جابر، أما السنة جدي رسول الله، وشهورها الاثنا عشر من جدي أمير المؤمنين إلى الخلف المهدي من ولد الحسين اثنا عشر إماماً، وأما الأربعة الحرم منّا ففهم أربعة أئمة باسمٍ واحد: علي أمير المؤمنين وعلي بن الحسين وعلي بن موسى و علي بن محمد و الإقرار بهؤلاء الدين القيم». الهداية الكبرى: ص ٣٧٧ ب ١٤.

* وجاء في الغيبة (للنعماني): ص ٨٦ ـ ٨٧: ومعرفة الشهور: المحرم وصفر وربيع وما بعده، والحُرم منها هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، لا تكون ديناً قيّماً؛ لأن اليهود والنصارى والمجوس وسائر الملل والناس جميعاً ــ من الموافقين والمخالفين ـ يعرفون هذه الشهور، ويعدّونها بأسمائها، وإنما هم الأئمة عليهم السلام والقوامون بدين الله، والحُرم منها أمير المؤمنين علي الذي اشتق الله تعالى له اسماً من اسمه العلي كما اشتق لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم اسماً من اسمه المحمود، وثلاثة من ولده أسماؤهم علي: علي بن الحسين ،وعلي بن موسى وعلي بن محمد، فصار لهذا الاسم المشتق من اسم الله (عز وجل) حرمة به. انتهى.

مُصمت لا يخالط لونه شيء سوى لونه[١].

ومنه: الحديث: «شيعتنا البُهم»[٢].

وفيه أيضاً: «قلوب المؤمنين مبهمة على الإيمان»[٣]، أي مصمتة لا يخالطها شيء سوى الإيمان.

وكما ورد في الحديث: «يُكره الحرير المُبهم للرجال»[٤]، أي الخالص الذي لا يمازجه شيء.

فلأجل ذلك عبّر عنهم عليهم السلام بالبُهم، ولكون البُهمة بمعنى الشجاع الذي لا يُهتدى من أين يؤتى[٥]، وبمعنى الجيش كما في (القاموس)[٦].

والجنود والجيوش لابد فيهم من الشجاعة ولاسيما جنود الله وجيوشه، فهم المجاهدون في سبيل الله، الذابّون الدافعون عن حمى الله ودينه وأهل دينه.

---

١ ـ الصحاح: ج ٥ ص ١٨٧٥، المخصص: ج ٣ ص ٥٧، لسان العرب: ج ١٢ ص ٥٩.

٢ ـ لم أقف على مصدره، ولكن أورده الطريحي رحمه الله في مجمع البحرين: ج ٦ ص ٢٠.

٣ ـ تقدم في صفحة ٢١٦ هامش رقم ٤.

٤ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٢٦٤ ح ٨١٣، الاستبصار: ج ١ ص ٣٨٦ ب ٢٢٥ ح ٦، تهذيب الأحكام: ج ٢ ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ ب ١١ ح ٨١٧ وفيه: (الحرير البُهم).

٥ ـ جمهرة اللغة: ج ١ ص ٣١٨، تهذيب اللغة: ج ٦ ص ١٧٩، المخصص: ج ٣ ص ٥٦، الصحاح: ج ٥ ص ١٨٧٥، مقاييس اللغة: ج ١ ص ٣١١، لسان العرب: ج ١٢ ص ٥٨.

٦ ـ القاموس المحيط: ج ٤ ص ١٦.

[الجهاد الأكبر والأصغر]

ولعلك عرفت أن الجهاد جهادان الجهاد الأصغر والجهاد الأكبر كما روي عن النبي ﷺ بعد (رجوعه) من الجهاد الأصغر [قال]: «عليكم بالجهاد الأكبر»، قيل وما الجهاد الأكبر؟ فقال ﷺ: «عليكم بجهاد النفس»[1]، وهو الجهاد الذي قال الله (تبارك وتعالى): ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾، حيث أكد الله (تبارك وتعالى) بلام التأكيد ونون التأكيد الثقيلة التي ثقلها تأكيد على تأكيد اللام.

ولعلك عرفت أن المجاهدين بالجهاد الأصغر ربما كانوا ضعفاء العقول جديدي الإسلام وإن كانوا أقوياء في الأبدان، وربما كان بعضهم منافقين ﴿**فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**﴾، وأما المجاهدون بالجهاد الأكبر مهتدون إلى سبيل الله ودينه، بإخبار الله (تبارك وتعالى)... فلأجل ذلك روي أن (مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء)[2].

---

١ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام وعن أبي عبد الله عليه السلام: «أن النبي ﷺ بعث بسريةً، فلما رجعوا قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي الجهاد الأكبر. قيل: يا رسول الله! وما الجهاد الأكبر؟ قال: «جهاد النفس». الكافي: ج ٥ ص ١٢ ح ٣، معاني الأخبار: ص ١٦٠.

٢ ـ عن رسول الله ﷺ وأبي عبد الله عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة جمع الله (عز وجل) الناس في صعيد واحد ووضعت الموازين فتوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء». من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٩٨ ح ٥٨٥٣. الأمالي (للطوسي): ص ٥٢١ ب ١٨ ح ٥٦.

بالجملة، وتوصيفه عليه السلام لهم بـ«**الصّافّينَ الْحافّينَ**» يُشعر بأنهم قائمون بأمر الجهاد الأكبر صفاً صفاً، حافين، محيطين، غالبين، قاهرين على الأعداء بالأدلة القاطعة للأعذار المورثة للقطع واليقين للمؤمنين والكافرين والمنافقين والمكلفين أجمعين، بحيث لم يبق ولا يبقى لذي مقال مقال، ولذي اعتذار اعتذار، ولذي حجة حجة، لإتمام الحجة الإلهية وإيضاح المحجة... فذلك شأنهم الظاهر بظاهر الأدلة الثلاثة: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، بحيث لا يتطرق فيها الخطاء وشيء من الاشتباه، إذ خلق وجودهم لرفع الشبهات ودفع البليّات ورفع المنازعات والاختلافات، ووضع الحاكم.

[فائدة إرسال الرُّسل]

وفائدة وجوده وثمرة حكمه رفع النزاع بين المتنازعين والانتظام في أمور الأنام؛ وذلك سر إرسال الرسل وإنزال الكتب ولولا ذلك لبطل النظام وهلك الانام ولم يميز الحق عن الباطل والمحلى عن العاطل وعلى الله سبحانه إحقاق الحق وإبطال الباطل ولو كره المبطلون، فلم يخل بخلق امثال أولئك العلماء «النافين عن الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»[1]، وشك الشاكين ووهم المتوهمين وتحير المتحيرين وخرص الظانين وتغيير المغيرين وتلبيس الشياطين من الإنس والجن

---

١ ـ عن الصادق عليه السلام، بصائر الدرجات: ص ١٠ و ١١ ح ١ و ٣، الكافي: ج ١ ص ٣٢ ح ٢.

أجمعين، ولو لا وجود أولئك العلماء الحاكمين من عند رب العالمين في كل عصر وزمان وسلف وخلف «لم يخضر للإسلام عود، ولم يبق للإيمان عمود»[1].

ولو رضي الله سبحانه بهلاك خلقه من حيث لم يشعروا به ولم يعتن بنجاتهم، لم يُرسل الرسل ولم يُنزل الكتب، فإرسال الرسل وإنزال الكتب ووضع الشرائع والأحكام بين الأنام أدلُّ دليل وأوضح سبيل على عدم رضاه سبحانه بهلاك خلقه، واعتنائه التام الكامل بنجاتهم، ﴿**وَلاَ يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ**﴾، واعتنائه سبحانه بنجاة الخلق أكثر وأشد من أعتنائه بخلقهم وخلق السموات والأرضين؛ لأنه قال: ﴿**مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾، وقال: ﴿**رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلاً**﴾، فالعبادة الحقة هي العلّة الغائيّة لخلق أنفس الخلائق أجمعين، فلو لم تحصل الغاية لصار خلق وجودهم ـ بل خلق السموات والأرضين ـ باطلاً، ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً**﴾، فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ولم يخلق الله سبحانه فعلاً من غير فاعل، ولا علماً من غير عالم، ولا ديناً من غير متدين، ولا إيماناً من غير مؤمن، ولا إسلاماً من غير مسلم، ولا حقاً من غير محق، ولا دليلاً من غير مستدل، ولا هداية من غير هاد، ولا

---

١ ـ مقتبس من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، حيث قال: «**فَلَمَّا رَأَى اَللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا اَلْكَبْتَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا اَلنَّصْرَ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الإِسْلاَمُ، مُلْقِياً جِرَانَهُ وَمُتَبَوِّئاً أَوْطَانَهُ، وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ وَلاَ اخْضَرَّ لِلإِيمَانِ عُودٌ**». نهج البلاغة، الخطبة ٥٥.

رعاية من غير راع، وهكذا كل فعل فرع لفاعله.. و«أبى الله أن يجري الأشياء إلاّ بأسبابها»[١]، وحكمته مقتضية لأن يخلق الممكن والإمكان، وأن لا يتعلق فعله بالمحال، وخلق الفعل من غير فاعل أمر محال، وذلك بديهي بحيث لا يبقى لذي مجال مجال، ولذي مقال مقال، ولا ينكره إلاّ الجهال...

بالجملة، هذه نبذة من حال ظاهر أمر أولئك الرجال.

وأما أمرهم في عالم الغيب والتصرفات الغيبية... والمختصر الذي لا ينافي قصد الاختصار.. أنهم الدرجات من رفيع الدرجات ذي العرش في الكرسي وفلك البروج الاثني عشر (صلوات الله عليهم)، فهم النواب البُوّاب والأبواب للإمام عليه السلام في إجراء ما أراد في المُلك والملكوت، وأسماء وصفات له عليه السلام، يَحرم التسمية بخصوصهم في زمن الغيبة ودولة الباطل وطغيان الطغام وعموم الظلاّم وغلبة اللئام، فهم رجال الغيب للغائب والغوث الأعظم[٢]، وسبب غيابهم سبب غياب الغوث الأعظم (عجل الله فرجه وسهل

---

١ ـ قال أبو عبد الله عليه السلام: «أبى الله أن يجري الأشياء إلاّ بالأسباب، فجعل لكل شيء سبباً، وجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكل شرح مفتاحاً، وجعل لكل مفتاح علماً، وجعل لكل علم باباً ناطقاً، من عرفه عرف الله ومن أنكره أنكر الله ذلك رسول الله ونحن». الكافي: ج ١ ص ١٨٣ ح ٧، بصائر الدرجات: ص ٦ و ٥٠٥ ح ٢، مختصر البصائر: ص ١٨٣ ح ١٦٢.

٢ـ قال الحاج محمد كريم (أعلى الله مقامه): فالشيعة [هم] ظهور الإمام عليه السلام واسمه وصفته ونوره وشعاعه، كما أنهم عليهم السلام ظهور الله واسمه وصفته ونوره وشعاعه، ولذا روي (يفصل نورنا من نور ربنا كما يفصل نور الشمس) وشيعتهم أيضاً منهم كشعاع الشمس من ←

مخرجه)، وقد أشير إلى نوع من البيان في ذكر حديث حدوث الأسماء لله تعالى[١]، فهم حُجب النور وقُمص الظهور[٢] لمن سبقت له من الله الحسنى..

بالجملة، بعد الصلاة واتمامها والامتثال لأمر الله سبحانه بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾، والتوسل بالوسائل؛ لقوله سبحانه: ﴿**وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ**﴾، علم عليه السلام الأعلام جوامع الحاجات وسؤالها من رفيع الدرجات وقاضي الحاجات ومجيب الدعوات بقوله عليه السلام: «**وَبارِكْ لَنا فِي شَهْرِنا هذَا الْمُرَجَّبِ الْمُكَرَّمِ وَما بَعْدَهُ مِنَ الأَشْهُرِ الْحُرُمِ، وَأَسْبِغْ عَلَيْنا فِيهِ النِّعَمَ، وَأَجْزِلْ لَنا فِيهِ الْقِسَمَ**».

→

الشمس... فزمان الغيبة حقيقة زمان خفاء الأنوار والظهورات والأشعة والآثار والصفات... فتبين وظهر وجوب إخفاء اسم الإمام عليه السلام، وقد عرفت أن اسم الإمام صفته، وصفته شعاعه، وشعاعه شيعته، وهذا الاسم اللفظي وصف منفصل... فالاسم الكوني هو الشيعة، وهو في زمان الغيبة غائب، ولنعم ما قال الشاعر:

لله تحت قباب العرش طائفة أخفاهم عن عيون الناس إجلالا

وهم الذين لا يظهرون إلاّ بظهور الإمام فإن الشعاع لا يظهر إلاّ بطلوع الشمس... فالاسم المعين للمسمى الموضوع للظهور الكلي الخاص فلا يجوز إظهاره في زمان الغيبة. انظر: مجموعة الرسائل: ج ٦٥ ص ١٩٣ و ١٩٥ و ١٩٩ (في جواب محمد جواد القزويني).

١ ـ تقدم في صفحة ٦١.

٢ ـ كتاب فكّر (توحيد المفضل): ص ٢٢٩ المجلس ٥، صحيفة الأبرار: ج ١ ص ٢٧٧ ح ٦.

[الفرق بين البركة والفضل]

فالبركة هي الفضل والزيادة[١]. والفضل غير العدل، فالعدل هو معاملة المثل بالمثل[٢]، كالثمن والمُثمن، وقد عامل الله العدل بالعدل من غير ظلم مع أهل السيئات، وجعل جزاء سيئةٍ سيئةً، المثل بالمثل[٣].

وأما الفضل هو المعاملة والإعطاء من غير استحقاق من المحتاج، مجاناً بلا عوض، فلأجل ذلك عَلّم الله سبحانه عباده أن يسألوه من فضله فقال: ﴿**وَسْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِه**﴾، وفضله [هو] رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّه وَبِرَحْمَتِه فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ أي برسوله ورحمة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أو رحمته سبحانه، وهو أيضاً رحمة للعالمين، فبذلك الفضل والرحمة والبركة ﴿**فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ من الأعمال والأموال، لأنها من آثار العباد واكتساباتهم... وما لديهم من آثارهم.. إلاّ المؤمنين فإنهم برسول الله وآله صلى الله عليه وآله وسلم فرحون، وهم الباقون عند الله[٤]، ﴿**وَمَنْ عِندَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِه وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ**﴾...

---

١ ـ كتاب العين: ج ٥ ص ٣٦٨، جمهرة اللغة: ج ١ ص ٣٢٥، تهذيب اللغة: ج ١٠ ص ١٣٠ ـ ١٣١، المحيط في اللغة: ج ٦ ص ٢٦٠، الصحاح: ج ١٥ ص ١٥٧٥، لسان العرب: ج ١٠ ص ٣٩٥، القاموس المحيط: ج ٣ ص ٣٩٩.

٢ ـ النهاية في غريب الحديث: ج ٣ ص ١٩١، القاموس المحيط: ج ٣ ص ٥٦٩.

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها﴾ سورة الشورى، الآية ٤٠.

٤ ـ عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِه ... الآية﴾ قال: «يا مفضل، ألستم تعلمون أن

←

فقوله عليه السلام: «**وَبارِكَ لَنا**».

أي تفضل علينا وعاملنا بفضلك الصادر منك الراجع إليك، وهو من عندك، وهو ﴿**خَيْرٌ وَأَبْقى لِلَّذينَ آمَنُوا**﴾ ﴿**مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ بأنفسهم «وإن زكت، ولا يرونها مُنجية لهم وإن صلحت، إلاّ بولايتهم عليهم السلام والائتمام بهم والإقرار بفضائلهم»[1]، وفضائلهم [هي] أنهم بأنفسهم فضل الله ونوره وظهوره بين العباد، وهو سبحانه أوجد وأظهر منهم من أنفسهم، بل، نفسهم «**نَفْسُ اَللَّه اَلْقَائمَة فيه بالسُّنَن وَعَيْنه الَّتي مَنْ عَرَفَهَا يَطْمَئن**»[2].

وأما قوله عليه السلام: «**في شَهْرِنا هذَا الْمُرَجَّب**».

فالمرجب: هو المعظم واشتق من لفظ رجب وهو «نهر في الجنة، أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل»[3].

→

﴿مَنْ فِي السَّماوات﴾ هم الملائكة و(من في الأرض) هم الجان والبشر وكل ذي حركة، فمن الذين فيهم ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ الذين قد خرجوا من جملة الملائكة؟». قال المفضل: من تقول يا مولاي؟ قال: «يا مفضل، ﴿وَمَنْ﴾ نحنُ الذين كنا عنده ولا كون قبلنا ولا حدوث سماء ولا أرض ولا مَلَك ولا نبي ولا رسول». الهداية الكبرى: ص ٤٣٣ ب ١٤.

١ ـ كما في دعاء الاعتقاد المروي عن الكاظم عليه السلام، يشهد الشهادتين، ثم يقول: «وَأَنَّ عَلِيّاً أَميرُ الْمُؤْمنينَ إِمَامي وَ مَحَجَّتي... ـ إلى قوله ـ إِمَامي وَمَحَجَّتي وَمَنْ لا أَثِقُ بالأَعْمَال وَإِن زَكَتْ وَلاَ أَرَاهَا مُنْجيَةً لي وَإِنْ صَلَحَتْ إِلاَّ بوَلاَيَته وَالإئتمَام به وَالإقْرَار بفَضَائله... الخ». مهج الدعوات: ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣، البلد الأمين: ص ٣٨٧، مصباح الكفعمي: ص ٢٧٩.

٢ ـ كما في السلام على أمير المؤمنين عليه السلام وزيارته، بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ٣٣١ ح ٢٩.

٣ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٩٢ ح ١٨٢١، فضائل الأشهر الثلاثة: ص ٢٣ ح ١٠.

إن في الجنة نهراً من لبن لعلي وحسين وحسن[1]

فرجب شهرهم ونهر في الجنة وهو المرجب بترجيب الله سبحانه له، والمكرم بالتكريم منه سبحانه، ولهم دار الكرامة عند ربهم، وقد أسكنوا فيها شيعتهم، فهي لهم قد ملكهم مواليهم عليهم السلام، ولأجل ذلك قال عليه السلام: «**في شَهْرِنا هذَا**»، فرجب شهر مخصوص بهم عليهم السلام، وهو أول شهر من الأشهر الحُرم الأربعة كما قال سبحانه: ﴿**مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ**﴾، وقد حرّم فيها القتال والجدال وجعل النسيء زيادة في الكفر.

وأما قوله عليه السلام: «**وَما بَعْدَهُ مِنَ الأَشْهُرِ الْحُرُمِ**»، فدال على أن طلب الفضل والبركة في الأشهر الحُرم ينبغي أن يكون أكثر مما في سائر الشهور.

ويحتاج العبد إلى عناية خاصة ربانية تتعلق به؛ ليشتغل فيها بما هو يحب ويرضاه، فلأجل ذلك لم يقل عليه السلام: وما بعده من الأشهر من شعبان ورمضان، مع أنهما يكونان من بعده؛ وذلك لأجل التعليم بأن العناية الربانية

---

١ ـ الخصائص الحسينية: المقصد الرابع، ص ٣٢٩، الفصل الأول، وفيه:

إن في الجنة نهراً من لبن لعلي وحسينٍ وحسن
كل من كان محباً لهمُ يدخل الجنة من غير فتن

وأنشد بعض المعاصرين:

إن في الجنة نهراً من لبن لعلي وحسينٍ وحسن
كل من كان محباً لهمُ يدخل الجنة من غير حَزَن
حب آل البيت فرضٌ عندنا وبهذا الحب لا نخشى المِحن

في الأشهر الحرم والاعتناء بها أوفر وأكثر من سائر الشهور، فينبغي للعباد أيضاً أن يتوجهوا إليه مزيداً لزيادة التوفيق فيها.

ولا تزعم مما أشرنا أن الأشهر الحُرم أكرم على الله من شهر رمضان، وهو شهر الله، ورمضان اسم من أسماء الله، وقد روي: «لا تقولوا: جاء رمضان؛ لأنه اسم الله، وقولوا: جاء شهر رمضان»[١] أي جاء شهر الله.

وقد حُبس فيه إبليس وجنوده عن الوسوسة والسلطنة على المؤمنين[٢]، فهم فيه آمنون من شرّه و ﴿**إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَ الَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ**﴾ فهو ـ لعنه الله ـ غير محبوس عمن يتولونه.. في حال من الأحوال، وهم لم يدخلوا في شهر رمضان حقيقةً، وقد أهَلّه الله سبحانه لأوليائه خاصّة إهلالا مباركاً، وقد سبقت رحمته سبحانه على المؤمنين في حبس الشياطين ومسهم، ولم تكن تلك السبقة منه سبحانه في الأشهر الحرم، مع أنها حرم يجب على المؤمنين تعظيم شعائره فيها، فينبغي لهم أن يسألوا الله من فضله وبركته أن يبارك فيها لهم ولا سيما في أولها الذي هو المرجّب المعظّم،

---

١ ـ عن أبي جعفر عليه السلام: «لا تقولوا هذا رمضان، ولا ذهب رمضان، و لا جاء رمضان، فإن رمضان اسم من أسماء الله، لا يجيء ولا يذهب، وإنما يجيء ويذهب الزائل، ولكن قولوا: شهر رمضان». بصائر الدرجات: ص ٣١١ ح ١٢، الكافي: ج ٤ ص ٧٠ ح ٢، من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ١٧٢ ح ٢٠٥٠، معاني الأخبار: ص ٣١٥.

٢ ـ في خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله: «والشياطين مغلولة فاسألوا ربكم أن لا يسلطها عليكم». فضائل الأشهر الثلاثة: ص ٧٨ ح ٦١، الأمالي (للصدوق): ص٩٥ المجلس ٢٠ ح ٤.

وأن يوفقهم للقصد إلى ﴿الْحَجِّ وَ الْعُمْرَةَ لِلَّه﴾، وأن لا يخذلهم في الجدال والقتال فيه.

فلأجل ذلك قال عليه السلام: «وَأَسْبِغْ عَلَيْنا فيه النِّعَمَ»، وهو سبحانه سابغُ النعمة. والسبوغ هو الشمول[1]، والإسباغ من باب الإفعال، اشْمَل وأَوْسِع[2].

فلأجل ذلك دعا وسأل الله عليه السلام إسباغ النعم فيه علينا والتوسعة من جميع جهاتها من اعلى عليين على الأدني الذي قد دل عليه لفظ علينا.

والنِعم: جمع النعمة المُحلّى بالألف واللاّم، يُفيد العموم في الظاهر والباطن. فالنّعم الظاهرة هي الأمن والأمان والصحة والسعة في الأرزاق والأهل والعيال والخَدَم والحشم والثروة والعزة وأمثالها من متاع الحياة الدنيا وهي ـ كائنة ما كانت، وبالغة ما بلغت ـ آيلة إلى الفناء والزوال، بمفاد قوله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّه بَاقٍ﴾.

وأما النّعم الباطنة فهي الهداية والتوفيق من الله سبحانه للإيمان به كما عرف نفسه به، والإيمان برسوله وخلفاء رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كما عرّفهم، وكما عرّفوا أنفسهم به، كما هو مذكور في أوائل هذا الدعاء في أوصاف ولاة أمره سبحانه، والإيمان بأنهم عليهم السلام خلفاؤه والقائمون في مقامه سبحانه بأمره، وبأنهم أولياؤه سبحانه وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ التي أنعم الله على جميع خلقه والولاية والمحبّة والمودة والإطاعة لهم عليهم السلام ولأوليائهم والبراءة من اعدائهم.

---

١ ـ النهاية في غريب الحديث: ج ٢ ص ٣٣٨، لسان العرب: ج ٨ ص ٤٣٣.

٢ ـ تهذيب اللغة: ج ٨ ص ٧١، الصحاح: ج ٤ ص ١٣٢١، لسان العرب: ج ٨ ص ٤٣٢.

وقد نطق بذلك صريح الكتاب في مواضع عديدة بحيث لا يمكن إنكاره إلاّ بإنكار أصل الكتاب، مثل قوله تعالى: ﴿**قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْه أَجْراً إلاَّ الْمَوَدَّةَ في الْقُرْبَى**﴾، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذينَ آمَنُوا الَّذينَ يُقيمُونَ الصَّلاّةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكعُونَ**﴾ وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أَطيعُوا اللَّهَ وَأَطيعُوا الرَّسُولَ وَأُولي الأَمْرِ منْكُمْ**﴾...

وأما السنة فقد تجاوزت حد التواتر لفظاً ومعنىً وبلغت عرصة الضرورة.. أمثال هذه الكلمات التامات «**مُوَالٍ لَكُمْ وَلأَوْلَيائكُمْ مُبْغضٌ لأَعْدَائكُمْ (وَمُعَادٍ لَهُمْ) سِلْمٌ لمَنْ سَالَمَكُمْ وَحَرْبٌ لمَنْ حَارَبَكُم**»[1].. فذلك هو الباقي عند الله سبحانه وبعد ذلك من النعم الباطنة هو التوفيق في طلب العلم والعمل بالفرائض والسنن وترك المحرمات والمكروهات مما هو من فروع الدين، فإن الإيمان هو الاعتقاد في الجَنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان، فجميع ذلك من النعم الباطنة أصلاً وفرعاً، والأصل كالروح والفرع كالجسد، لا ينفع الفرع الجسدي إلاّ بالأصل الروحاني، كما في دعاء الاعتقاد «**وَمَنْ لا أَثقُ بالأَعْمَال وَإن زَكَتْ وَلاَ أَرَاهَا مُنْجيَةً لي وَإنْ صَلَحَتْ إلاَّ بوَلاَيَته وَالإئتمَام به وَ الإقْرَار بفَضَائله وَالْقَبُول منْ حَمَلَتهَا وَالتَّسْليم لرُوَاتهَا**... إلى آخر الدعاء»[2].

---

١ ـ فقرة من الزيارة الجامعة الكبيرة.

٢ ـ مهج الدعوات: ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣، البلد الأمين: ص ٣٨٧، مصباح الكفعمي: ص ٢٧٩.

وكذا قوله عليه السلام: «**وَأَجْزِلْ لَنا فيهِ الْقِسَمَ**»، فالإجزال في الإعطاء هو الإكثار.

والقِسَم ـ بكسر القاف وفتح المهملة ـ جمع قِسمة (بالكسر) وهي النصيب. ولها معان ظاهرة وباطنة كما مرّ في النّعَم.

وأما قوله عليه السلام: «**وَأَبْرِرْ لَنا فيهِ الْقَسَمَ**»، فأبرر من باب الإفعال.

والقَسَم بفتحتين هو الحلف واليمين[1]، أي اجعل يميني فيه مبروراً كما يقال: أبر الله حجّك أي قَبِلَهُ[2].

والحج المبرور الذي لا يُخالطه شيء من المآثم[3].

وأبر الله قسمه أي صدّقه[2]، أي اجعل قسمنا فيه صادقاً حتى تُصدّقه. أو من قولهم: لو أقسم على الله لأبرَّ قسمه أي لو دعا الله سبحانه وأقسم عليه بأسمائه وأنبيائه ورسله وملائكته عليهم السلام لأجاب ـ سبحانه ـ دعاءه ولم يرده خائباً.

فـ(أبرّ القسم) بمعنى أجاب قسمه عليه ودعاءه ولم يردّه.

---

١ ـ جمهرة اللغة: ج ٢ص ٨٥١، تهذيب اللغة: ج ٨ ص ٣١٨، الصحاح: ج ٥ ص ٢٠١٠، معجم مقاييس اللغة: ج ٥ ص ٨٦، لسان العرب: ج ١٢ ص ٤٧٨، مفردات ألفاظ القرآن: ٦٧٠، المصباح المنير: ص ٥٠٣، القاموس المحيط: ج ٤ ص ١٣٢.

٢ ـ الصحاح: ج ٥ ص ٥٨٨، لسان العرب: ج ٤ ص ٥٣.

٣ ـ تهذيب اللغة: ج ١٥ ص ١٣٤، النهاية في غريب الحديث: ج ١ ص ١١٧، لسان العرب: ج ٤ ص ٥٣، مجمع البحرين: ج ٢ ص ٢١٩.

فـ«**أَبْرِرْ لَنا فيهِ الْقَسَمَ**» يحتمل جميع ذلك، إلاّ أن المعنى الأخير أوفق للمقام؛ لأن الابتداء بالدعاء بالقَسم على الله سبحانه ـ بقوله: «**اَللّهُمَّ إِنّي أَسأَلُكَ بِمَعاني جَميعِ ما يَدْعُوكَ بِهِ وُلاةُ أَمْرِكَ**» إلى كثير من المواضع التي أقسم عليه ـ يقتضي أن يسأله سبحانه أن لا يردّ قَسمه عليه، وأجابه بحرمة من تمسّك بهم عليهم السلام وجعلهم شفعاء ووسائل بينه وبين الله سبحانه.

ومن ذلك أيضاً:

قوله (عليه السلام، وعجل الله فرجه): «**باسْمِكَ الأَعْظَمِ الأَجَلِّ الأَكْرَمِ الَّذي وَضَعْتَهُ عَلىَ النَّهارِ فَأَضاءَ، وَعَلى اللَّيْلِ فَأَظْلَمَ**».

أي أقسمت عليك «**باسْمِكَ الأَعْظَمِ الأَعْظَمِ**، فله سبحانه الأسماء المتعددة الحُسنى والأمثال العُليا، قد أمر عباده في كتابه أن يدعوه بها بقوله تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى**﴾، فمنها عظيم ومنها أعظم من عظيم، ومنها أعظم من اعظم، ومنها جليل، ومنها اجل من جليل، ومنها كريم، ومنها اكرم من كريم، وهكذا.

ومنها عليٌ ومنها أعلى، ومنها أعلى أعلى، ومنها أعلى أعلى أعلى، كما ورد في سائر الأدعية.

فالأعظم الحقيقي هو الواحد، وسائر الأعاظم هم الإضافيون

وكذا «**الأَجَلِّ الأَكْرَمِ**» وكذا «**الأعلى**» وكل ذلك هم الأئمة النجباء النقباء؛ لقول الصادق الأمين عليه السلام: «نحن ـ والله ـ الأسماء الحسنى التي أمر الله

أن تدعوه بها»[١]، فمن عرفهم عليهم السلام بالنورانية والاسمية لله سبحانه فقد عرفهم، وعرف أنه لا يمكن السؤال من الله إلاّ بهم، ولا يمكن معرفته إلاّ بهم، ومن لم يعرفهم بالنورانية والاسمية له سبحانه فلم يعرفهم ولم يعرف الله سبحانه، فـ«**السَّلامُ عَلَى مَنْ عَرَفَهُمْ فَقَدْ عَرَفَ اللَّهَ وَمَنْ جَهِلَهُمْ فَقَدْ جَهِلَ اللَّهَ**»[٢]، «**مَنْ أَرادَ اللهَ بَدَأَ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ**»[٣].

(فلا تعطيل لهم في كل مكان، يَعْرِفُهُ بهم مَن عَرَفَهُ)... قد مرت الإشارة لأهل البشارة في حديث (حدوث الأسماء)[٤]، فلا نطيل الكلام.

فاعلم أن كل مخلوق خلق باسم من أسمائه سبحانه، كما أنه سبحانه خلق الخلق باسمه الخالق، ورزقهم باسمه الرازق، وأماتهم باسمه المميت، وأحياهم باسمه المحيي، وهو ﴿**الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ**﴾...

---

١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام: «نحن ـ والله ـ الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلاّ بمعرفتنا». الكافي: ج ١ ص ١٤٤ ح ٤، ونحوه في تفسير العياشي: ج ٢ ص ٤٢ ح ١١٩.

٢ ـ فقرة من زيارة جامعة لجميع الأئمة عليهم السلام، كامل الزيارات: ص ٣١٥ ب ٤، المزار الكبير: ص ٥٦٦ ب ٨ ح ٢، من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٦٠٢ ح ٣٢١٢، تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ١٠٢ ب ٤٦ ح ٢. ورواها في الكافي: ج ٤ ص ٥٧٩ ح ٢، وكامل الزيارات: ص ٣٠٣ ب ١٠٠ في زيارة الكاظم والجواد عليهما السلام.

٣ ـ فقرة من الزيارة الجامعة الكبيرة.

٤ـ انظر: صفحة ٦١.

فالخالق والرازق والمميت والمحيي كل واحد منها تعلق بأمر خاص به وأما القادر فهو اسم عام بالنسبة إليها، فلا يتم واحد منها إلاّ بالقدرة.

فالقادر أعم واعظم من كل واحد منها؛ فلأجل ذلك صار صفة ذاتية لله سبحانه غير مسلوبة عنه أبداً، ولكن كل واحد من الأربعة صفة فعل له مسلوب عنه حيناً ما، فهو سبحانه ـ قبل خلقه زيداً ـ لا يعقل أن يكون خالقاً له، فهو خالق له حين خلقه، وكذا الأمر في سائر صفات الفعل.

بخلاف الصفات الذاتية فإنها غير مسلوبة عنه أبداً، وإن كان له سبحانه اسم أعظم منه كالفاعل فإنه أعظم من القادر الأعظم من الخالق، فهو الأعظم الأعظم، الأجل الأكرم من القادر، فإن الفاعل هو الحكيم القادر، و(الله) سبحانه هو الاسم الأعظم الأعظم الأعظم؛ إذ هو الفاعل الحكيم القادر الخالق، فهو الذكر الأعلى الأعلى الأعلى..

فالأعظمية أمر إضافي، إلى أن ينتهي الأمر إلى الأعظم الحقيقي، فهو واحد لا ثاني له.

فالاسم «**الأَعْظَمِ الأَعْظَمِ، الأَجَلِّ الأَكْرَمِ، الَّذِي وَضَعْتَه عَلَى النَّهَارِ فَأَضَاءَ، وَعَلَى اللَّيْلِ فَأَظْلَمَ**»[1]، فهو مكتوب في باطن الشمس؛ إذ بطلوعها وغروبها أضاء النهار، وأظلم الليل ـ على ما ترى ـ ولكن إن عمّمت الإضاءة والإظلام والليل والنهار في كل عالم بحسبه، وصلت بذلك الاسم الذي

---

١ ـ فقرة من دعاء السمات.

وضعه سبحانه على النهار المطلق فأضاء، وعلى الليل المطلق فأظلم، إذ وراء هذا العالم عوالم[١]، ووراء هذه الشمس شموس[٢]، إلى أن ينتهي الأمر إلى قوله سبحانه: ﴿**وَالشمْسِ وَ ضحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا * وَالنهَارِ إِذَا جَلاَّهَا * وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا**﴾، فتلك الشمس المطلقة واحدة حقيقية.. فجميع الأنوار أشرقت من نورها...

ثم اعلم أن الفرق بين الأسماء العديدة للفرد الواحد ليس كالفرق بين الأفراد المتباينة وإن كانت من نوع واحد، ألا ترى أن الفرد الواحد سميع بصير متحرك ساكن متكلم ساكت، وهكذا إلى سائر كمالاته؟! وكل واحد اسم من أسماء الفرد الواحد، فإنك إن أكرمت السميع أكرمت ذلك الفرد وأكرمت البصير الذي هو اسم من أسمائه، وأكرمت المتحرك والساكن والمتكلم والساكت، وبإكرامك لاسم من أسمائه أكرمت نفسه وسائر أسمائه جميعاً، وإن أهنت واحداً أهنت الجميع، وإن قتلتَ واحداً قتلتَ

---

١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إن لله (عز وجل) اثني عشر ألف عالم كل عالم منهم أكبر من سبع سماوات وسبع أرضين ما ترى عالم منهم أن لله (عز وجل) عالماً غيرهم وأنا الحجة عليهم». الخصال: ص ٦٣٩ ح ١٤، مختصر البصائر: ص ٧٦ ح ٤٧، المحتضر: ص ١٨٧ ح ٢٢٦.

٢ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن من وراء عين شمسكم هذه أربعين عين شمس فيها خلق كثير، وإن من وراء قمركم أربعين قمراً فيها خلق كثير لا يدرون أن الله خلق آدم أم لم يخلقه ألهموا إلهاما لعنة فلان و فلان». بصائر الدرجات: ص ٤٩٠ ح ٣، مختصر البصائر: ص ٧٣ ـ ٧٤ ح ٤٤.

الجميع، وإن كان واحد منها مديوناً كان الجميع مديوناً، وإن كان واحد منها دائناً كان الجميع دائناً، بخلاف الأفراد، فإنّ إكرام واحد ليس بإكرام سائر الأفراد، وإهانة واحد ليست بإهانة سائر الأفراد.. فليس البينونة بين الأسماء لفرد واحد «**بَيْنُونَةُ عُزْلَة**»[١]، بخلاف البينونة بين الأفراد من نوع واحد فإنها « **بَيْنُونَةُ عُزْلَة**»، فتذكّر ولا تغفل؛ لتفوز مع الفائزين.

ألا ترى المباينة بين زيد وعمرو، بحيث لو قَتلَ واحدٌ واحداً لكان القاتل حياً والمقتول ميتاً؟

فتذكّر أنّ مقام الاسمية لله تعالى غير مقام الفردية للنوع الواحد، فهذه هي «النمرقة الوسطى، يرجع إليها الغالي ويلحق بها التالي»[٢].

فلأجل ذلك ليس الله تعالى بنوع واحد لأسمائه المتعددة، وأسماؤه ليست بأفراده سبحانه، بخلاف النوع الواحد فإن له افراداً متباينة فإذا سمعتهم عليهم السلام يقولون «نحن ـ والله ـ الأسماء الحسنى التي أمر الله أن تدعوه بها»[٣].

١ـ عن علي عليه السلام، الاحتجاج: ج ١ ص ٤٧٥ (احتجاجات أمير المؤمنين عليه السلام في التوحيد).

٢ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «نحن النمرقة الوسطى، بها يلحق التالى وإليها يرجع الغالي». نهج البلاغة: قصار الحكم، رقم ١٠٩.

٣ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام: «نحن ـ والله ـ الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلاّ بمعرفتنا». الكافي: ج ١ ص ١٤٤ ح ٤، ونحوه في تفسير العياشي: ج ٢ ص ٤٢ ح ١١٩.

فاعلم أن مقام اسميّتهم غير مقام فرديّتهم لحقيقة واحدة، ومن لم يفرّق بين المقامين فقد وقع بين الإفراط والتفريط، والغلو والتقصير.. فمقام البشرية منهم يأكل ويشرب وينكح وينام ويموت، وأما مقام الاسمية لهم عليهم السلام .. فهو مُودَع في مقاماتهم البشرية، وحقائقهم هي النورانية لله سبحانه، قال عليه السلام: «**اخترعنا من نور ذاته، وفوّض إلينا أمور عباده**»[1]، وقال عليه السلام: «ينفصل نورنا من نور ربنا كما ينفصل نور الشمس من الشمس»[2].

وقلَّ مَن فَرَّقَ بين المقامين، والأكثرون وقعوا في طرف الإفراط والتفريط؛ لعدم التفريق.

ولما كان مقام البشرية من البشر بعيداً عن المبدأ، لا يخلو من النقصان؛ لعروض العوارض وطرو العصيان، قال تعالى: ﴿**إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي**﴾، وهي موجبة للحرمان عن جذب الفيوض الربانية، حاجبة عن الوصول إلى الأعطاف السبحانية والإجابات «الجوّانية والاستجابات البرانية»[3]، عَطَفَ على السؤالات السابقة ما هو مانعٌ عنها وهي المعاصي

١ـ المناقب (للعلوي): ص ١٢٦ في (حديث الخيط)، الهداية الكبرى: ص ٢٢٩ ب ٦.

٢ ـ عن أبي جعفر عليه السلام: «يفصل نورنا من نور ربنا كشعاع الشمس من الشمس». بحارالأنوار: ج ٢٥ ص ١٧ ح ٣١، ج ٥٤ ص ١٦٩ ح ١١٢.

٣ ـ عن الباقر عليه السلام: «خالطوهم بالبرانية وخالفوهم بالجوانية». الكافي: ج ٢ ص ٢٢٠ ح ٢٠.
وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا علي، ما من عبد إلاّ وله جواني وبراني

←

والذنوب، فسأل الغفران منها ما هو واقع، والتوفيق لتركها مما سيقع لولا التوفيق والعناية الربانية بقوله عليه السلام: «**وَاغْفِرْ لَنا ما تَعْلَمُ مِنّا وَما لا نَعْلَمُ، وَاعْصِمْنا مِنَ الذُّنُوبِ خَيْرَ الْعِصَمِ**».

أما ما يعلمه سبحانه منا ولا نعلم فهي المعاصي المحفوظة عند الله تعالى المنسية عندنا، أو هي كل ما عندنا فإنها كلها ﴿**يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّه بَاقٍ**﴾، ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّه وَ بِرَحْمَته فَبِذلكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ فما نجمعه من حسنات أو سيئات كلها سيئات على النظر في نقصان الحسنات وعدم خلوصها، فـ«**مَنْ كَانَتْ مَحَاسِنُهُ مَسَاوِيَ فَكَيْفَ لاَ تَكُونُ مَسَاوِيهِ مَسَاوِيَ**»[1]، ولا يغفرها إلاّ هو وحده وحده

والعصمة فعل من الله سبحانه ولا عاصم غيره وحده وحده، ﴿**هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا**﴾، وما تركنا معصية إلاّ بعصمة الله وحفظه، ﴿**خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾، (وقاية الله خير من تَوقّينا)[2]، وعصمته خير العصم.

→

فمن أصلح جوانيه أصلح الله (عز وجل) برانيه، ومن أفسد جوانيه أفسد الله برانيه». الأمالي (للطوسي): ص ٤٥٨ المجلس ١٦ ح ٢٨.

ويراد بهما السر والعلانية، والظاهر والباطن. تهذيب اللغة: ج ١١ ص ١٥٦، ج ١٥ ص ١٣٦، المحيط في اللغة: ج ١٠ ص ٢١٤، ج ١١ ص ٦١.

١ ـ من دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة، إقبال الأعمال: ص ٦٦٠.

٢ ـ شطر بيت نقله الحاج كريم خان (أعلى الله مقامه) في إرشاد العوام: ج ٤ ص ١٥٤ دون

←

وأما قوله عليه السلام: «**وَاكْفِنَا كَوافِيَ قَدَرِكَ**».

فالظاهر أن الكوافي جمع الكافيء ـ مهموزاً ـ من كفأه بمعنى صَرَفه[1]، فالكوافيء هي الصوارف عن الخيرات.

فقوله عليه السلام: «**وَاكْفِنَا كَوافِيَ قَدَرِكَ**» كقولك: (وَاكْفِنَا شَرَّ مَا قَضَيْت) «**وَقِنا شَرَّ مَا قَضَيْت**» وأمثاله، فهو الكافيء المُغني عن صوارف قَدَره عن نيل المُنى، [قال تعالى:] ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**﴾ فهو الكافي لا كافي سواه...

وأما قوله عليه السلام: «**وَامْنُنْ عَلَيْنا بِحُسْنِ نَظَرِكَ، وَلا تَكِلْنا إِلى غَيْرِكَ، وَلا تَمْنَعْنا مِنْ خَيْرِكَ**».

فالإنعام علينا بحسن نظره سبحانه هو عدم الوكالة إلى غيره.

فالانعام الذي يعقبه الخذلان ليس بحُسن نظره وإنما هو الإمهال، وهو المعاملة مع الكفار والمنافقين دون المؤمنين.

←

ذكر قائله، ونقله صاحب (الكبريت الأحمر في شرائط المنبر) المحقق الشيخ محمد باقر البيرجندي رحمه الله في كتابه (فاكهة الذاكرين) عن مولانا زين العابدين عليه السلام، وفي الوافي بالوفيات: ج ١٩ ص ٢٤٩ أن عبد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد الكاتب ـ الذي كان وزيراً للمعتضد وبعده للمعتمد العباسي ـ هو القال، وفيهما:

كفاية الله خيرٌ من تَوَقّينا وعادة الله في الماضين تكفينا

١ ـ الصحاح: ج ١ ص ٦٧، جمهرة اللغة: ج ٢ ص ١١٠٣، تهذيب اللغة: ج ١٠ ص ٢٠٩، المحيط في اللغة: ج ٦ ص ٣٣٧.

وأما خيره سبحانه فهو ما عنده، وهو خير وأبقى، وما عندنا ينفد[١]، ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

أما قوله عليه السلام: «**وَبارِكْ لَنا فيما كَتَبْتَهُ لَنا مِنْ أَعْمارِنا**».

فالعمر المبارك هو المختوم بالخير والإيمان، والزيادة في الإيمان شيئاً بعد شيء ﴿**لِيَزدادوا إيمانًا مَعَ إيمانِهِم**﴾، وعلماً مع علمهم، ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾.

أما قوله عليه السلام: «**وأَصْلِحْ لنا خَبِيئَةَ أَسْرارِنا**».

فالخبيئة من الأسرار هي المستورة[٢] عن الأغيار من الضمائر والنيّات، فإصلاحها أهم للعبد من إصلاح الظاهر؛ إذ هي بدونه مثمرة وهو بدونها ﴿**كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً**﴾.

أما قوله عليه السلام: «**وَأَعْطِنا مِنْكَ الأَمانَ**».

فإعطاء الأمان من المنّان سبحانه من بلايا الدنيا والآخرة ومن الشكّ والشُبهة في الحق بأنه حق، وفي الباطل بأنه باطل، ومن الشرك الخفي والجلي، ومن المعاصي الكبيرة والصغيرة، ومن الكفر والنفاق، والختم على الإيمان، وهو الأمان الحقيقي من الملك المنان (سبحانه وتعالى).

---

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللّه خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، وقوله: ﴿ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَما عِنْدَ اللّه باقٍ﴾.

٢ ـ النهاية (لابن الأثير): ج ٢ ص ٣، لسان العرب: ج ١ ص ٦٢، المصباح المنير: ص ١٦٣، تهذيب اللغة: ج ٧ ص ٢٤٥، المخصص: ج ١٣ ص ٥٨.

وأما قوله عليه السلام: «**وَاْستَعْمِلْنا بِحُسْنِ الإِيْمانِ**».

فحسن الإيمان هو الختم به من غير اعارة فالمستعار هو المورثُ للحسرة والخسران نعوذ بالله.

أما قوله عليه السلام: «**وَبَلِّغْنا شَهْرَ الصِّيَامِ وَما بَعْدَهُ مِنَ الأَيَامِ وَالأَعْوامِ يَا ذَا الْجَلالِ والإِكْرامِ**».

فهذا آخر الدعاء، والدعاء لبلوغ شهر الصيام من أهم الأمور؛ لأن فيه ليلة القدر التي هي ﴿**خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾، وكذا الأيام بعده لبلوغ الأعوام التي فيها شهر الصيام وليلة القدر من كل واحد من الأعوام خير من عمل ألف شهر.

وإنما ختم بذي «**الْجَلالِ والإِكْرامِ**» لمسألة إتمام الحوائج؛ فإن مقتضى الإكرام الإتمامُ.

وقد وقع الإتمام يوم الجمعة التاسع عشر من شهر رمضان المبارك من شهور سنة ١٣٠٢، حامداً مصلياً مستغفراً.

*****

وقد تم الإنتهاء من العمل على هذا الشرح الشريف تحقيقاً وتصحيحاً
عصر السبت الثاني والعشرون من شهر رمضان المبارك سنة ١٤٤١ هـ
وكان البدء في العمل يوم الاثنين ثالث جمادى الأولى من هذه السنة
قراءة ومباحثةً وتدارساً مع الأخ المؤمن المكرّم والصديق المحترم
جناب الشيخ حسين نصيرپور البهبهاني (وفقه الله لما يحبه ويرضاه)
في مسجد السيد الطباطبائي رحمه الله في حرم السيد فاطمة المعصومة عليها السلام
والحمد لله بدءً والصلاة على محمد وآله ختاماً

صورة مختلفة للمصنف (أعلى الله مقامه)

المصنف بين تلامذته وجمع من مريديه سنة ١٣١٣ هـ ق

المصنف على منبره في أحد مجالس الوعظ

مصادر التحقيق

الاحتجاج: أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي، الأسوة،السادسة، ١٤٢٥ هـ، قم المشرّفة.

الاختصاص: محمد بن محمد بن النعمان العكبري (المفيد) ، مجموعة مؤلفاته، دار المفيد، الثانية ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م، بيروت.

اختيار معرفة الرجال: شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة آل البيت، الأولى، ١٤٠٤ هـ، قم المشرّفة.

الاستبصار فيما اختلف من الأخبار: شيخ الطائفة الطوسي، دار الكتب الاسلامية، بازار سلطاني، الرابعة، ١٣٦٣ هـ ش، طهران.

الآداب الدينية للغزانة المعينية: الفضل بن الحسن الطبرسي، انتشارات زائر، الأولى، ١٣٨٠ هـ ش، قم المشرّفة.

الأخبار الدخيلة: الشيخ محمد تقي التستري، مكتبة الصدوق، الأولى، ١٤٠١ هـ، طهران.

اختيار معرفة الرجال: شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة آل البيت، الأولى، ١٤٠٤ هـ، قم المشرّفة.

الأربعون حديثاً: الشيخ البهائي محمد بن الحسين الحارثي العاملي، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٥ هـ، قم المشرّفة.

الاستبصار فيما اختلف من الأخبار: شيخ الطائفة محمد بن

الحسن الطوسي، دار الكتب الاسلامية، انتشارات بازار سلطاني، الرابعة، ١٣٦٣ هـ ش، طهران.

أسرار الإمامة: عماد الدين الحسن بن علي الطبري، ١٤٣٢ هـ / ١٣٩٠ هـ ش، مشهد المقدسة.

إعلام الورى بأعلام الهدى: أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، مؤسسة آل البيت، الأولى ١٤١٧ هـ، قم المشرّفة.

أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين العاملي، دار التعارف، ١٤٠٦ هـ، بيروت.

الأمالي: السيد علي بن الحسين الموسوي (الشريف المرتضى)، دار إحياء الكتب العربية (الحلبي وشركاه)، الأولى، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م، وأيضاً: ذوي القربى، الأولى، ١٤٢٩ هـ، قم المشرّفة.

الأمالي: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق القمي، مؤسسة البعثة، الأولى ١٤١٧ هـ، قم المشرّفة.

الأمالي: الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٣ هـ / قم المشرّفة.

الأنوار النعمانية: المحدث السيد نعمة الله الموسوي الجزائري، الرابعة، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

الأنوار ومفتاح السرور والأفكار في مولد النبي المختار: أحمد بن عبد الله البكري، دار الشريف الرضي، الأولى، ١٤١١ هـ، قم المشرّفة.

أوائل المقالات: الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري

البغدادي، مجموعة مؤلفاته، دار المفيد، الثانية، ١٤١٤ هـ، بيروت.

إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، محمد بن الحسن الحر العاملي، الطبع القديم ٣ أجزاء: المطبعة العلمية، ١٤٠٤ هـ، قم المشرّفة. الطبع الجديد ٥ أجزاء: مؤسسة الأعلمي، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م، بيروت.

إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب: علي بن الحسين المسعودي، انتشارات أنصاريان، الثالثة، ١٤٢٦ هـ، قم المشرّفة.

إرشاد القلوب إلى الصواب المُنجي مَن عملَ به من أليم العقاب: أبو محمد الحسن بن محمد الديلمي، مؤسسة الأعلمي، الرابعة، بيروت.

الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، مجموعة مؤلفاته، دار المفيد، الثانية، ١٤١٤ هـ، بيروت.

إقبال الأعمال: السيد علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، مؤسسة الأعلمي، الأولى، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م، بيروت.

إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب، الشيخ علي الحايرئي اليزدي، مؤسسة الأعلمي، الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، بيروت.

بحار الأنوار: العلامة محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، الثانية، بيروت.

بشارة المصطفى لشيعة المرتضى: عماد الدين محمد بن أبي القاسم الطبري الإمامي، مؤسسة النشر الإسلامي، الأولى، ١٤٢٠ هـ، قم المشرّفة.

بصائر الدرجات الكبرى: أبو جعفر محمد بن الحسن الصفار، مكتبة

السيد المرعشي النجفي، الثانية، ١٤٠٤هـ، قم المشرّفة.

البلد الأمين والدرع الحصين: تقي الدين إبراهيم بن علي الكفعمي العاملي، مؤسسة الأعلمي، الأولى، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م، بيروت.

ـتـ

تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة: السيد شرف الدين الحسيني الاسترآبادي النجفي، مدرسة الإمام المهدي، الأولى، ١٤٠٧ هـ، قم المشرّفة.

تاج العروس: السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي: دار الفكر، الأولى، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م، بيروت.

تحف العقول إلى أخبار آل الرسول: الحسن بن علي ابن شعبة الحراني، مؤسسة النشر الإسلامي، الثانية، ١٤٠٤ هـ، قم المشرّفة.

التبيان في تفسير القرآن: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، الأولى، ١٤٠٩ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

تذكرة الأئمة : للعلامة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، انتشارات مولانا، طهران.

التذكرة في النحو: الحاج محمد كريم الإبراهيمي، الكرماني، مطبعة السعادة، كرمان.

التعليقة على أصول الكافي: السيد محمد باقر الحسيني الأسترآبادي (الميرداماد)، مطبعة الخيام، ١٤٠٣ هـ، قم المشرّفة.

تفسير الإمام العسكري: منسوب إلى الإمام الحسن العسكري،

مدرسة الإمام المهدي، الأولى، ١٤٠٩ هـ، قم المشرّفة.

تفسير بحر العلوم: علي السمرقندي القراماني، تحقيق الدكتور محمود مطرجي، دار الفكر، و دار الكتب العلمية، بيروت.

تفسير البرهان: السيد هاشم التوبلاني البحراني، مؤسسة المجتبى للمطبوعات، الأولى، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧، قم المشرّفة.

تفسير العياشي: (كتاب التفسير): محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.

تفسير فرات الكوفي: فرات بن إبراهيم الكوفي، مؤسسة الطبع والنشر في وزارة الإرشاد الإسلامي، الأولى، ١٤١٠ هـ، طهران.

تفسير القمي: علي بن إبراهيم، مؤسسة دار الكتاب، الثالثة، ١٤٠٤ هـ ، قم المشرّفة.

تهذيب الأحكام: محمد بن الحسن الطوسي، دار الكتب الإسلامية، ١٣٩٠ هـ، طهران.

تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي، الأولى، ١٤٢١ هـ، بيروت.

تنقيح المقال في علم الرجال: الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد حسن المامقاني، مؤسسة آل البيت، الطبعة الأولى، قم المشرّفة.

التوحيد: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق القمي، منشورات جماعة المدرسين، الأولى، قم المشرّفة.

توحيد المفضل: المفضل بن عمر الجعفي، مكتبة الداوري، الأولى،

قم المشرّفة.

ـ ث ـ

الثاقب في المناقب: ابن حمزة، محمد بن علي الطوسي، مؤسسة أنصاريان، الأولى، ١٤١١ ، قم المشرّفة.

ـ ج ـ

جامع الأخبار: محمد بن محمد الشعيري، مطبعة النجف، الأولى، النجف الأشرف.

جامع الأسرار ومنبع الأنوار: السيد حيدر بن علي الحسيني الآملي، مركز النشريات العلمية والثقافية التابعة لوزارة الثقافة والتعليم العالي، الأولى، ١٤٠٩ هـ، طهران.

جمهرة اللغة: محمد بن الحسن بن دريد، دار العلم للملايين، الأولى، ١٩٨٨ م، بيروت.

جنة العاصمة در تارسخ وحالات حضرت فاطمه: سيد محمد حسن طباطبائي مير جهاني الأصفهاني، انتشارات بيت الزهراء، الأولى، ١٤٢٦ هـ ، مشهد المقدسة.

جوامع الكلم: الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي، شركة الغدير للطباعة، الأولى، ١٤٣٠ هـ، البصرة، العراق.

جواهر الحكم: السيد كاظم بن السيد قاسم الحسيني الرشتي، شركة الغدير للطباعة، الأولى، ١٤٣٢ هـ، البصرة، العراق.

-ح-

حديقة الشيعة: المحقق الشيخ أحمد بن محمد (المقدس) الأردبيلي، انتشارات أنصاريان، الأولى، ١٣٧٨ هـ ش/ ١٤٢٠هـ، قم المشرّفة.

الحكمة المتعالية: صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، الثالثة، ١٩٨١ م، بيروت.

حياة النفس: الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي،

-خ-

الخرائج والجرائح: قطب الدين سعيد بن عبد الله الراوندي، مؤسسة الإمام المهدي، الأولى، ١٤٠٩ هـ، قم المشرّفة.

الخصال: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق القمي، منشورات جماعة المدرسين، الأولى، ١٤٠٣ هـ، قم المشرّفة.

-د-

دلائل الإمامة: محمد بن جرير بن رستم الطبري الإمامي الشيعي، مؤسسة البعثة، الأولى، ١٤١٣ هـ، قم المشرّفة.

-ر-

رجال الطوسي: محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة النشر الإسلامي، الأولى، ١٤١٥ هـ، قم المشرّفة.

رجال النجاشي: أحمد بن علي بن أحمد النجاشي الأسدي الكوفي، مؤسسة النشر الإسلامي، الأولى، ١٤١٦ هـ، قم المشرّفة.

الرسائل: الميرزا محمد باقر بن محمد جعفر (الشريف) الهمداني، مطبعة خراسان، مشهد المقدسة.

رسائل الشريف المرتضى: السيد علي بن الحسين الموسوي، مطبعة سيد الشهداء، نشر دار القرآن الكريم (مدرسة السيد الگلپايگاني)، الأولى، ١٤٠٥ هـ، قم المشرّفة.

الرواشح السماوية: السيد محمد باقر الحسيني (الميرداماد)، مؤسسة دار الحديث، الأولى، ١٤٢٢ هـ / ١٣٨٠ هـ ش، قم المشرّفة.

روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان: زين الدين بن علي العاملي (الشهيد الثاني)، مكتب الإعلام الإسلامي (دفتر تبليغات)، الأولى، ١٤٢٢ هـ / ١٣٩٠ هـ ش، قم المشرّفة.

روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: الشيخ محمد تقي المجلسي، مؤسسه كوشانبور، الأولى ١٤٠٦ هـ، قم المشرفة.

روضة الواعظين: محمد بن الحسن الفتال النيسابوري ـ الشريف الرضي ـ قم المشرّفة.

ـ س ـ

السرائر: محمد بن أحمد بن إدريس الحلي، مؤسسة النشر الإسلامي، الثانية، ١٤١٠ هـ، قم المشرّفة.

سِيَر أعلام النبلاء: محمد بن أحمد الذهبي، التاسعة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، الرسالة، بيروت.

ـ ش ـ

شرح أصول الكافي: الملا صدرا محمد بن إبراهيم الشيرازي، مؤسسة الدراسات والأبحاث الثقافية، الأولى، ١٤٠٨ هـ، طهران.

شرح توحيد الصدوق: القاضي محمد سعيد بن محمد مفيد القمي، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، الأولى، ١٤١٥ هـ، طهران.

شرح حديث الغمامة (البساط): القاضي محمد سعيد بن محمد مفيد القمي، آستان قدس رضوي، الأولى، ١٣٨٠ هـ ش، مشهد المقدسة.

شرح دعاء السّحَر: الحاج محمد كريم خان الكرماني، لجنة إحياء تراث مدرسة الشيخ الأوحد الأحسائي، الأولى، ١٤٤١ هـ / ٢٠٢٠ م، سوريا ـ الأحساء ـ قم المشرفة.

شرح الزيارة الجامعة: الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، دار المفيد، الأولى، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م، بيروت.

شرح مسألة العلم: الخواجة نصير الدين الطوسي، تحقيق عبد الله نوراني، موسسه فرهنگي تبيان، الأولى، ١٣٩٧ هـ ش، قم المشرّفة.

شرح العرشية: الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، مؤسسة فكر الأوحد، الأولى، الأولى، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، بيروت.

شرح الفوائد: الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، مؤسسة فكر الأوحد، الأولى، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م، بيروت.

شرح المقاصد: سعد الدين بن مسعود التفتازاني، الشريف الرضي، الأولى، ١٤٠٩ هـ، قم المشرّفة.

شرح نهج البلاغة: ميثم بن علي بن ميثم البحراني، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، الأولى، ١٣٦٢ هـ ش، قم المشرّفة.

شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري، دار الفكر، الأولى، ١٤٢٠ هـ، دمشق.

شوارق الإلهام في شرح تجريد الكلام: عبد الرزاق بن علي اللاهيجي، منشورات مهدوي، أصفهان.

ـص ـ

الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، الرابعة، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، بيروت.

صحيفة الأبرار: الميرزا محمد تقي المامقاني المعروف بـ(حجة الإسلام) و(نيّر مامقاني)، مؤسسة الأعلمي، الأولى، ٢٠٠٣ م، بيروت.

ـط ـ

طبقات أعلام الشيعة (نقباء البشر): المحقق محمد محسن بن علي (آقا بزرگ) الطهراني، دار إحياء التراث العربي، الأولى، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م، بيروت.

ـع ـ

علل الشرائع: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق القمي، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف.

علم اليقين: المولى محمد بن مرتضى بن محمود (محسن الفيض الكاشاني)، مكتبة بيدار، الأولى، ١٤١٨ هـ، قم المشرّفة.

عوالي اللئالى العزيزية في الأحاديث الدينية: (ابن جمهور) محمد بن علي بن إبراهيم الأحسائي، طبع بالأوفست، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، مطبعة سيد الشهداء عليه السلام، قم المشرّفة.

عيون أخبار الرضا: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق القمي، نشر جان، الأولى، ١٤٢٠ هـ / ١٣٧٩ هـ / ش، طهران.

عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي، دار الحديث، الأولى، ١٤١٨ هـ، قم المشرّفة.

-غ-

غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، دار الكتاب الإسلامي، الثانية، ١٤١٠ هـ، قم المشرّفة.

الغيبة: محمد بن إبراهيم النعماني، منشورات أنوار الهدى، تحقيق فارس حسون كريم، الأولى، ١٤٢٢ هـ، قم المشرفة.

-ف-

فاكهة الذاكرين: محمد باقر القائيني البيرجندي، آستان قدس رضوي، الأولى، ١٣٩٥ هـ ش / ١٤٣٧ هـ، مشهد المقدسة.

فضائل الأشهر الثلاثة: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق القمي، دار المحجة البيضاء، الثانية ١٤١٢ هـ، بيروت.

الفطرة السليمة: الحاج محمد كريم خان الإبراهيمي الكرماني، الأولى، مطبعة السعادة، كرمان.

ـق ـ

القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

القبسات (قبسات حق اليقين في حدوث العالم): السيد محمد باقر الحسيني الأسترآبادي (الميرداماد)، منشورات جامعة طهران (انتشارات دانشگاه تهران)، الثالثة، ١٣٤٦ هـ ش، طهران.

قصص الأنبياء: قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي، دار الهادي، الأولى، ١٤١٨ هـ، قم المشرّفة.

القواعد والفوائد: محمد بن مكي العاملي (الشهيد الأول)، تحقيق السيد عبد الهادي الحكيم، مكتبة المفيد، قم المشرّفة.

ـك ـ

الكافي: ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني البغدادي، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثالثة، طهران. وأيضاً تحقيق وطبع دار الحديث، الأولى، ١٤٢٩ هـ، قم المشرّفة.

كامل الزيارات: جعفر بن محمد بن قولويه، مؤسسة نشر الفقاهة، الأولى، ١٤١٧ هـ، قم المشرّفة.

كتاب سليم بن قيس: سليم بن قيس الهلالي الكوفي، مؤسسة دليل ما، الأولى، ١٤٢٢ هـ، قم المشرّفة.

كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيد، مؤسسة دار الهجرة، الثانية، ١٤٢٢ هـ، قم المشرّفة.

كتاب الغيبة: محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة المعارف الإسلامية، الأولى، ١٤١١ هـ، قم المشرّفة.

كتاب فكّر (توحيد المفضل): برواية المفضل بن عمر الجعفي الكوفي، الأولى، ١٤٢٧ هـ / ١٣٨٥ هـ ش، دليل ما، قم المشرفة.

كشف الغمة في معرفة الأئمة: علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي، دار الأضواء، الثانية ١٤٠٥ هـ، بيروت.

كشف المراد شرح تجريد الاعتقاد: الحسن بن يوسف بن المطهر العلامة الحلي، تعليق الشيخ حسن زاده آملي، مؤسسة النشر الإسلامي، السابعة، ١٤١٧ هـ، قم المشرفة.

الكشكول: الشيخ البهائي محمد بن الحسين الحارثي العاملي، الأعلمي، ١٤٠٣ هـ، بيروت.

كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر: علي بن محمد بن علي الخزاز القمي، انتشارات بيدار، ١٤٠١ هـ، قم المشرّفة.

كلمات مكنونه من علوم أهل الحكمة والمعرفة: محمد محسن بن شاه مرتضى (الفيض الكاشاني)، مؤسسة انتشارات فراهاني، الثانية، ١٣٦٠ هـ ش / ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، إيران.

كمال الدين وتمام النعمة: محمد بن علي بن بابويه الصدوق القمي، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة لأولى، ١٤٠٥ هـ / ١٣٦٣ هـ ش، قم المشرّفة.

كنز الفوائد: أبو الفتح محمد بن على الكراجكي، دار الذخائر، الأولى، ١٤١٠ هـ، قم المشرّفة.

-ل-

لوامع صاحبقراني: محمد تقي المجلسي، مؤسسة إسماعيليان، الأولى، ١٤١٤ هـ، قم المشرّفة.

لسان العرب: أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، نشر أدب الحوزة، الأولى، ١٤٠٥ هـ، قم المشرّفة.

-م-

مجمع البحرين: فخر الدين بن محمد علي الطريحي، نشر مرتضوي، الثانية ١٣٩٠ هـ ش، طهران.

مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسسة الأعلمي، الأولى، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، بيروت.

مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان: المحقق أحمد بن محمد (المقدّس) الأردبيلي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرّفة.

مجموعة الرسائل: الحاج محمد كريم خان الإبرهيمي الكرماني، مطبعة السعادة، كرمان.

المحاسن: أحمد بن محمد بن أحمد بن خالد البرقي، دار الكتب الإسلامية ١٣٧٠ هـ، طهران.

المحيط في اللغة: إسماعيل بن عباد القزويني الطالقاني، عالم الكتب، الأولى، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م، بيروت.

مختصر البصائر: الحسن بن سليمان بن محمد الحلي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرّفة.

المخصص: على بن اسماعيل‌ابن سيده، دار الكتب العلمية، بيروت.

مرآة العقول في شرح اخبار آل الرّسول: العلاّمة محمد باقر المجلسي، دار الكتب الإسلامية، الثانية، ١٤٠٤ هـ، طهران.

المحتضر: الحسن بن سليمان بن محمد الحلي، ، الأولى، ١٤٢٤ هـ / ١٣٨٢ هـ ش، قم المشرّفة.

مدينة المعاجز: السيد هاشم بن سليمان التوبلاني البحراني، مؤسسة المعارف الإسلامية ، الأولى ١٤١٣ هـ ، قم المشرّفة.

المزار الكبير: محمد بن جعفر بن المشهدي، تحقيق جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، الأولى، ١٤١٩ هـ، قم المشرّفة.

مستدرك الوسائل: الميرزا حسين النوري الطبرسي، مؤسسة آل البيت، الأولى، ١٤٠٨ هـ، قم المشرّفة.

مستدركات رجال علم الحديث: الشيخ علي النمازي الشاهرودي، مطبعة شفق، الأولى، ١٤١٢، طهران.

مشارق أنوار اليقين: الحافظ رجب البرسي الحلي، الأولى، مؤسسة الأعلمي، الأولى، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م، بيروت.

مصباح الزائر: السيد علي بن موسى بن جعفر ابن طاووس، مؤسسة آل البيت، الأولى، ١٤١٦ هـ / ١٣٧٥ هـ ش، قم المشرّفة.

مصباح الشريعة: منسوب للإمام الصادق عليه السلام، مؤسسة الأعلمي، الأولى، ١٤٠٠ هـ، بيروت.

مصباح الكفعمي: تقي الدين إبراهيم بن علي الكفعمي العاملي، الثالثة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

مصباح المتهجد: الشيخ محمد بن الحسن بن علي الطوسي، الأولى، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد الفيومي، دار الهجرة، الأولى، ١٤١٤ هـ، قم المشرّفة.

معارج نهج البلاغة: أبو الحسن علي بن زيد البيهقي، مكتبة المرعشي النجفي، الأولى، ١٤٠٩ هـ، قم المشرّفة.

معاني الأخبار: محمد بن علي بن بابويه الصدوق القمي، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ١٣٧٩ هـ / ١٣٣٨ هـ ش، قم المشرّفة.

معالم التنزيل: الحسين بن مسعود البغوي، دار المعرفة، بيروت.

معجم رجال الحديث: السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي، مؤسسة الإمام الخوئي، الخامسة، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م، قم المشرّفة.

معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي، دار إحياء التراث، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م، بيروت.

معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، مكتب الإعلام الإسلامي (دفتر تبليغات)، ، الأولى، ١٤٠٤ هـ، قم المشرّفة.

المغرب في ترتيب المعرب: أبو الفتح ناصر الدين الخوارزمي المطرزي، مكتبة أسامة بن زيد، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م، حلب.

مفردات ألفاظ القرآن: الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، دار القلم، الأولى، ١٤١٢ هـ، بيروت.

مكارم الأخلاق: رضي الدين الحسن بن الفضل الطبرسي، مكتبة الشريف الرضي، الرابعة، ١٤١٢ هـ، قم المشرّفة.

مناقب آل أبي طالب: محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني، دار الأضواء ١٩٩١م/ ١٤١٢ هـ، بيروت.

من لا يحضره الفقيه: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق، منشورات جماعة المدرسين، الطبعة الثانية، قم المشرّفة.

منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، بنياد فرهنگ إمام المهدي ـ و دار الهجرة، الرابعة، قم المشرّفة.

مهج الدعوات: السيد علي بن موسى بن جعفر ابن طاووس، مؤسسة الأعلمي، الأولى، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م، بيروت.

ـنـ

النهاية في غريب الحديث: المبارك بن محمد الجُزري (ابن الأثير) ، مؤسسة إسماعيليان، الرابعة، ١٣٦٤ هـ ش، قم المشرّفة.

نوادر المعجزات في مناقب الأئمة الهداة: محمد بن جرير بن رستم الطبري الشيعي، مؤسسة الإمام المهدي، الأولى، ١٤١٠ هـ، قم المشرّفة.

ـهـ

الهداية الكبرى: الحسين بن حمدان الخَصيبي، دار البلاغ، الرابعة، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م، بيروت.

-و-

الوافي: المولى محمد بن مرتضى بن محمود (محسن الفيض الكاشاني)، مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام ، ١٤٠٦ هـ، أصفهان.

الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، دار إحياء التراث، ١٤٢٠ هـ، بيروت.

-ي-

ينابيع المودة لذوي القربى: سليمان بن إبراهيم القندوزي البلخي الحنفي ـ تحقيق السيد علي جمال أشرف الحسيني، الأولى ١٤١٦ هـ، دار الأسوة، قم المشرّفة.

فهرس المطالب

تمهيد ٣
مصدر وسند الدعاء ٣
شروح الدعاء: ٦
ترجمة مختصرة لمصنف الكتاب ٨
فاجعة في همدان: ١١
شخصان باسم واحد ١٢
تاريخ الوفاة ١٣
تلامذته ١٤
مصنفاته ١٦
نص الدعاء ٢١
مقدمة ٢٣
اَللّهُمَّ إِنّي أَسأَلُكَ بِمَعاني جَميعِ ما يَدْعُوكَ بِهِ وُلاةُ أَمْرِكَ ٢٥
أَسأَلُكَ بِما نَطَقَ فيهِمْ مِنْ مَشِيَّتِكَ ٤٠
فَجَعَلْتَهُمْ مَعادِنَ لِكَلِماتِكَ ٤٢
وَأَرْكاناً لِتَوْحيدِكَ ٤٤
[أركان التوحيد] ٤٥
[أولياء الله أركان هم توحيده] ٤٩
[أفعال الخلق ليست ذات الخالق] ٥١

[نفي الألوهية عن أولياء الله]..... ٥١
[مبدأ كل فعلٍ فاعلُهُ]..... ٥٣
[تصرف أهل البيت في الكون]..... ٥٧
فمما قاموا على التصرف فيه..... ٥٧
حدوث الأسماء..... ٦١
العلل الأربع في عالم الفصل وفي عالم الوصل..... ٧٠
[أسماء الله الثلاثة الظاهرة]..... ٧٤
فالشهور الاثنا عشر هم الأركان الاثنا عشر..... ٨٢
الأسماء المذكورة كانت قبل جميع المخلوقات..... ٨٧
وَآيَاتِكَ وَمَقاماتِكَ الَّتي لا تَعْطيلَ لَها في كُلِّ مَكان، يَعْرِفُكَ بِها مَنْ عَرَفَكَ..... ٩٠
المقام له لحاظان ثابتان..... ٩٠
لا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَها إلاّ أَنَّهُمْ عِبادُكَ وَخَلْقُكَ..... ٩٦
[الفارق بين الخلق والخالق]..... ١٠٠
[تنزيه الخالق عن صفات الخلق]..... ١٠٥
فَتْقُها وَرَتْقُها بِيَدِكَ..... ١١٠
في بواطن أمرهم هم أعلى مقاماً من الروح القدس..... ١١٤
أَعْضادٌ وأَشْهادٌ ومُناةٌ وأَذْوادٌ وَحَفَظَةٌ وَرُوّادٌ..... ١١٥
هم عليهم السلام شهداء على الناس والرسول صلى الله عليه وآله وسلم شهيد عليهم..... ١٢٠
«حَفَظَةٌ» لحفظ كل من لم يقدر على حفظ نفسه..... ١٢٤
إياب الخلق إليهم وحسابهم عليهم..... ١٢٥
فَبِهِمْ مَلأتَ سَمائكَ وَأَرْضَكَ حَتّى ظَهَرَ أَنْ لا إِلهَ إلاّ أَنْتَ..... ١٢٧

وَبمَواقِعِ الْعِزّ مِنْ رَحْمَتِكَ..... ١٢٩
وَبمَقاماتكَ وَعَلاماتكَ ١٣١
أَنْ تُصَلّيَ عَلى مُحَمَّد وَآله ١٣١
بدون الوسيلة تمتنع الإجابة ١٣٢
[هل الصلاة عليهم نفعٌ يعود عليهم عليهم السلام؟]..... ١٣٢
[دخول الشيعة في آل محمد عليهم السلام]..... ١٣٥
وأنْ تَزيدَني إيماناً وَتَثْبيتاً..... ١٣٧
الأسماء والصفات من مقامات البيان والمعاني..... ١٤١
يَا باطناً في ظُهُوره وَظاهراً في بُطُونه وَمَكْنُونه..... ١٤١
يَا مُفَرِّقاً بَيْنَ النُّور وَالدَّيْجُور..... ١٤٨
هو المحتجب ونحن حجبه ١٥٠
[مقامات وساطتهم وإمامتهم عليهم السلام] ١٥١
الحمل على المجاز تفسير بالرأي..... ١٦٦
المراد من قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾..... ١٧٦
الوقوف عند الشبهة ١٧٨
وسائط بين الله وبين الخلق أجمعين..... ١٧٩
يَا مَوْصُوفاً بِغَيْر كُنْه، وَمَعْرُوفاً بِغَيْر شبْه..... ١٨٣
حادَّ كُلِّ مَحْدُود، وَشاهدَ كُلِّ مَشْهُود، وَمُوجدَ كُلِّ مَوْجُود، وَمُحْصِيَ كُلِّ مَعْدُود، وَفاقدَ كُلِّ مَفْقُود، لَيْسَ دُونَكَ مِنْ مَعْبُود، أَهْلَ الْكِبْرِيَاءِ وَالْجُود..... ١٨٤
الأسماء الحسنى والأمثال العليا باقية بابقاء الله..... ١٨٦
يَا مَنْ لا يُكَيَّفُ بِكَيْف، وَلا يُؤَيَّنُ بِأَيْن، يَا مُحْتَجِباً عَنْ كُلِّ عَيْن ١٨٨

القديم الذي لم يكتسب وجوداً من غيره.....١٩٣
وَعالِمَ كُلِّ مَعْلُومٍ ١٩٥
عالم بجميع معلوماته مجملة ومفصلة ١٩٩
العلم الذي هو عين المعلوم هو العلم الحادث.....٢٠٢
صَلِّ عَلى عبادِكَ الْمُنْتَجَبينَ وَبَشَرِكَ الْمحْتَجِبينَ، وَمَلائِكَتِكَ الْمُقَرَّبينَ، وَالْبُهْمِ الصّافّينَ الْحافّينَ. ٢٠٤
[الشيعة حُجبٌ لحُجب الله تعالى] ٢٠٨
[الجهاد الأكبر والأصغر].....٢٢٠
[فائدة إرسال الرُّسل].....٢٢١
أمرهم في عالم الغيب والتصرفات الغيبية.....٢٢٣
[الفرق بين البركة والفضل].....٢٢٥
وَبارِكْ لَنا ٢٢٦
في شَهْرِنا هذَا الْمُرَجَّب ٢٢٦
وَما بَعْدَهُ مِنَ الأَشْهُرِ الْحُرُمِ.....٢٢٧
وَأَسْبِغْ عَلَيْنا فيهِ النِّعَمَ.....٢٢٩
وَأَجْزِلْ لَنا فيهِ الْقِسَمَ.....٢٣١
وَأَبْرِرْ لَنا فيهِ الْقَسَمَ ٢٣١
باسْمِكَ الأَعْظَمِ.....٢٣٢
الأَجَلِّ الأَكْرَمِ.....٢٣٢
الَّذي وَضَعْتَه عَلَى النَّهارِ فَأَضاءَ، وَعَلَى اللَّيْلِ فَأَظْلَمَ ٢٣٤
الفرق بين الأسماء العديدة للفرد الواحد.....٢٣٥

فهرس المطالب ٢٦٧
مقام اسميّتهم غير مقام فرديّتهم ٢٣٧
وَاْغفرْ لَنا ما تَعْلَمُ منّا وَما لا نَعْلَمُ، وَاعْصِمْنا مِنَ الذُّنُوبِ خَيْرَ الْعِصَمِ ٢٣٨
وَاكْفِنَا كَوافِيَ قَدَرِكَ ٢٣٩
وامْنُنْ عَلَيْنا بِحُسْنِ نَظَرِكَ، وَلا تَكِلْنا إِلى غَيْرِكَ، وَلا تَمْنَعْنا مِنْ خَيْرِكَ ٢٣٩
وَبارِكَ لَنا فيما كَتَبْتَهُ لَنا مِنْ أَعْمارِنا ٢٤٠
وأَصْلِحْ لنا خَبِيئَةَ أَسْرارِنا ٢٤٠
وَأَعْطِنا مِنْكَ الأَمانَ ٢٤٠
وَاْستَعْمِلْنا بِحُسْنِ الإِيْمانِ ٢٤١
وَبَلِّغْنا شَهْرَ الصِّيَامِ وَما بَعْدَهُ مِنَ الأَيَامِ وَالأَعْوامِ يَا ذَا الْجَلالِ والإِكْرامِ ٢٤١
مصادر التحقيق ٢٤٥

صورة المؤلف (أعلى الله مقامه)

لجنة إحياء تراث مدرسة الشيخ الأوحد الأحسائي رحمه الله